دعوة الحق
مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية
كيف انتشر الإسلام
عبر ثمانية قرون
لماذا عيد المولد في الغرب الإسلامي
الأسباب التي كانت وراء إنشائه..
مع أنه لم يكن لا في عهد الأدارسة ولا في عهد المرابطين والموحدين
قصيدة المديح
في العصر المريني
حرب أفغانستان
وتأثيرها على الشعوب الإسلامية وعلى شعوب أوربا الشرقية
العدد 277 جمادى الأولى عام 1410 - دجنبر 1989
الثمن : 4 دراهم.

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

أسسها
جلالة المغفور له
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957م

التحرير
الهاتف: 623.60

الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

✱

الاشتراكات: في المملكة المغربية: 70 درهماً
في العالم: 80 درهماً

الحساب البريدي: رقم 55-485، الرباط

Daouat El Haq compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في خطاب سامي بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لانطلاق المسيرة الخضراء المظفرة :

نوجه تقديرنا واعتبارنا لرعايانا في الصحراء الذين برهنوا منذ 1975 عن تعلقهم بمغربيتهم ووطنهم وكانوا المؤخرة اللائقة النافعة للمقدمة التي هي جيشنا.

وجه جلالة الملك الحسن الثاني مساء يوم الثلاثاء 7 ربيع الثاني 1410 هـ الموافق 7 نونبر 1989م خطابا إلى الأمة بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة للمسيرة الخضراء.

وفي ما يلي النص الكامل لهذا الخطاب الذي كان جلالة الملك خلال توجيهه محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد وصاحب السمو الأمير مولاي هشام.

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز...

نحتفل ككل سنة بذكرى مسيرتنا الخضراء التي مكنتنا من تحقيق أمانينا وأماني الأجيال السابقة في الرجوع المشروع إلى الصحراء، ومنذ ذلك اليوم ونحن نقاسي ونعاني من حرب لم نردها ولم يكن أن نريدها، ولكن يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾.

فهذه المدة العصيبة التي اجتزناها مكنتنا من شيئين مهمين : الأول في الميدان الاقتصادي والاجتماعي والثاني في الميدان العسكري. ففي الميدان الاجتماعي والاقتصادي لم نكن لندفع المجهود الذي دفعناه لا من باب التفكير والتخطيط ولا من باب المال في تجهيز أقاليمنا الصحراوية تجهيزا يجعل بعض مدن الصحراء تتوفر على منشآت ليست موجودة في بعض أخواتها من مدن الشمال.

المغرب لم يأت للصحراء ليأخذ منها بل ليعطيها

لقد تمكنا من أن نشيع المدارس ونفتح آفاق المعرفة والتكوين لأبنائنا ورعايانا في الصحراء وتمكنا من أن نوفر لكل واحد منهم المسكن والشغل وتمكنا من أن نجعلهم يعيشون عيشة المطمئن الساكن المستقر لا عيشة الذين يتنقلون طلبا للمرعى والكلأ.

والحق يقال أن جهودنا وتضحياتنا لا قاهما من لدن أبنائنا الصحراويين إقبال على العمل وشغف بالعلم والتعليم ولاقاهما كذلك تشبث وإخلاص لمغربيتهم ودستورهم وملكيتهم.

وهكذا شعبي العزيز أصبحنا في ظرف يقل عن عشر سنوات نرى المنجزات الكبرى مثل المراسي والمطارات والمستشفيات تقوم ببنائها مقاولات مالها وأربابها صحراويون لم يتمكنوا فقط من المتاجرة والتجارة ليربحوا بل تمكنوا كذلك من نوع من التقنية في المستوى العالي حتى يبينوا ويظهروا للجميع أن المغرب حينما استرجع ترابه في الصحراء لم يأت للصحراء ليأخذ منها بل جاء للصحراء ليعطيها حتى يصبح جميع المغاربة من طنجة إلى الكويرة سواسية كأسنان المشط.

وإننا بهذه المناسبة لنوجه تقديرنا واعتبارنا لرعايانا في الصحراء الذين برهنوا منذ 1975 عن تعلقهم بمغربيتهم ووطنهم وكانوا المؤخرة اللائقة الناقعة للمقدمة التي هي جيشنا.

جيش مرابط شاب يتجدد كل يوم

فلم يكن لجيشنا أن يتمكن من أن يعمل ما هو عامله ولا أن يقوم بمهمته العسكرية ولا أن يبلي البلاء الحسن لو لم يكن موقنا بأن من ورائه سند شعبي ليس فقط من المغاربة كلهم بل بالخصوص من سكان الصحراء الذين يمدون لذلك الجيش بمواطنتهم وغيرتهم وحكمتهم أن يكون في المناخ اللازم له حتى يتسنى له أن يقوم بواجبه العسكري كما يريد وبكل اطمئنان.

فشكرا لرعايانا في الصحراء وهنيئا لهم على أن أظهر منهم الشيخ والشاب الرجل والمرأة هذا العمق السياسي رغم ما يحوم في بعض الأوساط ورغم ما يسمعونه في بعض الإذاعات. فلم يزل إيمانهم ثابتا راسخا ولم تزل مغربيتهم لاتزعزعها الزوابع ولا الرياح، وهذا الموقف الثابت الحكيم هو الذي جعلنا نحمد الله سبحانه وتعالى على أن وصلنا إلى الهدف السامي.

الهدف الأول كما قلت لكم إنشاء جيش مرابط شاب يتجدد كل يوم.

فعلا شعبي العزيز في سنة 1975 فرضت علينا حرب كما قلت لكم لم نكن لا ننتظرها كحرب، ولا ننتظر نوعيتها، فتمكنا ولله الحمد بفضل التجربة والصبر والتحمل وثبات ضباطنا وضباط صفنا وجنودنا وقيادتنا العليا في الرباط والدراسات التي قامت بها أولا من أن نكيف أنفسنا مع هذا النوع من حرب الصحراء. وثانيا من أن نقتني من التجهيزات والآليات ما يصلح لها وثالثا أن نتدرب عليها تدريبا جيدا وأخيرا وهو المهم أن نتعهدها بالإصلاح لأن التعهد في السلاح وفي ميدان السلاح هو أخطر بكثير من الثمن الذي يدفع لشراء السلاح. فكما خلقنا جيلا جديدا في الصحراء خلق المغرب لنفسه جيشا جديدا.

القوات المسلحة الملكية مثال يحتذى

ويمكنني كمواطن مغربي وكأمير المومنين وكملك المغرب وكقائد أعلى للقوات المسلحة الملكية أن أكون فخورا بهذه الآلة التي هي بين أيدينا حيث أصبحت القوات المسلحة الملكية في جميع الميادين مثالا يحتذى وتمكن المغرب دون أن يكون قاصدا ذلك من أن يخلق لنفسه ويصنع لنفسه الدرع الحامي لمكتسباته ولاستقلاله ولسيادته وكذلك أن يكون جيشا ناما على الأهبة للدفاع عن مصالح

الأفارقة ومصالح العرب إن هم طلبوا منا في مشروعياتهم أو في جهادنا المشترك أن يشارك المغرب بأبنائه المسلحين.

ولم نكن لنصل لهذا لولا تلك الرابطة التي تربط بيننا كلنا وبين جذورنا الحقيقية. وجذورنا هي قبل كل شيء اما من الشرق واما من الصحراء.

وحينما أقول من الشرق أعلم ما أقول... فأغلب الدراسات تدل اليوم على أن سكان المغرب الأولون وهم البربر جاءوا من اليمن. فسكاننا الأولون جاءوا من الشرق والتحق بهم بعد ذلك إخوانهم العرب من الشرق والتحق بالجميع إخواننا الآخرون من الصحراء ومن جنوب المغرب. فربطنا بهذا حاضرنا بماضينا وأصبحنا حقيقة تتوفر في توازن واتزان على العناصر التي كانت هي المقوم لهذه الدولة والصانع لأمجاد هذه الأمة والكاتب لتاريخها المجيد الذي نقرأه ويقرأه أبناؤنا وسوف تقرأه الأجيال المقبلة بكل افتخار واعتزاز.

مقوماتنا هي التشبث بالدين وبالوطنية الغيورة

فلنحافظ شعبي العزيز على ما أعطانا الله سبحانه وتعالى من مقوماته

ومقوماتنا هي التشبث بالدين وبالوطنية الغيورة لكن السمحة. ومقوماتنا هي أن نكون دائما عند حسن ظن إخواننا وأشقائنا في السراء والضراء.

ومهمتنا هي أن نتعلم شيئا هو أنه كلما طال الليل ينبثق فجر النهار وكلما طالت المحنة لابد أن تتفتح أبوابها على النعمة. وكلما وجدنا أمامنا امتحانا وجدنا في آخر ذلك الامتحان النجاح بالتفوق.

نهنئ شعبنا من طنجة إلى الكويرة ونهنئ بالخصوص لرعايانا في الصحراء الذين أظهروا وطنيتهم وغيرتهم ومساندتهم وأكرر هنا مساندتهم لجيشنا.

ونهنئ لجيشنا الذي عرف كيف ينضبط وكيف يتحول وكيف يسيطر على الموقف العسكري والجغرافي دون كلل ولا ملل معطيا أعلى ما يمكن أن يعطي الإنسان... حياته أو جسده ليعيش الآخرون في أمن واطمئنان.

ولم يبق لي شعبي العزيز بعد هذه الكلمات الوجيزة إلا أن نحمد الله سبحانه وتعالى ونشكره على أن كان لنا في اختياراتنا ملهما وفي سيرتنا مصباحا منيرا وفي حدودنا مولى ونصيرا **﴿واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾** صدق الله العظيم.

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يعلن عن تنظيم استفتاء حول إرجاء الانتخابات القادمة لمدة سنتين:

حياة السكان الصحراويين تحت أمانتنا ورعايتنا ومسؤوليتنا وعلينا أن ننصف إخواننا الصحراويين المرضيين مع وطنهم

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الذي كان محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد يوم الأربعاء 1989/11/22 على الساعة الواحدة وعشر دقائق خطابا إلى الأمة.

وقد حضر مراسم توجيه الخطاب الملكي السامي الوزير الأول الدكتور عز الدين العراقي ورئيس مجلس النواب السيد أحمد عصمان ومستشارو صاحب الجلالة وأعضاء الحكومة وكبار ضباط القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية ومديرو الدواوين الملكية ورؤساء الأحزاب السياسية وأعضاء مكتب مجلس النواب ورئيس المجلس الأعلى والوكيل العام للملك به والأمين العام لرابطة علماء المغرب وشخصيات أخرى مدنية وعسكرية.

وقد أعطى صاحب الجلالة أوامره السامية لكي يشارك في عملية الاستفتاء كل من أفراد القوات المسلحة الملكية والأمن الوطني والقوات المساعدة.

و بعد ذلك أقام جلالة الملك حفل استقبال تكريما للحاضرين.

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي السامي الذي نقل على أمواج الإذاعة وشاشة التلفزة من القصر الملكي بالرباط.

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز:

مرة أخرى وجريا على عادتنا ها نحن نأخذ معك بالطريقة المثلى التي ألفناها والعادة المختارة التي مرنا عليها ألا وهي الحوار والتشاور والاشراك في ما يخص المسائل الحيوية بالنسبة لبلدنا حتى يكون دائما ذلك التيار الوطني والفكري والأدبي فاعلا مفعوله بينك شعبي العزيز وبين خديمك الأول وعبد ربه.

الاستفتاء يلزم الجميع بما فيهم ملك المغرب

شعبي العزيز،

حتى لا أطيل انتظارك في الموضوع الذي سأتطرق إليه أريد أن أقول لك بادئ ذي بدء أن موضوع هذا الخطاب هو أننا قررنا أن نجري استفتاء. وتعلمون أن الاستفتاء هو اسمى تعبير عن الإرادة الوطنية ذلك أن الدستور ينص على أن الاستفتاء يلزم الجميع بمن فيهم ملك المغرب. فالاستفتاء هو اسمى تعبير واسمى تفسير للإرادة الشعبية حتى تصبح قانونا محترما. فما هو موضوع هذا الاستفتاء ؟ كما تعلم شعبي العزيز فان ملف المغرب معروض الآن على هيأة الأمم المتحدة وذلك لتنظم هذه الهيأة الدولية الاستفتاء في أقاليمنا الصحراوية. وفكرة الاستفتاء ظلت تخامرني منذ القدم.

الصحراء طرف منا أو نحن طرف منها

وأول مرة فاتحت بها الاسبانيين كانت في عام 1965 بمدينة فاس بمناسبة عيد العرش حينما قابلت هناك السيد سوليس الذي كان في حكومة فرانكو مكلفا بشؤون الحزب، وقلت له لا أريد أن أدخل مع اسبانيا في حرب ولا أريد أن تنصب اسبانيا طرفا وجزءا لا يتجزء من الجسد المغربي ليختار شبه الاستقلال أو شبه الحكم الذاتي. فالصحراء هي طرف منا أونحن طرف منها وحتى لا تنطلي علينا أية حيلة فأنا أطلب من الجنرال فرانكو أن تجري استفتاء في الصحراء في عام 1965.

ومنذ ذلك الحين ونحن نطلب من العدالة الدولية أن تنصفنا وجاءت المسيرة الخضراء وكانت ولله الحمد مسيرة مظفرة ناجحة ولازلنا اليوم نجني ثمارها. ولازالت تلك المسيرة تدل على أن الصحراء طرف منا وعضو منا ولو ترك الخيار للمغاربة لشاركوا فيها جميعا. ولازال جميع المغاربة في ما إذا ظهرت مصلحة في تنظيم مسيرة أخرى مستعدين لنهج ذلك النهج.

وقد طلبت منا الجهات المعنية والدول التي لم ترد أن تعترف لنا بحقنا وكانت آنذاك تعتبر وجودنا وجود مستعمر دخيل على الشعب الصحراوي أن نجري الاستفتاء وكنا آنذاك نرفض أن نجري الاستفتاء. ولكن نزولا عند الرغبات المتنوعة والمتكررة لرؤساء دول أشقاء وإخوان عرب وغير عرب أوربيين وأسيويين وأفارقة قبلنا الاستفتاء.

ولولا تدخلهم ورغبتهم لا أقول ضغطهم لأن المغرب لا يعمل تحت الضغط ولن يعمل تحت الضغط لما قبلنا الاستفتاء. وحينذاك قلنا طيب. ذهبنا إلى نيروبي المرة الأولى والمرة الثانية وتوجتت منظمة الوحدة الافريقية حينما أعلنا في خطابنا الرسمي عن رغبتنا في إجراء الاستفتاء.

اديم كودجو ارتكب جريمة في حق افريقيا

وهنا يجب أن أؤكد نقطة مهمة للتاريخ وهي أنني أعتبر شخصيا أن اديم كودجو الأمين العام السابق لمنظمة الوحدة الافريقية ارتكب جريمة في حق افريقيا لن ينساها له التاريخ ذلك أنه فتح أبواب المجموعة الافريقية على مصراعيها لدخول الجمهورية المريخية أو الفضائية مضطرا المغرب لأن يغادر كرسيه بكل أسف وبكل حزن. فلو لم تدخل تلك الجمهورية المزعومة وبقي المغرب ضمن أسرته الافريقية وقد مر على ذلك الآن خمس سنوات في المقين لوجدنا قبل هذا اليوم الحل الافريقي المطابق للأسرة الإفريقية والمنصف لحقوق الجميع.

فلهذا اعتبر أن منظمة الوحدة الافريقية وبالأخص الدول الافريقية التي صوتت لصالح دخول تلك الجمهورية إلى مجموعتنا لازالت تتحمل مسؤولية أدبية.

نبي أولا لم تكن تظن أن المغرب سينسحب من المنظمة الافريقية وثانيا كانت تنتظر أن ترى المغرب تصير النفس وكانت تنتظر أن تركع المغرب وهذا البلد لا يركع إلا لله سبحانه وتعالى. فطيلة تاريخه الأصيل

والقديم وفي حاضره وفي مستقبله لن يركع إلا لله. ومن كان يظن أنه يمكن أن يركب مع المغاربة طريق العنف أو طريق الاغراء بـدل أن يركب معهم طريق التعقل وطريق الفضيلة وطريق حسن الأخلاق فأنا أعتبر شخصيا أنه غالط كل الغلط.

حياة السكان الصحراويين هي تحت أمانتنا ورعايتنا ومسؤوليتنا

وحينما رفعنا ملفنا إلى هيأة الأمم المتحدة أصبحنا نجري اتصالات مع الأمين العام للنظر في إجراء هذا الاستفتاء، ولازلنا منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا ننتظر العمليات الأولية لتنظيم ذلك الاستفتاء. وقد ظهر لنا جليا أن خصومنا الظاهرين وغير الظاهرين لم يؤمنوا في أي وقت من الأوقات بالاستفتاء، فحتى في الوقت الذي كانوا يطالبون به وكان المغرب يرفضه كانوا لا يؤمنون بالاستفتاء لأن جل أولئك الخصوم كانوا أنفسهم في بلدهم لا يعيشون تحت ظل استفتاء أو مشاورة فقد كانوا كلهم مع الحزب الوحيد بحيث لا يؤمنون ولا يمارسون المشورة وأخذ الرأي والأخذ والعطاء. لقد كانوا في تربيتهم الضيقة لا يؤمنون إلا بالأمر العنيف الذي ليس له أي استئناف.

فتشككوا من أول وهلة في ما يخص طريقة الاستفتاء الديمقراطية والشعبية أي القاعدة ولا زالوا إلى حد الآن يضعون لنا العراقيل وسارت بهم الوقاحة - لا أقول أعضاء الجمهورية المزعومة بل حلفاؤها - إلى أن طالبوا بخروج الجيش والإدارة وعشرات الآلاف من السكان المغاربة من الشمال الذين جاؤوا واستوطنوا بالصحراء. فرفضنا ذلك كله وقلنا لهيأة الأمم المتحدة وللأمين العام إذا كنا سننسحب جميعاً، فسنقطع أسلاك الهاتف ونفكك جميع وسائل المواصلات ونردم جميع الآبار ونأخذ معنا جميع السيارات وسلع السكان لأن حياة السكان الصحراويين هي تحت أمانتنا ورعايتنا ومسؤوليتنا. فلا يجب أن نسمع فقط خصومنا وإذا بقينا دائما لا نأخذ بعين الاعتبار سوى ما قاله خصومنا دون أن ننصف الناس المرضيين مع وطنهم سنكون حقيقة مجرمين في حق إخواننا الصحراويين.

لا أريد أن أصل إلى هذه القطيعة

فإذا خرجت إدارتنا وخرج الجيش فكما أن أولئك الأشخاص الذين هم من الجهة الأخرى مسلحون بالدبابات فلن تخرج حتى تترك الدبابات. ونظرا لقدراتهم وعددهم لي اليقين أن الصحراويين المرضيين مع وطنهم سيسحقون الآخرين. ولكن لا أريد أن أصل إلى هذه القطيعة وقلت مرارا وتكرارا إنه من واجبي ككل عربي ومسلم بالخصوص أن يتحلى بالأخلاق النبوية ومن جملة الأخلاق النبوية صلة الرحم وعدم القطيعة وعدم فصل الأمر. فلهذا ولكي لا أزيد في الأخذ والعطاء ويضيع لنا الوقت بخصوص هذا الاستفتاء لم أرد أن أعطيهم سببا آخر لجعلهم يقولون للناس انظروا إلى المغرب يعطي بيد ويأخذ بيد.

فما هو موضوع الاستفتاء ؟

الموضوع هو أنه في السنة المقبلة في شهر سبتمبر ربما كانت ستجري الانتخابات البرلمانية والبلدية.

وهذه الانتخابات إذا كانت ستنظم فيجب أن تنظم في جميع بقاع المغرب من الكويرة إلى طنجة، فلا يعقل أن نقول بما أن الاستفتاء سيجري نترك المناطق الصحراوية لا تنتخب ممثليها في البرلمان أو في البلديات. وحتى نظهر مرة أخرى للضمير العالمي ولأفراده ذوي النيات الحسنة وحتى ندحض حجج الخصوم قررنا أن نرجئ الانتخابات في جميع أنحاء المغرب لمدة سنتين وكما تعلم شعبي العزيز فإن مدة انتداب البرلمانيين سواء منهم الذين انتخبوا مباشرة أو الذين انتخبوا بكيفية غير مباشرة من طرف المجالس البلدية أو من طرف الغرف المهنية منصوص عليها في الدستور ولا يمكن أن يزاد فيها أو ينقص منها إلا باستفتاء لأن دستورنا لا ينص على طريقة أخرى لمراجعة الدستور إلا الاستفتاء والاحتكام إلى الشعب.

نصيحتي لك هي أن تقول نعم...

فـإذن شعبي العزيـز من مصلحتنـا أن نمـدد فترة الانتداب وثق بي أني لم أقدم على هذا العمل إلا بعد أن أخذته من جميع أطرافه وفكرت في عواقبه وحللت جهد المستطاع - وبالطبع أنا بشر كالجميع - إيجابياته وسلبياته وفي الأخير رجحت هـذه الفكرة في ذهني وفي وجـداني كذلك وفي تجربتي السياسية، ومعلوم أن هناك أناسا أعطاهم الله الحاسة السادسة وهناك أناسا لم يعطها لهم. وأنا أحمد الله سبحانه وتعالى أن لي هذه الحاسة سواء في قضية الصحراء أو في القضايا المصيرية بالنسبة لبلادي وبالنسبة لسيادتنا وهذا العطاء لا أقول إنه جاء من الله ونزل بل كان ثمرة ممارسة الشؤون، فمنذ 35 أو 40 سنة وأنا أمارس هـذه الشؤون وكان لي الحظ أن مارستها مع رفاق محترمين منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وكلنا أخذنـا هـذه الحاسة السادسة من أستاذنا هذه الحاسة السادسة من أستاذنا جميعا ومربينا جميعا محمد الخامس طيب الله ثراه.

شعبي العزيز،

أقول لك بكل إخلاص إن وجداني وتحليلي ومنطقي يجعلني أطلب منك أن تجيبني بنعم بكل اطمئنان فيما يخص هذا السؤال :

هل تريـد أن تزيـد في عمر هـذا البرلمـان سنتين وتؤخر الانتخابات كلها لمدة سنتين ؟ فنصيحتي لك هي أن تقول نعم ولكن إذا رأيت أنه لا ينبغي لنا أن نمدد هذه الفترة فالكلمة الأخيرة هي لك وستكون دائما لك. وحينما يكون الاستفتاء ترى شعبي العزيز أنني واحد منكم ولما يكون اقتراع آخر لا تراني في مكاتب التصويت لكن لما يتعلق الأمر بقضية مصيرية تتطلب الاستفتاء أكون واحدا من المواطنين.

وبما أن القانون خول لي حريـة المشـاركـة في الاستفتاء فمعنى ذلك أن القانون يقول لي أن (نعم) أو (لا) التي سنصوت بها يمكن أن تكون خاطئة ومع الطرف الخاطئ لكن في هـذه النصيـة لا أظن أنني سأكون على خطأ.

قضية الصحراء أعرفها وأعرف دقائقها جيدا

فقضية الصحراء أعرفها وأنت كذلك تعرفها ولكنني أعيشها صباح مساء وأعرف دقائقها جيدا لدرجة أنه لو كان لكل حبة رمل في الصحراء ورقـة تعريف لظل رقمهـا مرسوما في بالي لأن هـذه أمانة أخذتها على عنقي ومن اللازم أن أؤديها إلى النهاية وحتى يقدر الله أن يعطيها لآخر. لكن ما دمت أنا المؤتمن عليها فسوف لن أعرف لا راحـة ولا اطمئنـان بـال إلا إذا انتهت هـذه القضيـة وستنتهي إن شاء الله بانتصارنا لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه. وتذكروا دائما ما كان يقوله سيدنا محمد الخامس طيب الله ثراه «ما ضاع حق من ورائه طالب».

ولكن لماذا سنتين بالضبط وليس سنة واحدة فقط أو ثلاث سنوات ؟

أعتقد أن مدة سنتين هي فجوة من التاريخ صالحة لتنظيم الاستفتـاء ونحن نظن الخير الكبير في صـديقنـا السيد بيريز دي كويار ومن هيأة الأمم المتحدة ومن جميع ذوي النوايـا الحسنـة ونـأمل أن لا يتـأخروا في تنظيم الاستفتاء، وليس هذا تهديدا لأنه ليس من طبعي التهديد ولا ممارسة الضغط المعنوي. أبدا فليس من عادة المغرب أن يمارس الابتزاز ولم يسـق له أن ابتز أحدا. وهو لم يأخذ إلا ما هو له ولا يدافع إلا عما هو له. لكن إذا لم يجر الاستفتاء خلال هاتين السنتين فإنني سأكون الأول لأقول لك شعبي العزيز إنه علينا أن نستنتج من ذلك التأخر أو التماطل أو التباطؤ النتائج التي يجب أن تخامر كل بلد مستقل وذي سيادة.

فإذن لنتكل على الله شعبي العزيز ولنمدد لهذا البرلمان مدة سنتين ولنقف صامدين في حدودنا ولنواصل مسيرتنا التنموية سواء في أقاليمنا الصحراوية أو في أقاليمنا الشمالية ولننفتح على العالم الذي تجري فيه الآن

أحداث قلبت التاريخ. لا أقول تاريخ قارات لأن المشكل المطروح اليوم ليس مشكلا جغرافيا ولا حتى إيديولوجيا بل هو مشكل إيجاد نموذج وطريقة معالجة الأمور وخاصة الأمور الاقتصادية.

هل نعالج بالديمقراطية أم باللا مركزية أن بالمسؤولية الفردية والجماعية أم تعالج ببيروقراطية جامدة لا تتحرك لطائفة ضئيلة من الناس دون أن يستمتع بها الآخرون بحيث أن المصارعة التي تجري حولنا الآن ليست مصارعة في الإيديولوجيا بل مصارعة في الطرق التنموية.

إذن لنفتح أعيننا على الخارج ولنفتح كذلك آذاننا وعقولنا ولنعط هذه الفرصة (فرصة سنتين) لأصدقائنا ولخصومنا ليجروا ذلك الاستفتاء الذي أريد أن يكون استفتاء دوليا يعترف لنا من خلاله المجتمع الدولي بحدودنا نهائيا.

لقد كان بالامكان أن أتفق مع الجيران بكذا وكذا ولكن لننظر ما وقع بين إيران والعراق. لقد حصل اتفاق ثنائي وبمجرد ما جاءت الفرصة وقع ما وقع وها هي الأمور معلقة. ورغم إيقاف إطلاق النار لا زال كل يوم ينذر بأن يكون هو منطلق الحرب الجديدة. كلا أنا لا أريد ذلك لا بالنسبة لك شعبي العزيز ولا بالنسبة لجيراني ولا بالنسبة لقارتنا.

وما أريد هو حدود متفق عليها دوليا. ولا يمكن أن يعطينا الحدود المتفق عليها دوليا إلا الاستفتاء السليم والهادئ والمنصف وحتى يمكن لهذا الاستفتاء السليم الهادئ والمنصف أن يمر كما نريد أردت أن أتجنب إعطاء سبب آخر يقول الناس انطلاقا منه إنني استفزهم بتنظيم انتخابات في مكان هو موضوع استفتاء. فالصحراء مغربية ولكن ما داموا يقولون لنا تعالوا نطرح السؤال، في الحقيقة التحدي منطلق منا وليس منهم. فنحن الذين نتحداهم ونقول لهم إذا كنتم تعتبرون أن الصحراويين ليسوا مغاربة فليأتوا ليقولوا ذلك.

لهذا شعبي العزيز أريد أن تفهمني جيدا. لا أريد أن أؤثر على رغبتك أو إرادتك ولكن من واجبي أن أقول لك إن قلبي وضميري وتحليلاتي وكل شيء يميل إلى أن نزيد في عمر هذا البرلمان سنتين.

وإن شاء الله سنعطي للحملة الاستفتائية مدة عشرة أيام أو تسعة أيام ويوم الجمعة ما بعد القادم سنلتقي جميعا كل واحد في دائرته الانتخابية أمام مكاتب التصويت راجين من الله أن يكون قد ألهمنا حسن الاختيار وقائلين بفم واحد ﴿**بسم الله مجراها ومرساها أن ربي لغفور رحيم**﴾.

﴿**فإذا عزمت فتوكل على الله**﴾ صدق الله العظيم. والسلام عليكم ورحمة الله.

السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري،
في حديث صحفي أجرته معه جريدة "الشرق الأوسط":

• ندعم الصحافة الإسلامية ونثق بدورها البناء في المجتمع

أجرى مبعوث جريدة الشرق الأوسط منصف السليمي بعددها 3993 يوم الجمعة 3 ـ 11 ـ 1989 حديثا شاملا حول القضايا الإسلامية الراهنة مع الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الذي قال بأن الشرور تتسرب إلى أمتنا عبر الهواء تفسد عليها عقيدتها وأخلاقها، وتمس كيانها في الصميم عن طريق ما تبثه قنوات أجنبية من برامج وأفلام هدامة.
وفيما يلي النص الكامل للحوار :

• تواجه الأمة الإسلامية تحديا حضاريا يمثل الاعلام إحدى أدواته الأكثر فعالية، ويعد المغرب جسرا يربط بين حضارتين وقارتين، وهو بذلك يلعب دور الفعال في مواجهة هذا التحدي، ولذلك نلاحظ أن المغرب من أوائل الدول الإسلامية التي صدرت بها الصحافة الإسلامية (منذ ما يزيد عن قرن) وقد لعبت هذه الصحافة دورها الحضاري والوطني تتقطع في صدور الدوريات، ومحدودية في كفاءتها، وضعف في إمكاناتها. فهل فكرتم في دعمها ؟

[illegible]
[illegible] مغربية [illegible] الجرائد أو المجلات [illegible]
صحافة إسلامية فلا تخلو جريدة أو مجلة من ركن أو صفحة

أو صفحات خاصة بالدعوة [illegible]

هناك صحافة مغربية إسلامية متخصصة أذكر منها : جريدة «الميثاق» التي تصدرها رابطة علماء المغرب وجريدة «النور» ومجلة «دعوة الحق» التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ومجلة «الإرشاد» ومجلة [illegible]

هذا بالإضافة إلى أن المغرب يفتح أبوابه على مصراعيه أمام الصحافة الإسلامية المتخصصة في العالم الإسلامي وهو ما أعطى فرصة لتكوين خدمة هذه الصحافة المغربية والمساهمة في باقي دول العالم الإسلامي كما ساعدت على خلق نوع من تبادل الرأي والتشاور عبر النشر والاطلاع على ما يجد في العالم الإسلامي في هذا المجال ونحن نثمن الصحافة الإسلامية ونثق في الدور الكبير الذي تؤديه الصحافة بصفة عامة في البناء الفكري والثقافي والعقائدي للمجتمعات

مشكلة مجلة المجتمع

• يستقبل المغرب عددا مهما من الصحافة الإسلامية التي تصدر ببلدان إسلامية أخرى وهي تؤدي دورها بتعاضد مع شقيقتها المغربية. ولكن لاحظت أن بعضا منها لا يدخل المغرب، مثل مجلة «المجتمع» الكويتية ؟

ليس عندنا أي مانع من دخول مجلة «المجتمع» الكويتية للمغرب، كلما احترمت قدسية الكلمة وأمانة القلم ومسؤولية الصحافة في فترة من الفترات كانت مجلة «المجتمع» تنشر معلومات خاطئة عن المغرب وبالاتصال المباشر مع المسؤولين عنها تبين لهم أن نشر هذه المعلومات الخاطئة ليس في صالح المجلة ولا قرائها ويبدو أنهم راجعوا موقفهم، ونحن نرحب بهم.

• يمكن القول إذن، بأن الطريق ممهد ؟

نعم [illegible]

• نحن الآن في عصر تجند فيه الأقمار الصناعية لتبث في العالم برامج دعائية وتشويش لأخلاق الشباب، وكان البعض قد اقترح إيجاد قمر صناعي إسلامي، ما رأيكم في هذه الفكرة ؟

هذه [illegible] ولا يسعنا إلا تأييدها التأييد الكامل لأن فيه وقاية لأمتنا من هذه الشرور التي تتسرب إليها عبر الهواء ولا تقدر عليها عقيدتها وأخلاقها وقيمها وتمس كيانها في الصميم عن طريق ما تبثه محطات أجنبية من أفلام وبرامج هدامة ونحن مستعدون كل الاستعداد للإسهام في أي عمل إيجابي من هذا النوع

الدراسة بجامع القرويين

• [illegible] القرويين في العام الماضي، غير أننا فوجئنا [illegible] بموقعه ؟

- إحياء الدراسة بجامع القرويين [illegible] لم يكن أمل المغاربة فقط بل أمل المسلمين في كل مكان وقد شاءت إرادة الله أن يتحقق هذا الأمر على يد الملك الحسن الثاني الذي يعرف مكانة القرويين في تكوين الرجال [illegible] الاستقلال، فهي التي أعطت [illegible] الاستقلال، ذلك الجيل من الوطنيين [illegible] المؤمنين بعقيدتهم وبقيمهم الوطنية والذين يرمزون نموذجا ومثالا للإنسان كما أراده الإسلام، الإنسان الذي يأبى الضيم والاستعباد والذي له شعور بالكرامة، الإنسان المجتهد والمجدد والإيجابي والبناء والصالح في المجتمع. لقد كان جلالة الملك المغربي يدرك هذا الأثر للقرويين تمام الإدراك، وهو أمر لا ترجع فيه. وإنما الخطة التي كانت [illegible] التعليمات بإحياء الدروس العلمية بالقرويين تتمثل في كون الفوج الأول هو فوج الدراسة في المرحلة الابتدائية ولن يكون هناك فوج ثان في هذه المرحلة الثانوية إلا بعد أن يلتحق فوج جديد بالمرحلة الابتدائية [illegible] فوج وليس محطط سنوات أولى وثانية وثالثة [illegible]

دفعنا إلى سلوك هذه الخطة هو أن سقية [illegible] من الطلبة الذين هم في مستوى تحمل أمانة إحياء دور القرويين هم [illegible] فتحنا الباب لوجود السوت المسالبة في وقت واحد فذلك أمر يتطلب عددا كبيرا من العلماء، ونحن نحرص على المستوى العلمي الرفيع، فلا نريد الكثرة بل نريد الكيف لذلك اخترنا أن نسهر على تكوين فوج ابتدائي ثم نسلمه إلى مجموعة من كبار العلماء يتولون تكوينهم في التعليم الثانوي، ثم نسحب فوجا جديدا في المرحلة الابتدائية وهو ما يجري به العمل والدراسة [illegible]

وأود التأكيد أن هؤلاء الطلبة هم صفوة [illegible] بين الطلبة منهم من يحفظ مختصر الشيخ خليل بالإضافة إلى المتون الفقهية والنحوية والعقائد .. ولهم مستوى رفيع يكافئ مستوى الدراسات في الجامعة رغم أنهم لا يزالون في السنة الثانية ابتدائي

الباب مفتوح للطلاب الأفارقة

• المغرب هو إحدى البوابات الإسلامية على إفريقيا وخاصة العربية منها بحكم عوامل تاريخية وجيوسياسية، فهلا فكرتم في تأسيس فروع للقرويين في إفريقيا ؟

- أولا نحن نفتح باب القرويين [illegible] لأفارقة للدراسة به، ونتوفر على معهد عال لتكوين الأطر الدينية بالدار البيضاء مفتوح للطلبة الأفارقة، ونستعد لإعطائهم منحا للدراسة بهذا المعهد، وليس في إمكاننا أكثر من هذا في الوقت الراهن، لأن القضية هي قضية تكوين، وإذا كنا نهدف إلى التكوين الصحيح فإنه لا يوجد من هؤلاء العدد الكافي حتى بالنسبة من نحن نريد تكوينهم من المغاربة فأحرى أن نبعثهم إلى الخارج.

ولكن، عندما تتخرج هذه الأفواج من القرويين ستؤدي رسالتها في مكان آخر كما هو حال علماء القرويين الذين نشروا الإسلام في عدد من البلدان [illegible] ولا تزال آثارهم شاهدة على ذلك إلى يومنا هذا

تعليم الجاليات الإسلامية

• يلاحظ أن الجاليات الإسلامية والعربية منها بالخصوص، الموجودة بالبلدان الأوروبية، تحتاج إلى مؤسسات تربوية وتعليمية إسلامية، فهل هناك اتجاه لإنشاء مثل هذه المدارس لأبناء جاليات المغرب العربي التي تعيش وضعا ثقافيا واجتماعيا صعبا ؟

- الأمر ضروري ومهم، ونحن من أجله نعمل ويكفي أن أعطيك مثالا : الاتفاقيات التي أبرمناها مع عدد من الدول الإسلامية، العراق، مصر، الأردن، الجزائر وموريتانيا، وتشير كل هذه الاتفاقيات إلى ضرورة التنسيق والتعاون في خدمة الجالية الإسلامية في أوروبا، تعاون في تبادل التجارب والمعلومات وفي تكوين وفود مشتركة من العلماء الذين يقومون بالدعوة [illegible] الإسلامية هناك. ونحن كوزارة للأوقاف والشؤون الإسلامية بهذه البلدان نعمل جاهدين لإخراج هذه الاتفاقيات إلى حيز [illegible] وتونسية، ونحن نهيئ مشروع اتفاق بين المغرب وتونس، وسيكون هذا الموضوع في مقدمة اهتماماتنا نظرا لوجود جالية مغربية وتونسية [illegible]

رابطة دولية لخطباء الجمعة مقرها في المغرب

• منذ عامين احتضن المغرب المؤتمر العالمي لخطباء الجمعة بفاس فهل تحدثونا عن هذا المؤتمر ؟

- كان المؤتمر الدولي [illegible] تحت الرعاية السامية للملك الحسن الثاني من أهم وأنجح المؤتمرات الإسلامية التي عقدت في المغرب على صعيد [illegible] شارك العلماء ورجال الدعوة الإسلامية وقدمت فيه [illegible] الأهمية وهي الآن تحت [illegible] ويعتبر صدورها في حد ذاته من

[illegible] هذا المؤتمر ومن [illegible] حيث [illegible]
دورية لخطباء الجمعة سيكون مقرها في المغرب وقد قرر
العاهل المغربي إعطاءها مقرا خاصا من ماله الخاص.

و[illegible] في جميع اتصالاتنا مع إخواننا وزراء
الأوقاف والشؤون الإسلامية ما صدر عن هذا المؤتمر من
توصيات وقرارات، وسعى إلى جمع الكلمة حولها
وإخراجها إلى حيز التنفيذ، فمتابعة أعمال المؤتمر جارية
وأعتبر أن هذه المؤتمرات الكبيرة لا تصدر قرارات سطحية
يمكن استهلاكها إعلاميا وظرفيا ولكنها تغرس جذورا في
عمق الأرض فيكون لها أثر على المدى البعيد، ونأمل إن
شاء الله إخراج التوصيات والقرارات وتنفيذها قبل عقد
المؤتمر المقبل.

• **متى سينعقد هذا المؤتمر ؟**

[illegible] ولكن لابد أن نقطع شوطا بعيدا في تنفيذ
القرارات السابقة، ولا ستكون مؤتمرات بعضها يقرر بعض
[illegible]

ملتقيات الفكر الإسلامي

• **في فترة ما فكرت وزارتكم في الدعوة إلى
ملتقى للفكر الإسلامي يضاهي ملتقيات الفكر
الإسلامي الدورية التي تعقد في الجزائر وكانت قد
وجهت رسائل لعدد من المفكرين والعلماء
المسلمين في هذا الصدد فماذا تم في هذا
الموضوع ؟**

[illegible] الأوقاف والشؤون الإسلامية لم
يسبق لها أن دعت لأي مؤتمر للفكر الإسلامي، والواقع أنه
عندنا مؤتمر للفكر الإسلامي ينعقد كل سنة ويدوم شهر
كاملا ويرأسه الملك الحسن الثاني، ويتمثل هذا المؤتمر
في الدروس الحسنية الرمضانية، وهي تدوم شهرا كاملا
وينقلها التلفزة وتذاع عبر الراديو ويتناول فيها العلماء
والمفكرون موضوعات تهم الأمة الإسلامية بكامل الحرية
ويعرضون اختياراتهم، ويدور حولها النقاش، فيكون ملتقى
فكريا فريدا من نوعه.

• **قامت عدة جهات إسلامية منذ عدة
سنوات، بعقد مؤتمرات عالمية للسيرة والسنة
النبوية، في عدة عواصم إسلامية، واحتضنت
الدوحة المؤتمر الثالث وتم تبني اقتراح بانعقاد
المؤتمر الرابع في المغرب. ألا ينوي المغرب
استضافة المؤتمر المقبل ؟**

- المغرب لم يرجئ انعقاد المؤتمر فيه، إنما موضوع
السيرة النبوية هو موضوع يتمسك به كل مسلم وكل
الشعوب والدول الإسلامية قاطبة وتتنافس فيه، بل تتجاذبه
وهكذا عقد بعد الدوحة في باكستان، رغم أنه لم يكن
مقررا كذلك ولكن حب الباكستانيين لرسول الله ﷺ
ولسيرته جعلهم يقومون بجميع المساعي لينعقد عندهم، لم
[illegible] ونحن نعرف تعلق شعب مصر بالسيرة
النبوية.

[illegible]
[illegible] كبير من
الأهمية منذ سنتين في مدينة سلا بالمغرب مع جمعية أبي
رقراق، وكان موضوعها السيرة النبوية، حضره عدد من
العلماء والمختصين في هذا الموضوع.

• **وهل هناك مبادرة مغربية جديدة لعقد
مؤتمر عالمي للسيرة والسنة النبوية بالمغرب ؟**

نعم، سينعقد قريبا مؤتمر دولي للسيرة والسنة
النبوية في المغرب إن [illegible] إخوتنا وسمحوا لنا بذلك

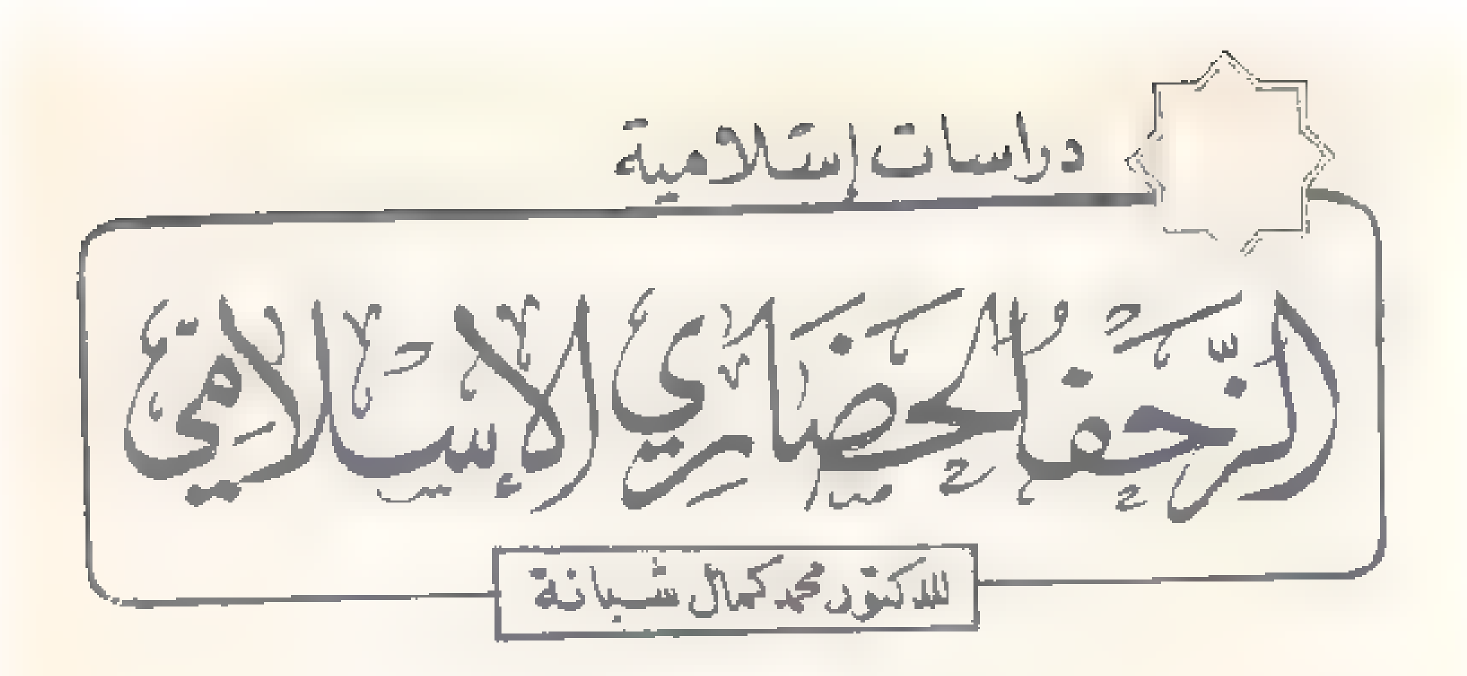

كانت سياسة العالم عند نشأة الدولة الإسلامية موزعة بين دولتين كبيرتين، ملكتا مصير العالم، وتحكمتا في شؤونه، إحداهما دولة الروم صاحبة النفوذ في أوربا الجنوبية، وفي جزء كبير من الشرق الأدنى وشمال إفريقية. هذه الدولة كانت قد حطمتها الحروب والمصادمات مع دولة الفرس، وهي ثانية الدولتين، وكان لها نفوذ كبير في [illegible] بدوره تشهد نهايتها. وكانت أوربا في ذلك الوقت أسوأ حالاً من دولتي الفرس والروم؛ لأنها كانت فريسة لقبائل من الهمج الذين كانت أمورهم فوضى، وكان الأوربيون يعانون من الانقسامات التي نشرت الدمار في كل مكان، ولم يكترثوا بشيء من المبادئ القومية، ومثال: إن الوطنية أو الدين أو الاستقلال أو الأمة أو غير ذلك من المثل العليا التي تحرص عليها الشعوب المتمدينة لم تكن ذات معنى ثابت في أذهانهم وربما كانت خيالاً بعيد التحقيق.

وفي الوقت الذي أبدع فيه الإسلام كثيراً من المثل العليا التي احتذى بها الشعب العربي كانت الأمم ذات الحضارة السالفة قد فقدت مثلها العليا، فلم يبق لحب الوطن أو للأمجاد الدينية أثر في نفوس أبنائها الذين غلبت عليهم مصالحهم الذاتية وشهواتهم على كل شيء.

لم يلبث الإسلام أن منح العرب مصالح مشتركة، وآمالاً متماثلة، ووجه جهودهم نحو هدف واحد، مما أدى إلى تجانسهم الروحي في وقت كانت أركان العالم فيه متداعية، وفوق ذلك كانت أمة العرب تتمتع بصفات حربية ممتازة، ولم يتطلب ما يحتاجه الفاتحون من شجاعة وحب القتال، فقد خبروا ذلك منذ كانوا يمارسون الحروب [illegible] سنة، ثم ازدادوا بالإسلام حبا في الشهادة، أملاً في الجنة التي وعدوا بها.

قوبل الدين الإسلامي في انتشاره بالكثير من ضروب المقاومة والتعويق شأن أي مبادئ جديدة تقدمية تعمل على أن تحل محل تقاليد متوارثة ومثل بالية، وقد كتب للدين الإسلامي أن يخرج من كل معارك المقاومة والتعويق منتصراً، ولم يكن الدين الإسلامي في انتشاره مدينا للزحف العسكري المدعم بالقوة الحربية. كما دعى

(1) يرجع في هذا بالتفصيل «تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي» للدكتور أبو زيد شلبي (ط. 2 القاهرة).

إليه بعض الدارسين - بل إن الباحث المنصف يرى أن الشك [illegible] الإسلام، [illegible] العوامل الهامة التي ساعدت الانتشار.

انتشر الإسلام وبسط سيادته على مناطق شاسعة بالدعوة، وبالدعوة وحدها اعتنقت الشعوب - التي قهرت العرب كالأتراك والمغول - الإسلام، وبالدعوة انتشر الإسلام في الهند وغيرها من الأقطار التي لم يكن العرب فيها غير طارقي سبيل. وبالدعوة [illegible] عدد المسلمين يزيد يوماً بعد يوم.

حيث اتصل العرب - منذ الوقائع الأولى - بسكان البلاد المجاورة وجدوهم على استعداد لتقبلهم لأنهم كانوا يأملون فيهم الخلاص، ثم إن عادة المسلمين أحجموا تماماً عن [illegible] على الإسلام، ولكن جعلوا [illegible]، وابتعدوا عن الالتجاء إلى السيف، وأظهروا احترامهم لديانات الشعوب وعاداتهم، مكتفين في مقابل حماية هذه الشعوب بضريبة معينة لا تقارن في [illegible] بالضرائب التي كانت تدفع للسادة السابقين، والتزم العرب بالشروط التي عقدوها مع المغلوبين. وتمكنوا بفضل سياستهم من حمل الكثيرين على اعتناق الإسلام عن عقيدة واقتناع، وتعلم لغة الدين الجديد.

ظل نفوذ العرب الديني واللغوي ثابتاً في البلاد التي فتحوها حتى بعد أن زالت سيادتهم السياسية منها، ورسخ النفوذ الديني بخاصة في الأقطار التي فتحوها رسوخاً لم يستطع فاتح أن يزعزعه.

الحضارة العربية والإسلام

تعني الحضارة عموماً تقصي مظاهرها [illegible] والمعنوية، تلك المظاهر التي يتألف من مجموعها تاريخ الأمة، ومدى ما بلغته حضارياً باعتبار مستوى الأمم الأخرى المعاصرة. ولن يكون بلوغها هذا المستوى فجأة أو طفرة واحدة، وإنما تسبح ذلك على مدى الأجيال التي تتوالى، ويكفل كل جيل منها بما تفرضه ضرورات الحياة نحو مستقبل أفضل، وعليه فالحضارة سلسلة متصلة الحلقات، كل [illegible] وهذا ما نلاحظه جلياً في حضارة الأمة العربية [illegible] الإسلام فكان نقطة ارتكاز [illegible] على جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعلى سبيل المثال - لا الحصر [illegible]

نرى الإسلام من الجهة السياسية قد دعا إلى حرية الرأي والشورى، وحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ومن **الوجهة الاجتماعية** نراه قد حارب التعصب للجنس أو [illegible]، ونادى بالمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات، وبحرية العقيدة في ظل القانون، كما حارب استعباد الإنسان لأخيه الإنسان، وبالنسبة لنصف المجتمع وهو المرأة نراه يضعها حيث أهلتها الطبيعة، موضحاً شأنها [illegible]، منظماً للعلاقة بينها وبين الرجل، ومن **الوجهة الاقتصادية** نرى الإسلام يحترم الملكيات العامة لصالح المجموع. ولم يفته أن ينبه على الالتزامات الواجبة على الإنسان نحو فئات معينة في المجتمع. كما وضع نظاماً محدداً ودقيقاً للميراث، موضحاً كافة مستحقيه، إلى غير ذلك.

وهكذا نلمس بوضوح وجلاء أن مثل هذه القوانين وتلك المبادئ قد ساعدت الأمة العربية في تقويم [illegible] وأهلتها لدور حضاري عاش على تراثه، واستقى من نبعه غير العرب كما سنرى في هذا العرض. لكن لا مناص من القول أن بعض هذه المبادئ قد كان لدى العرب، تبعاً لما قررناه من نظرية التطور الحضاري قبل الإسلام في صورة اتجاهات أو تقاليد، فإن نسبتها إلى الإسلام مرجعها لأنها - أي هذه المبادئ - قد اكتسبت في هذا الدين طابعاً خاصاً، وتميزت بروح جديدة.

قبل [illegible] العالم [illegible] كانت تتنازعه دولتان [illegible] حجمهما ووزنهما، تتحكمان في شؤونه، أولاهما: دولة الفرس ذات النفوذ العظيم في آسيا، وذات الصراع الطويل المدى مع دولة الروم وهي الدولة الأخرى التي بسطت نفوذها في أوروبا الجنوبية وفي مساحة

عظيمة من الشرق الأدنى والشمال الإفريقي، وكلا الدولتين كانت تسودهما علاقات سيئة متعادية، بحيث قد نالت الحروب الطاحنة من كيانهما بفعل الاحتكاكات المباشرة ولم تكن أوروبا عامة حينئذ بأحسن حالاً، إذ كانت تعاني من عوامل انتشار الفوضى والانقسامات المذهبية فعقدت تلك الأمم مشاعل العلم وسادت بينها المبادئ التافهة والأساطير في الوقت الذي منح الإسلام فيه أهله المثل العليا، والأهداف السامية، فجاسوا روح وحب الوطن ووحدة الكفاح، وقد تجلى كل هذا لدى العرب استعداد فطري لما تشتهيه النفس البشرية نحو سعادتها في الدارين، مروءة وشجاعة، وفروسية بنورها الإسلام، فأصبحت حب في أن ينال أصحابها شرف الشهادة، أملاً في جنات عدن، «وعد الله، لا يخلف الله وعده».

ولم تكن الطريق أمام الدعوة الإسلامية مفروشة بالورود والرياحين شأن أي دعوة تقدمية في مثل تلك الظروف العالمية، والعالم لتلك الموازنة، وهكذا كان لابد للإسلام من معوقات ومصادمات ومع هذا فقد عقد الله بلوائه النصر المبين، وغني عن البيان أن دعماً يمثل بمثل هذه المبادئ الرفيعة السامية لصالح البشرية جمعاء، لجدير به أن يحقق الانتصار المنشود على المدى البعيد، لاسيما وأن تطبيقه لتلك المبادئ بين المجتمعات [illegible] [illegible] من بطلان نظرية بعض المستشرقين، تلك التي تقول [illegible] الدين الإسلامي مدين لانتصاراته بالزحف البشري المدعم بقوة السلاح.

لقد أدى الرسول ﷺ دوره كمؤسس للدولة الإسلامية في الجزيرة العربية، وما [illegible] الوحدة السياسية بين ربوع الجزيرة نتيجة حتمية للوحدة الدينية التي غرس الرسول بذورها فنبتت البذور حينئذ، وتعهدها الخلفاء الراشدون بما أوتوا من حكمة الرأي، ورباطة الجأش والقدوة المثلى بحيث لم يبزغ شمس القرن السابع الميلادي إلا وقد نشأت في العالم دولة عظيمة لأول مرة في التاريخ، حاملة لواء حضارة إنسانية فريدة، وأنبت البشر بالحبور في ديار الله أفواجاً واتسعت رقعة الإمبراطورية الإسلامية فشملت بقاعاً

فسيحة الأرجاء مترامية الأطراف، تجمعها وحدة الدين واللغة والهدف، وفي ظل هذه الوحدة نمت نواة الحضارة العربية في طول البلاد وعرض الأقطار ما يقرب من تسعة قرون، كان العرب والمستعربون خلالها يبذلون قصارى جهدهم في سبيل إسعاد الإنسانية قاطبة.

فخلال القرن الأول... استطاع الخلفاء الراشدون فتح أقاليم فارس وسوريا والعراق ومصر، وشرعت جيوش [illegible] أقاليم المغرب، ثم جاء معاوية مؤسس دولة بني أمية واتخذ من دمشق عاصمة، ومن هذه البقعة بالشام [illegible] جيوشه [illegible] الشمالية، وتمكن بأسطوله من الاستيلاء على عدد من جزر البحر المتوسط، وتبعه خلفاؤه من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فتح [illegible] التي ظلت دولة الإسلام بها نحواً من ثمانية قرون، كما توغلوا في جنوبي فرنسا، ولم يثنهم عن متابعة الفتوح في أوروبا إلا نداء الخليفة في دمشق بإيقاف الزحف، لسبب [illegible].

ويأتي القرن الثاني... لنجد العرب قد صرفوا همهم [illegible] [illegible] الدولة، وأصبحت بغداد عاصمة الخلافة [illegible] التي أنشأها الخليفة المنصور عام 762م، وفي هذه الفترة [illegible] الفتوحات أوجها، ولا سيما بعد أن فتح المسلمون شطر [illegible] به من آسيا، واتجهت الجهود بعناية وخاصة في العصر الأول [illegible] الارتقاء بمركز العرب الحضاري، وهكذا نرى العلوم والفنون والآداب وقد ازدهرت أيما ازدهار في عصري الرشيد والمأمون، ثم ما [illegible] بعضها روابط الأمة الإسلامية تنحل عراها، وتتمثل هذه في استقلال الأقطار الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، وإن ظلت الحضارة العربية في مسيرتها وتنافست الشعوب الإسلامية في سبيل ازدهارها.

ويأتي القرن الثالث... ليشهد تطورات هامة، لعل أبرزها أن الخضوع المفروض للسلطة المركزية في المدينة أو دمشق أو بغداد قد أصبح اسماً على غير مسمى، وأضحى العمال يستولون على السلطة، ومن ثم يستقلون بالأقاليم التي يهيمنون عليها، ومن هذه الظواهر قيام الدولة

الأموية الجديدة في الأندلس أوائل العقد الخامس من القرن الثاني الهجري / منتصف الثامن الميلادي، وماثلا ذلك شمال الجزيرة من ظهور الحسن بن زيد على الشاطئ الجنوبي لبحر قزوين، وتأسيسه دولة علوية هناك، وفي الجنوب كانت حركة المدعي العلوي صاحب الزنج، الذي قاد حركة ثورية طبقة العبيد الكادحين، فكانت ثورة مدمرة، ظهرت بادئ ذي بدء بالبصرة وسرعان ما استولت على البلاد المجاورة. أما في مصر فقد استقل أحمد بن طولون بحكمها بعد صراع عنيف مع الخليفة الموفق بالله العباسي. ويكاد يكون القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) امتدادا للانقسامات التي أصابت العالم الإسلامي، بحيث فقدت بغداد مركزها القيادي، وتفقد رايته الظاهرة لتكون دعامة الإسلام، ومصدقة له. وفي أثناء القرن الخامس (الحادي عشر الميلادي) يأتي الأتراك السلاجقة لينتزعوا السلطة من خلفاء بني العباس، وتدور رحى الحروب الصليبية، فتتضاعف المحن على الشرق الإسلامي خاصة، وينتقص جسم الإسلام في بعض مناطقه، لاسيما في صقلية والأندلس.

وخلال القرنين السادس والسابع (الثاني عشر والثالث عشر الميلادي) .. يتمكن المسلمون من طرد الصليبيين بعد صراع مرير ولكن سرعان ما داهم المسلمين خطر المغول، بعد أن استولوا على بغداد (عام 656 هـ/1258م) وبذا سقطت الخلافة العباسية، بعد أن عمرت نحو من خمسة قرون.

وفي القرن الثامن (الرابع عشر الميلادي) يدخل المغول في صراع عنيف للاستئثار بالسلطة في المشرق العربي، وبمجيء القرن التاسع (الخامس عشر الميلادي)، ينحسر نفوذ الإسلام عن الأندلس، بعد أن عمرت به نحو ثمانية قرون، وذلك بسقوط غرناطة بالتسليم في يد الملكين الكاثوليكيين فرديناند وإيزابيلا 2 يناير 1492 م.

هذا وينبغي ألا يغرب عن أفكارنا أن هذه الحركات الاستقلالية في العالم الإسلامي، وتلك التطورات السياسية في هذا القطر أو ذاك، إنما هي على المدى البعيد تعبير جليّ عن الأحاسيس القومية والإقليمية؛ فمن المعلوم أن الإسلام انتشر انتشاراً قوياً وسريعاً على مساحات جد فسيحة واسعة وبسط سلطانه بمبادئه على أقوام ذوي عراقة حضارية مشهورة كالفرس والمصريين، فوجد هؤلاء وأولئك في قومياتهم - إبان خضوعها للسلطة المركزية في دمشق ثم في بغداد - متنفسا في الحركات الاستقلالية التي تمت في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وما تلاه، ومن الإنصاف القول هنا بأن هذه الحركات كانت خيراً وبركة من الوجهة الحضارية لا أكثر؛ فقد أضرمت نيران التنافس بين البيئات الإسلامية فكراً وإنتاجاً في شتى ألوان المعرفة، ذلك التنافس الذي بشر بالنهضة العربية الشاملة عندما بلغت الدولة أوجها في هذا المجال الإنساني، ولا أدل على ذلك من تلك الحضارة التي ظلت ماثلة للعيان، وبرهانا حصيناً للدراسات العلمية.

القاهرة - د. محمد كمال شبانة

من الإعجاز القرآني

صيانة السنة

للأستاذ المكي اقلاينة

نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ لهداية الناس إلى الدين القويم، وإنقاذهم من ضلالة الكفر، مقدماً لهم الدليل تلو الدليل على صدق رسالة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، متحدياً البشرية جمعاء أن يعارضوه، كما في قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[1] فلما ظهر العجز من القوم، تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، كما في قوله عز وجل ﴿أم يقولون افتراه، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾[2]، إلا أنهم ما قدروا على ذلك، فانتقل بهم إلى أقصى التحدي عندما طالبهم بالإتيان ولو بما يشبه سورة واحدة، كما يتضح من قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه، قل فأتوا بسورة مثله، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾!

[illegible]

[illegible]

اليقين أن لا مناص للطرف الآخر من الإذعان والإعلان عن العجز، وهي بالتالي أفضل وسيلة لإفحام المخالف.

يضاف إلى ما سبق ذكره إخباره تعالى بقضايا ستحدث، ما تزال مطوية في عالم الغيب ثم تقع كما نص عليها القرآن الكريم، كما ورد في قوله عز وجل ﴿ألم، غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾[4].

ويطلع علينا بعد آخر يلمسه العالم والعامي، ألا وهو حفظه تعالى لكتابه من الزيادة والنقصان والتحريف، وبقاؤه إلى حد الآن محفوظاً أكبر دليل على صيانة الله تعالى له بدفع المسلمين إلى حفظه منذ عهد الرسول المصطفى، وكتابته بشكل جماعي، ونقله منهم بعض عن بعض إلى أن وصل إلينا، ولو تجرأ أحد على تحريف آية، لقام أكثر من واحد ليصحح ذلك، إذ لا يمكن أن تتفق

[1] سورة [illegible] الآية [illegible]
[2] سورة [illegible] الآية [illegible]

[3] سورة يونس الآية [illegible]
[4] سورة الروم الآية [illegible]

الأمة على السكوت على الضلال، وهكذا، يتحقق وعد الله : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[5].

ولو أنه أمكن وقوع الريب في القرآن، لأدى ذلك إلى تحريف الشريعة وإدخال أحكام فيها لا تمت إليها بصلة. لكن، شاءت مشيئة الخالق أن يحفظ الدين الإسلامي، وأن ينزه مصدره السامي عن كل الشوائب.

إلا أن المتأمل في القرآن، يجده محتاجا إلى البيان، وهو أمر موكول إلى رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، وفي ذلك قال الباري سبحانه : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[6].

وسبب هذا البيان أن من الآيات ما جاءت مجملة تحتاج إلى تفصيل كما هو الشأن في الآيات المتعلقة بالأمر بالصلاة، فقد وردت دون بيان لكيفيتها ولعدد ركعاتها وسجداتها، فقام الرسول بتوضيح ذلك.

كما أن من الآيات ما وردت مطلقة في حين أن المراد منها محدد، فقامت السنة بتقييدها بقيد يقلل شيوعها، فقد ورد الحكم الشرعي في الكتاب بقطع يد السارق في قوله تعالى : ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾[7]. واليد في العربية تطلق على العضو الممتد بالكتف والمنتهي بالأنامل، فيعتقد المرء أن القطع لكل هذا العضو، إلا أن السنة حددت القطع بالرسغ.

وبالإضافة إلى ذلك، جاءت آيات ذات حكم عام، كما في قوله عز وجل : ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[8]، فكان الحكم عاما وشاملا لكل الأولاد. فقامت السنة بتخصيص هذا العموم بأن الذي يشمله الحكم هو الولد غير القاتل، أما الولد القاتل مورثه فلا يرثه، لقوله عليه السلام : «لا يرث القاتل».

وإلى جانب هذه الأدوار التي تقوم بها السنة، نجدها تضيف أحكاما جديدة لم ترد في القرآن، كتحريم لحم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع[9].

وإذا كان الأمر كما قلنا، فإن القرآن محتاج إلى السنة، إذ بدونها لا يمكن أن نفهم جملة من الآيات، ولا يمكن للمرء أن يعرف كيفية الصلاة، ولا مقدار الركعات، الشيء الذي سيؤدي إلى تعطيل الأحكام لو أننا تجاهلناها، لذلك كان التأكيد في القرآن على ضرورة اتباع سنة رسول الله وطاعته، حيث قال عز وجل : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب﴾[10]. وقال أيضا : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[11] وقال أيضا : ﴿فلا وربك، لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت، ويسلموا تسليما﴾[12].

والرسول قد أمر ونهى، فكان من اللازم اتباع قوله لأنه تشريع للمسلمين، فهل يتصور ضياع شيء منه ؟ ثم هل يتصور اختلاط السنة بافتراء المفترين ؟

إن تصور إمكان ذلك، يعني إمكان كون الشريعة ناقصة حاملة لجهالة بكثير من الأحكام كما يعني أن علماء الأمة الإسلامية قد فرطوا فيها بعد كمالها، وفي كتاب الله العزيز : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[13]. كما يعني أيضا اختلاط المنهج الرباني بكذب المدعين إلى حد عدم القدرة على التفرقة بين هذا وذاك.

---

(5) سورة الحجر آية 9

(6) سورة النحل آية 44

(7) سورة المائدة آية

(8) سورة النساء آية

وبناء على هذه المسألة قرر الفقهاء قاعدة فقهية : من استعجل الأمر قبل أوانه، عوقب بحرمانه.

(9) هناك من العلماء من يقول إن هذا ليس إضافة جديدة، إنما يعتبر من نوع البيان أو الإلحاق بما ورد في القرآن.

(10) سورة الحشر آية 7

(11) سورة النساء آية 80

(12) سورة النساء آية 65

(13) سورة المائدة آية 3

إن الدارس لكتاب الله، يجد قوله تعالى عن رسوله: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾[14]، كما يجد أيضا: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾[15] وقال عز وجل آمرا رسوله: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾[16]، وفي هذا الوحي قال سبحانه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[17].

وبناء على ما سبق ذكره من الآيات، أكد ابن حزم على أن كلام رسول الله ﷺ كله في الدين وحي من عند الله عز وجل، وأنه لا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة أن كل وحي نزل من عند الله سبحانه فهو ذكر منزل، وهو كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون أن لا يضيع منه وأن لا يحرف منه شيء أبدا تحريفا لا يأتي البيان ببطلانه، فإذ كان ذلك كذلك، فبالضرورة ندري أنه لا سبيل البتة إلى ضياع شيء قاله رسول الله ﷺ في الدين، ولا سبيل البتة إلى أن يختلط به باطل موضوع اختلاطا لا يتميز عن أحد من الناس بيقين، إذ لو جاز ذلك، لكان الذكر غير محفوظ[18].

وهذه نظرة دقيقة لابن حزم تحسب له. ولنا أن نتساءل الآن عن كيفية هذا الحفظ؟

لقد خلق الله أمة حريصة على نقل شريعة الله بأمانة بعيدة عن الأهواء واختلاق الكذابين، هذه الأمة التي مما أمر رسول الله ﷺ بالاحتشاد في المسجد ليخطب فيهم، فكانت جماعة: «دونت أول كلمة يتكلم بها رسول الله ﷺ، وأنت التي تليها، فلا يفوتكم شيء من كلام رسول الله ﷺ»[19].

وكانت رواية الحديث تعتمد فيما تعتمد على الكتابة[20]، فنجد عبد الله بن عمرو بن العاص له صحيفة سماها «الصادقة»، كتبها من فم الرسول، وعند أبي بكر الصديق صحيفة في الصدقات (أي الزكوات)، وعند علي بن أبي طالب صحيفة في العقل (أي العقوبات المتعلقة بالجرح والقتل) معلقة في غمد سيفه.

إلا أن الرواية المكتوبة لم تكن منتشرة وشائعة، فقد كانت الصيغة العامة لنقل الحديث: الرواية الشفوية فكيف تم ضبطها؟

لقد كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه ويحدثهم في دار الأرقم أول الأمر، ثم في بيته، وبعد بناء المسجد، فينتقل التعليم إليه. والتعليم في المساجد مفضل عند العلماء، لأن هذه الوسيلة تقوم بتعميم المعرفة، وتجنب الناس الحرج الذي قد يحسونه في غيرها يحتاج فيه إلى قصد الحاجات. وفي ذلك، قال ابن الحاج العبدري: «والمقصود بالتدريس كما تقدم، إنما هو التبيين للأمة وإرشاد الضال وتعليمه، ودلالة الخيرات، وذلك موجود في المسجد [illegible] ضرورة، وإذا كان المسجد أفضل،

---

14 سورة النجم، آية 4.

15 سورة الأحقاف، آية 9.

16 سورة النحل، آية 44.

17 سورة الحجر، آية 9.

18) ابن حزم، الأحكام 121/1 - 122، ويعتبر ابن حزم أول من صرح في تحليل متماسك أنه لم يضع من الحديث شيء.

19) الكتاني: التراتيب الإدارية 236/2، وأخرجه أبو نعيم عن أبي أمامة.

20) لقد وردت أحاديث تنهى عن كتابة الحديث، منها رواية أبي سعيد الخدري أن النبي عليه السلام قال: «لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن، فمن كتب عني غير القرآن فليمحه»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نكتب الأحاديث فقال: ما هذا الذي تكتبون؟ قلنا: أحاديث سمعناها منك. قال: أكتابا غير كتاب الله تريدون؟ ما أضل الأمم قبلكم إلا ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله. قال أبو هريرة: فقلت: أنتحدث عنك يا رسول الله؟ قال: نعم، تحدثوا عني ولا حرج، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».
إلى جانب هذا وردت أحاديث تبيح الكتابة، كما في رواية ابن عمر قال: «يا رسول الله، أنقيد العلم؟ قال: نعم. قلت: وما تقييده؟ قال: الكتابة». انظر التعصيب [illegible] «تقييد العلم». وقد فسر العلماء هذا التعارض بأقوال منها أن المنع كان في بداية الأمر خشية اختلاط الحديث بالقرآن، فلما أمن ذلك أباح [illegible].

21) ابن الحاج العبدري، المدخل 88/1، وذكر تفصيل ذلك في المنهج [illegible] عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، الفصل الأول، من [illegible] في مرحلة الطبع.

فينبغي أن يبادر إلى الأفضل ويترك ما عداه، اللهم إلا لضرورة، والضرورات لها أحكام أخرى[21].

وكان عليه السلام يبعث أصحابه أفرادا وجماعات إلى القبائل قصد تعليم أهلها الدين الإسلامي، كعمار بن ياسر الذي بعثه إلى حي من قيس[22]، ومعاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري اللذين بعثهما إلى اليمن[23]، وحرام - خال أنس - الذي أرسله في سبعين من الأنصار يقال لهم القراء إلى قوم يعلمونهم[24].

وكانت الرحلة إلى الرسول للسماع منه، فانتشر حديثه بين الصحابة، يبلغ الحاضر الغائب لحثه عليه السلام على ذلك، إذ قال فيما رواه عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»[25].

وعلى هذا، نجد الصحابة في تمام التركيز وهم في مجلس رسول الله ﷺ، فإذا قام، تذاكروا فيما بينهم حديثه قصد حفظه وضبطه، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «كنا نكون عند النبي ﷺ، وربما كانوا نحوا من ستين إنسانا فيحدثنا رسول الله ﷺ، ثم يقوم، فنتراجعه بيننا هذا وهذا، فنقوم وكأنما قد زرع في قلوبنا»[26].

وهكذا المذاكرة زادت أهميتها وأثرها في عهد الصحابة، خصوصا وقد التحق الرسول بالباري عز وجل، إذ أصبحوا أكثر من أي وقت مضى، يشعرون بضرورتها لضبط الحديث ونشره، لذلك نراهم يحثون طلبتهم عليها، لأن تركها يؤدي إلى تفلت الحديث من الذهن، فعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «تذاكروا هذا الحديث وتزاوروا، فإنكم إن لم تفعلوا يندرس»[27].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «تذاكروا الحديث، فإن ذكر الحديث حياته»[28].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ردوا الحديث وتذاكروه، فإنه إن لم تذكروه ذهب، ولا يقولن رجل لحديث قد حدثه: قد حدثته مرة، فإنه من كان سمعه يزداد به علما، ويسمع من لم يسمع»[29].

ونتيجة ذلك، أنه إذا أخطأ أحد الرواة، يصحح له آخر خطأه، مثلما روى عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون»، وأخبروا عائشة بذلك، فقالت: «يرحم الله أبا عبد الرحمن، إنما قال: الشهر يكون تسعا وعشرين»[30].

وبهذا، يتضح أن الصحابة كانوا حريصين على ضبط السنة ضبطا دقيقا، يصل إلى درجة الوقوف عند الحرف الواحد، ويتكبدون مشاق الرحلة إلى من سمع معهم حديثا معينا قصد التأكد من ضبطهم له. من ذلك، ما رواه عبد الله بن بريدة «أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فضالة بن عبيد، وهو بمصر، فقدم عليه وهو يمد لناقة له، فقال: مرحبا، قال: أما إني لم آتك زائرا، ولكن سمعت أنا وأنت حديثا من رسول الله ﷺ، رجوت أن يكون عندك منه علم، قال: ما هو؟ قال: كذا وكذا»[31].

وبهذه الطريقة، حافظ الصحابة على حديث رسول الله ﷺ، ونشروه في الأصقاع علما وعملا، وهم أنفسهم ما كانوا ينتقلون من آيات إلى أخرى حتى يعلموا ما فيها ويعملوا بمضمونها، يدل على ذلك ما رواه أبو عبد الرحمن السلمي قال: «حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر

---

(22) المنذري: الترغيب والترهيب 91/1.
(23) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء 350/1.
(24) صحيح البخاري: وتر 7، مغازي 28، وصحيح مسلم: مساجد 301، 302، ومسند أحمد بن حنبل 270/3.
(25) جامع الترمذي 372/3 وقال: حديث حسن صحيح. وانظر سنن أبي داود: علم 10، وسنن ابن ماجة: مقدمة 18، ومناسك 76، وسنن الدارمي: مقدمة 24، ومسند أحمد 437/1، 225/3، 80/4، 82، 183/5.
(26) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه 127/2.
(27) سنن الدارمي 150/1، ومستدرك الحاكم 95/1، وابن عبد البر: جامع بيان العلم 101/1.
(28) مستدرك الحاكم 95/1.
(29) سنن الدارمي 147/1.
(30) مسند أحمد بن حنبل 53/6.
(31) سنن الدارمي 142/1.

آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا : فعلمنا العلم والعمل»[32]

وعن علي بن أبي طالب قال : «يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل، ووافق علمه عمله»[33].

ومما لا شك فيه، أن التطبيق العملي للعلم يزيده رسوخا في الذهن. وهذا الارتباط الوثيق بين العلم والعمل راجع إلى كون المسلم مأمورا بتطبيق التعاليم الدينية سواء ورد الأمر في كتاب الله عز وجل أو في حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، الأمر الذي يجعله يجزم أن هذا العمل ما كان ليحمد لو نطق به من تلقاء نفسه لا عن الخالق من أوامر، خصوصا مع علمه بالوعيد الذي ينتظر من يعلم ولا يعمل.

وعلى هذا الأساس، فرواية الحديث كانت عن طريق الكتابة منذ عهد الرسول، ومشافهة التي عمل على حفظها كل من المذاكرة والرحلة والتطبيق، فبقيت السنة نقية من الشوائب لوعي المسلمين بخطورة القضية، إذ أن عدم ضبطها يعني إمكانية دخول أحكام في الشريعة في حين أنها براء منها، لذلك، نجد من الصحابة من يستحلف الراوي، كصنيع علي بن أبي طالب مع ثقة الراوي. وفي هذا الشأن قال : «كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا، نفعني الله عز وجل بما شاء أن ينفعني منه، وإذا حدثني غيره استحلفته، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر»[34].

وكصنيع عمر بن الخطاب مع أبي موسى الأشعري عندما استأذن عليه ثلاثا فلم يؤذن له فرجع، فأرسل في إثره فقال : «ما لك لم تدخل ؟ فقال أبو موسى : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك فادخل، وإلا فارجع. فقال عمر : ومن يعلم هذا ؟ لئن لم تأتني بمن يعلم ذلك لأفعلن بك كذا وكذا. فخرج أبو موسى حتى جاء مجلسا في المسجد يقال له مجلس الأنصار فقص عليهم الأمر وقال : فمن كان سمع أحد منكم فليقم معي، فقالوا لأبي سعيد الخدري : قم معه - وكان أبو سعيد أصغرهم - فقام معه، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب»[35].

وما كان ذلك بتكذيب منهم لبعضهم، فهم عدول وشهد لهم بعدالة الخالق وشهادة رسوله، وإنما هو للاطمئنان القلبي، كالذي قاله إبراهيم لربه : «وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أو لم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي»[36]. وإلا، فإن عليا إنما كان يستظهر بالأيمان على بعض من حدثه ليوثق بلفظ النبي ﷺ كما حدثه ولا يرويه على المعنى[37]، وهذا منه زيادة في التحري والضبط. وأما موقف عمر فإنه يتضح عند دراستنا للحديث كاملا، حيث نجده يقول لأبي موسى : «أما إني لم أتهمك، ولكني خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ. وقد حمل ابن عبد البر ذلك بكون عمر رحمه الله كان عنده في ذلك الحين من لم يصحب رسول الله من أهل العراق والشام وغيرهم، لم يستحكم الإيمان في قلوب جماعة منهم، وهؤلاء ممن يجوز عليهم الكذب عند الرهبة والرغبة أو طلب للحجة، وفرارا إلى الملجئ بقلة علمهم بما في ذلك عليهم، فأراد عمر أن يريهم أن من فعل ذلك منهم ينكر عليه، ويجب التثبت فيما يرويه إن لم نعرف حاله حتى يصح قوله، ففعل ذلك مع أبي موسى، وإن كان عنده معروفا بالعدالة غير متهم، ليكون ذلك أصلا وقاعدة عندهم[38].

لما دخل الإسلام إذن، أقوام في قلوبهم مرض، فدفعهم من إسلامهم تقويض صرح الدين من الداخل بعد فشلهم من هدمه من الخارج، وأرادوا أن يفتروا على الرسول، نجد من

32) مسند أحمد 410/5، وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى بنحوه 6/6

33) ابن عبد البر : جامع بيان العلم 7/2

34) أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وابن ماجه وغيرهم

35) أخرجه البخاري ومسلم ومالك وغيرهم

36) [illegible]

37) أبو الوليد الباجي : إحكام الفصول، ص : 335

38) ابن عبد البر : التمهيد [illegible]

يقف في وجههم، وقد تبين لنا أن المحدثين، ابتداء من عهد الصحابة، ينتقدون كلام رسول الله تنقدا دقيقا.

ثم سيظهر البحث في الرجال منذ وقت مبكر جدا، [illegible] النص المنقول عن محمد بن سيرين - وهو من [illegible] التابعين - الذي قال فيه : لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع، فلا يؤخذ حديثهم[39] ومن طريف الوقائع التي تثبت حرص المحدثين على السنة وأخذهم عن العدول من الرواة ما رواه عفير بن معدان قال : قدم علينا عمر بن موسى حمص، فاجتمعنا إليه في المسجد، فجعل يقول : ثنا[40] شيخكم الصالح، ثنا شيخكم الصالح، فلما أكثر قلت له : ومن شيخنا الصالح؟ سمه لنا حتى نعرفه، فقال : خالد بن [illegible]

[illegible] في غزاة [illegible]

[illegible]

تكتب، مات خالد بن معدان سنة أربع ومائة، فأنت تزعم أنك لقيته بعد موته بأربع سنين، وأزيدك أخرى إنه لم يغز [illegible][41]

[illegible] داخلة في صلب منهج المحدثين، إذ يقومون بتحديد تواريخ الولادات والوفيات والرحلات لمعرفة مدى إمكان لقاء الراوي للمروي [illegible] وفي ذلك قال سفيان الثوري : «لما استعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ»[42]

ثم تدخل السنة طورا جديدا، ألا وهو التدوين الرسمي لها، ويجد الباحث بذور المحاولة الأولى التي قام بها عبد [illegible] الأموي (ت 85 هـ) - والد عمر [illegible]

حسب أن عبد العزيز كتب إلى كثير بن مرة الحضرمي توفي ما بين سنة 70 هـ و80 هـ[43] وكان قد أدرك بحمص سبعين بدريا من أصحاب رسول الله ﷺ، يطلب منه أن [illegible] إليه بما سمع من أصحاب رسول الله ﷺ من [illegible] إلا حديث أبي هريرة، فإنه عندنا»، كما قال[44] فقد كان سمعه منه.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار المدة التي كان فيها عبد العزيز أميرا - وهي تمتد ما بين سنة 65 هـ و85 هـ - وبوفاة كثير الحضرمي [illegible] التي وجه فيها عبد العزيز طلبه ما بين سنة 65 هـ و80 هـ.

وإذا علمنا أن عبد العزيز كان محبا للعلم وأهله، [illegible] في خدمة الدين[45]، استطعنا ترجيح كون النداء في السنين الأولى من إمارته، ومن البديهي أن يستجيب كثير الحضرمي لهذا النداء خصوصا وأنه وجه إليه من الأمير، ولأنه قادر على تلبيته لعلمه، لكن، لا نعلم كتابة خبر فلعله لم يكتب له التدوين ولم يطلع عليه إلا الأمير أو هو وبعض خواصه، وإلا فإنه يبقى احتمال آخر، وهو أن الطلب وجه إلى كثير في السنين الأخيرة من حياته فلم يتمكن من تلبيته، ولم ينتشر الخبر بين الناس لأن الأمير لم يأمره بحث العلماء على تدوين الحديث.

في جميع الحالات، كان الشعور بضرورة التدوين [illegible] وقت مبكر جدا، وعدد غفير من الصحابة على قيد الحياة يمكن سؤالهم

ثم سيتكرر هذا النداء على عهد عمر بن عبد العزيز الذي تولى الخلافة سنة 99 هـ وتوفي سنة 101 هـ، إذ أرسل إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم (ت 120 هـ) عامله وقاضيه على المدينة : «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب

(39) مقدمة صحيح مسلم 84/1.
(40) [illegible]
(41) يعقوب البسوي، كتاب المعرفة و[illegible]
(42) ابن حجر، تهذيب التهذيب 429/8.
(43) ابن سعد، الطبقات الكبرى 157/7، وابن حجر، تهذيب التهذيب [illegible] 424.
(44) ابن حجر، تهذيب التهذيب 356/6.
(45) [illegible] النجوم الزاهرة 171/1 - 174.

[illegible] كتب [illegible] إلى ولاة الأمصار كلها، وكان أول [illegible] محمد بن مسلم بن شهاب الزهري [illegible][46].

[illegible] الحضرمي [illegible].

أم أن الزهري لم يكن عالماً بما قام به الحضرمي ؟

أم أنه يقصد أنه لم يسبق إلى عمل تدوين [illegible] ؟ لأنه كان يخرج الأجزاء الحديثية إلى طلبته ويمليها عليهم، بخلاف عمل الحضرمي

كل ما سبق ذكره ممكن ما دامت الأدلة [illegible]

ثم شاع التدوين بعد ذلك فأول من جمع الحديث بمكة : ابن جريج (ت 150 هـ) وابن إسحاق (ت 151 هـ).

وبالمدينة : سعيد بن أبي عروبة (ت 156 هـ) والربيع بن صبيح (ت 160 هـ)، والإمام مالك بن أنس (ت 179هـ).

وبالبصرة صنف حماد بن سلمة (ت 176 هـ).

وبالكوفة : سفيان الثوري (ت 161 هـ).

وبالشام : أبو عمرو الأوزاعي (ت 156 هـ).

وباليمن : معمر بن راشد (ت 153 هـ)

☆ ☆ ☆

وارتبط هذا المكتوب بعمد المحدث إلى العرض والمقابلة، وقد طبق مبدأ العرض منذ عهد الرسول الكريم، وهي عبارة عن قراءة الطالب في كتابه على المروي عنه ليتثبت من سلامة كتابه من الخطإ كما كان يفعل زيد بن ثابت عندما ينتهي من كتابة ما يملي عليه الرسول من الوحي أو غيره يقرأه عليه، حتى إذا ما كان فيه سقط أقامه[47].

وقد أكد المحدثون على ضرورة العرض، فنجد الأوزاعي يقول : «مثل الذي يكتب ولا يعارض، مثل الذي يدخل الخلاء ولا يستنجي»[48].

أما المقابلة، فقد ظهرت وانتشرت بانتشار الكتب فكان الطالب يملى عليه أو من حصل على كتاب، يتوجه إلى الشيخ أو إلى من عنده الكتاب الأصل ليقابل كتابه بكتابه حتى يتأكد من سلامة المنقول من الزيادة أو النقصان أو التحريف، وهي مثلها مثل العرض، يقوم المصحح بوضع دارة بعد نهايته من مقابلة كل حديث [illegible]

ووضع الدارات علامة على أن الحديث قد قوبل إما على كتاب أصل، أو فرع صحيح عرض على الشيخ فأقر صحته على نحو ما هو مكتوب. وهناك من يضع النقط داخل الدارة قد تصل أحياناً إلى الثلاثة، علامة على أن الحديث قد قوبل ثلاث مرات، زيادة في الضبط كما كان يفعل الإمام أحمد بن حنبل

فإذا وجد صاحب الكتاب خطأ عنده، كأن يكون أقحم في كتابه كلمة مثلاً، أو وضع كلمة عوض أخرى، فإنه يضع خطاً عليها على ألا يمحو أثرها لتبقى مقروءة، ويفهم الناظر فيها حسن نية صاحبه وأنها ليست من فعل فاعل وفي ذلك، قال الرامهرمزي : «قال أصحابنا : الحك تهمة، وأجود الضرب ألا يطمس المضروب عليه، بل يخط عليه من فوقه خطاً جيداً بيناً يدل على إبطاله، ويقرأ من تحته ما خط عليه»[49].

وإذا ما وجد عنده كلمة وخاف أن تشكل عليه أو على غيره، وضع علامة تميزها عن غيرها لتأكيد على صحتها كما فعل عبد الله بن إدريس الكوفي لما حدثه شعبة بحديث أبي الحوراء السعدي عن الحسن بن علي، كتب تحته : «حور عين»، لئلا يغلط فيقرأ «أبا الجوزاء» لشبهه في الخط[50].

46) محمد بن جعفر الكتاني : الرسالة المستطرفة، ص [illegible]
47) القاضي عياض : الإلماع، ص : 161
48) القاضي عياض : نفس المرجع، ص : 160. وابن عبد البر : جامع [illegible]

[illegible] 78/1
49) الرامهرمزي : المحدث [illegible]
50) القاضي عياض : [illegible]

[illegible]

[illegible]

النصوص بحدمة أهدافهم، أو لا يتثبتون مما ينقلون، وفي هذا خطر كبير على البحث العلمي، وأي ما خطر!!

في سبيل خدمة الحديث سيوى تطورت مناهج المحدثين في التصنيف، فألفوا في السنن، ثم في الصحاح، إلا أنها كانت تجمع بين الصحيح والحسن والضعيف إلى أن جاء البخاري (ت 256 هـ) فأفرد كتاباً للصحيح، ثم تبعه تلميذه مسلم (ت 261 هـ) فألف فيه أيضاً كتاباً، وفي ذلك قال العراقي[1]:

أول من ألف في الصحيح
محمد وخص بالترجيح
ومسلم بعد وبعض الغرب مع
أبي علي فضلوا ذا لو نفع

والاسم الكامل لصحيح البخاري هو: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» ألفه في ست عشرة سنة، خرجه من ستمائة ألف حديث، كما قضى مسلم خمس عشرة سنة في جمع صحيحه، وسماه: «المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ»، فنوه في البلدان، ولقي الرجال، وميز بين العدل[52] الضابط من غيره.

☆ ☆ ☆

هذا النوع من الدراسة للرجال، سيظهر نوع جديد من التصنيف يتعلق بنقد الرجال لتبيين مدى عدالتهم وضبطهم وتصال الراوي بالمروي عنه وسماعه منه. فظهرت كتب خاصة بالثقات، ككتاب «الثقات والمتثبتين» لعلي بن عبد الله المديني (ت 234 هـ) و«تاريخ الثقات» لأحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت 261 هـ)، و«الثقات» لأبي العرب القيرواني (ت 333 هـ)، و«الثقات» لمحمد بن حبان البستي (ت 354 هـ).

وكتب خاصة بالضعفاء، «كالضعفاء من رجال الحديث» لأبي الحسن المدائني (ت 225 هـ)، و«الضعفاء» ليحيى بن معين (ت 233 هـ)، و«الضعفاء» لعلي بن المديني (ت 234 هـ)، و«الضعفاء» لعمرو بن علي الفلاس [illegible]

وكتب تجمع بين الثقات والضعفاء، «كمعرفة الرجال» ليحيى بن معين (ت 233 هـ) و«كتاب يحيى وعبد الرحمن في الرجال» لعلي بن المديني (ت 234 هـ)، و«العلل والرجال» لأحمد بن حنبل (ت 241 هـ)، و«معرفة الحديث ومعرفة الشيوخ» لأبي جعفر الفرضي» (ت 242 هـ) و«الجرح والتعديل» للحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي [illegible]

وكتب تهتم بالأسماء والكنى، فقد ألف في ذلك يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأبو بكر بن أبي شيبة (ت 235 هـ)، وأحمد بن حنبل (ت 241 هـ)[53].

كما ظهر نوع جديد من التأليف، ألا وهو جمع «الأحاديث» المكذوبة في كتب خاصة، ككتاب «الأباطيل» للجوزقاني (ت 543 هـ)، وتذكرة الموضوعات لمحمد بن طاهر المقدسي (ت 507 هـ)، والموضوعات الكبرى لابن الجوزي (ت 597 هـ).

ومما تجدر الإشارة إليه، أن المحدث لا يكتفي بكتابة الحديث وترك كتابه عرضة للتلف، بل يجمع بين ضبط كتابه عن طريق حفظه وكمثال على ذلك ابن حزم الأندلسي (ت 456 هـ) الذي أعاد كتابة جملة من كتبه من حفظه بعد أن أحرقت في إشبيلية، وفي ذلك،

---

[1] [illegible] 1989.

[52] مقومات العدالة أربعة وهي: 1 ـ الإسلام، وعلى هذا فرواية الكافر غير مقبولة. 2 ـ البلوغ، ولذا فرواية الصبي غير مقبولة على قول ابن الصلاح، وليس كذلك إذا لم يجرب عليه الكذب. 3 ـ العقل، فلا تقبل رواية المجنون والمعتوه. 4 ـ السلامة من أسباب الفسق وخوارم المروءة.

[53] انظر تفصيل ذلك في المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل للدكتور فاروق حمادة ص: 36 ـ 38.

يقول:[52]

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
تضمنه القرطاس، بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي
وينزل إن أنزل ويدفن في قبري

دعوني من إحراق رق وكاغد
وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري

وإلا فعودوا في المكاتب بدأة
فكم دون ما تبغون لله من ستر

والهدف من حفظ الكتاب هو القدرة على استذكار الأدلة دون حاجة إلى الرجوع إلى الكتاب لعدم وجوده حينا أو صعوبات توفره، ولأن الإنسان في حالة المناظرة يجب أن يكون حاضر البديهة، وأيضا حتى لا يراد عليه، كأن يعير كتابه لشخص، فيضيف هذا الأخير في الكتاب حديثا من عنده إلى الاختبار مدى حفظ المحدث، فإذا حدث به حكم عليه بالضعف وإما أن يكون هذا الشخص صديقا يريد فقط أن يلقي الشيخ. وأيضا حتى إذا ما ضاع منه الكتاب، استطاع كتابته من جديد.

لهذا، نجد من المحدثين من يحفظ كتابه حفظ الكتاب، ومنهم من يكتفي بصيانته حتى لا تمتد إليه الأيدي بالتحريف.

من جهة أخرى، نجدهم يملون كتبهم على طلبة الحديث الذين يأتونهم من كل حدب وصوب ويكثر عليهم الجمع حتى إنهم يستعينون بمستملين يبلغون عنهم، بلغ عددهم مرة ثلاثمائة وستة عشر مستمليا[54]، يرددون كلام الشيخ حتى يسمع الجميع بعد أنه لم يكن يوجد مكبر صوت.

... عنه كتابه بطريقة جماعية بعد العرض والمقابلة. لذلك، لا يجرؤ أحد على أن يزيد شيئا في صحيح البخاري مثلا أو مسلم أو مسند أحمد أو غيرها من الكتب، لأنها منسوبة إليهم بهذه الطريقة، وأية زيادة ستخالف صحيح المنقول، وسترد على صاحبها.

وبهذا الشكل، حافظ المحدثون على سنة رسول الله ﷺ، وميزوا المدسوس من الحديث ونصوا عليه إما مفرقا في طيات الكتب أو مجموعا في كتب خاصة، ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه لا يستطيع التمييز بين هذا والسمين. كما لا يستطيع أحد أن يدعي أنه غاب عن الأمة الإسلامية شيء من الحديث الصحيح إذ كل منه صحيحه لم ... إليه. وفي ذلك، قال ابن حزم: «وحديث النبي ﷺ محصي مضبوط مجموع مستقصى ولله الحمد»[55].

صدق وعد الله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[56] فالسنة الصحيحة محررة ومضبوطة لم يضع منها شيء بيننا، والموضوع منصوص عليه لا يختلط بالصحيح. أو ليس هذا من أوجه الإعجاز القرآني إذ يبقى الوحي محفوظا كما وعد الله تعالى؟ إي وربي، إنه لحق.

نعمان : المكي أقلاينة

---

(52) ابن بسام: الذخيرة 1/1/171، وانظر: المكي أقلاينة: ابن حزم الأندلسي وأثره في الدراسات الحديثية 57 - 58.
(53) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، ص 18.

(55) رسالتان له أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال التعنيف ضمن رسائل ابن حزم ...
...

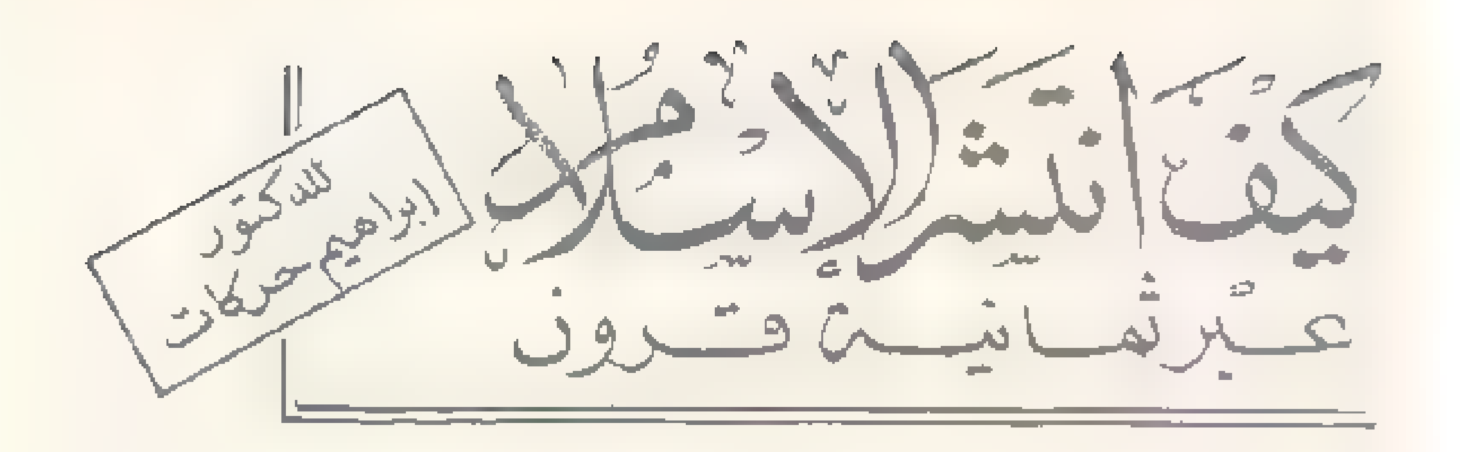

التساكن الديني

قبل الإسلام [illegible]
الشروط المادية والمعنوية التي وضعها والأسباب التي
ارتبطت بها، من غير ضرر ولا ضرار [illegible]
[illegible]
[illegible]، وبعد رفض الخليفة أبو بكر [illegible]
[illegible] وحارب المرتدين [illegible]
لأخطار الوثنية التي [illegible]
مجتمعاتهم إلى مطالب لعودة وبأصيل الكف [illegible] حتى
عندما عاد المرتدون إلى الإسلام منع عنهم أبو بكر ركوب
الخيل وحمل السلاح حتى تثبت توبتهم، وكان منهم كبار
الزعماء كطليحة الأسدي والأشعث بن قيس الكندي
وآخرين.

ويبدو أن التساكن لم يكن ممكنا على الدوام حيث
تحدث حوادث من هذا الجانب أو ذاك، غالبا بسبب
[illegible] أو عدوان [illegible]
من [illegible] الأفراد أو من السلطة، أو لرد فعل ضد أهل الذمة
على إثر أحداث روعت العالم الإسلامي في معركة أو سقوط

[illegible]
الصليبيون على الحجاج [illegible] في
الوقت المناسب، وأمر صلاح الدين بذبح [illegible] عند
[illegible] وسرعت الكرك من [illegible] النصارى. وفي عهد
[illegible] يظهر نصارى [illegible] بوجه [illegible]
ويقول عنهم ابن جبير وهو يصف بعض النصارى [illegible]
بجبل [illegible] أحد المنقطعين من المسلمين [illegible]
[illegible] وأحسنوا إليهم ويقولون: هؤلاء [illegible]
الله عز وجل، فيجب مشاركتهم، [illegible] بن [illegible]
وهي يومئذ بيد المسيحيين، صلى بمسجد [illegible]
[illegible] والباقي حافظ على [illegible]
وكل يمارس شعائره على مشهد من الطرف الآخر. ومما
ذكره ابن جبير من ارتسامات عن ستضافة نصارى جبل
لبنان للمتطوعين من المسلمين ذكر مثله ابن بطوطة في

القرن الثامن عن نصارى دير القروص خارج اللاذقية وكانوا يستضيفون من نزل بهم من المسلمين.

وخلافاً لما يظنه البعض فإن بعض المجتمعات المجاورة لبلاد العرب لم يكتسحها الإسلام كعقيدة بالسرعة التي انتشر بها لدى العرب وبعض الأقطار البعيدة كإفريقية الشمالية. ولذلك كان على العرب أن يساكنوا لعقود عديدة وربما لبضع مئات السنين، مجتمعات يحكمونها ولا يدين إلا قليل من أهلها بالإسلام ولا يدين به أحد. وهذا ليس وجهاً سلبياً للإسلام ولا لحكامه بل هو دليل على احترام السلطة الإسلامية لمبدأ «لا إكراه في الدين» وترك الناس أحراراً فيما يدينون به من العقائد التي قبلها الإسلام. وهكذا ظل الإسلام محدوداً لفترة طويلة بالامبراطورية الفارسية القديمة وفي مصر وجهات أخرى، وتألف الحد [illegible]

[illegible]

[illegible]

شروط كلها لصالحهم بما في ذلك تشجيعهم بعطاء سخي وتخفيف شروطهم حتى يكسبهم للإسلام. وهو ما فعله [illegible] إلى الإسلام ولكنه رفض [illegible]

[illegible]

ويذكر الاصطخري أن سكان جبال البارز بكرمان ظلوا على المجوسية طوال العصر الأموي ولم يعتنقوا الإسلام إلا في العهد العباسي وحتى القرن الرابع لم تكن بمنطقة [illegible] من خراسان إلا أقلية من المسلمين، [illegible] الإسلام [illegible] ومعاشهم، مما يفسر موقفهم من الإسلام وسلطانه مع أن [illegible] السرعة في الإسلام [illegible] كامل السكان. لكن محاولات السلطة المحلية قد [illegible] للإسلام [illegible] لم يدخلوا الإسلام إلا منذ منتصف القرن الرابع عن طريق حوار [illegible] على يد الحسن بن علي المعروف بالأطروش والذي يصفه المسعودي بأنه كان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء والنحل. ويذكر المسعودي أن قسماً منهم ظل على الشرك إلى زمن تأليف كتابه مروج الذهب، أي إلى قريب من منتصف القرن الرابع. والترك أسلموا على مراحل استغرقت عدة قرون، وخلال منتصف القرن الرابع أسلم ما يعادل سكان مائتي ألف خركاه خيمة أي حوالي مليون نسمة على يد أمير الدولة البويهي.

☆ ☆ ☆

ومع الدعوة الإسلامية أن [illegible] بعض أصحاب بعضها عن مركز [illegible] وقد تشتبك في صراعات فئوية أو يغذيها بعض فقهاء المذاهب ودور السلطة، فقد كانت خراسان من المناطق التي دخلها الإسلام مبكراً حتى ولو بقيت جهات عديدة منها على المجوسية فترة طويلة، فقد وجد الشيخ أنصاراً له بها [illegible] سنة 83 حيث [illegible] منها إلى باقي مناطق الفرس.

ولكن هذه النماذج وكثير غيرها يفسر مدى المرونة في تعامل السلطات الإسلامية والمسلمين مع عشرات الألوف ممن لا يدينون بعقيدتهم وهم محكومون لهم. وهذا يؤكد بوضوح أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف خارج جزيرة العرب، وحتى ما استعمل فيه السيف لم يستقر على النجاح حتى كان الإسلام التلقائي أو بطرق بعيدة عن العنف تماماً (دور التجار، الفقهاء، الرواة... الخ) وأحياناً بمبادرة من مسلمي المنطقة المجاورة كما في إسلام عدد من القبائل الوثنية بإفريقيا على يد المسلمين من جيرانهم الزنوج.

الإسلام بإفريقيا

إن ما يروى في المصادر العربية عن إسلام النجاشي [illegible] في العهد النبوي قد يكون أول ما شق الإسلام طريقه إلى الأرض الإفريقية بعد أن تسلم النجاشي رسالة الرسول ﷺ في أواخر السنة السادسة. وقد كان طبيعياً أن تبدأ الدعوة النبوية بعد جزيرة العرب بما حولها، وتابع الراشدون الخطة النبوية في تعميم الدعوة بإفريقيا وآسيا، وانتشر الإسلام شيئاً فشيئاً منذ فتح مصر أيام الخليفة عمر، وعلى مراحل بعد ذلك، حيث يتجلى

الجغرافيون في القرون اللاحقة وجود جاليات قبطية تتوغل أحيانا في بعض المراكز النائية في عمق الصحراء، مما يدل على لجوء عدد من الأقباط إلى هذه المراكز انطلاقا من مصر، خصوصا أمام الزحف الإسلامي، ويذكر اليعقوبي في القرن الثالث أن إسلام مصر ينتهي إلى بولاق بعد أسوان، [illegible] الكبي بمصر، كما أن النوبة ما زالت بعيدة عن [illegible] الدين الإسلامي

☆ ☆ ☆

أما إسلام [illegible] فقد تطلب فترة أطول وقتا طويلا لكن [illegible] كانت [illegible] تابعة لحكم جورها لمصر التي يتعين حكم واليها [illegible] من ولاية عمرو بن العاص وقام عقبة بعد ذلك بنشر الإسلام في عدد كبير من المراكز الليبية، وبعد بداية الحولية [illegible] عقبة عبر الشمال [illegible]

خلال عدد من الولاة، يتحدث ابن عبد الحكم عن ولاية إسماعيل بن عبيد الله سنة 99 هـ [illegible] حسن سيرته، حتى كل البربر الذين لم يكونوا قد أسلموا يهرعون إلى الإسلام، والأغالبة لم يكن لهم نشاط كبير في نشر [illegible]، وحتى في المجال السني [illegible] واضطر الرستميون [illegible] يستطيعوا [illegible] الإباضية غرب المغرب الأوسط والمذهب [illegible] التراجع الخارجي وهكذا بدأ انتشار المذهب المالكي فقد انتشر بإفريقية على يد سحنون التنوخي تلميذ ابن القاسم [illegible] على

وقد أسلم عدد كبير من الروم الذين وجدهم الفاتحون العرب بإفريقية وكان بينهم أكثر الروم منطقة قسطيلية من بلاد الجريد، ويتحدث مؤلف الاستبصار عن مدينة الحامة بقسطيلية في القرن السادس، ويذكر أنها تدعى في عصره بحامة بني بهلول الذين هم من بقايا الروم الذين أسلموا على أموالهم وهم أغنى سكان قسطيلية، وبالمغرب أيضا مدينة ببهاليل بضواحي فاس، ويقال إن سكانها من أعقاب الروم أي الروم (لأن البيزنطيين لم يصلوا إلى المنطقة)

وقد توغل الفاتحون في مناطق الشمال الإفريقي ووصلت سرية الفاتحين إلى مناطق مسوفة وسجلماسة أيام [illegible] حبيب بن [illegible] عقبة بن نافع ولكن لا يبدو أن الإسلام كعقيدة، قد توطد بهذه المنطقة، حيث كان التوغل مجرد استطلاع وربما مغامرة لا نعرف عنها شيئا [illegible] والبكري يذكر في القرن الخامس أن آخر الإسلام بالمغرب هو نول، وهي مدينة بعيدة عن الصحراء الغربية شمالا وفي نفس الوقت كانت هناك جماعة قد تمت إسلامها كمعظم صنهاجة الصحراء. والواقع أنه لم يكن هناك عمران يذكر بين نول والمناطق النائية من الصحراء الغربية جنوبا حيث توجد مواقع صنهاجة [illegible] الأدارسة بعودهم كما عند ابن خرداذبه بين قبائل البرغواطة بالمغرب، والأرجح أنهم قاموا بدور هام في التوعية الإسلامية بهذه الجهة، وبالإضافة إلى هذا المد الإسلامي الذي يبقى حجمه وشكله غامضا مع ذلك لصمت المصادر، فهناك ما يذكره البكري عن وصول عدد من الأمويين إلى غانة أو بالأصح استقرار عناصر من الجند الأموي وهو بدون شك جيش حبيب المذكور سابقا والذين كان لهم دور هام في الدعوة الإسلامية لكن هذه الجهود كلها لم تمهد للوجود الإسلامي إلا نتيجة مشتتة هنا وهناك، ونكاد نجهل عنها كل شيء فيما عدا الإشارات التي زودنا بها بعض الجغرافيين [illegible] أيضا أسماء على يد الأدارسة خلال القرن الثالث حيث [illegible] القوى بين [illegible] الأدارسة [illegible] وحدة من جهات إفريقية الغربية لكن هذا الإسلام [illegible] وقوته في مرحلة لاحقة، عبد الله بن ياسين الجزولي الصنهاجي

وكان من أسبق المناطق إلى الإسلام بالسودان الغربي، مملكة التكرور شمال السنغال الحالي

وكان أهل التكرور قد أسلموا على يد وارجابي بن رابيس الذي توفي سنة 432 هـ وهو زعيم التكرور، وكانت [illegible] التكرور على وفاق مع المرابطين في انطلاقتهم ويذكر مؤلف الاستبصار أن إسلام التكرور على يد هذا الزعيم كان بعد [illegible]، ولكنه يؤخر وفاته إلى

(1043)، وحسب الحميري ومصادره فإن صنهاجة على المحيط كانت آخر مدى الإسلام، وموقعها أيضاً محل خلاف ما دام نهر السنغال كان فيما يظهر بالنسبة لبعض الجغرافيين يعتبر امتداداً لنهر النيل الغربي أي النيجر، وكيفما كان الأمر فقد كان دور المرابطين هاماً في نشر الإسلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ويعتقد أن الزغاوة وهم أفارقة سمر يعيشون على [illegible] يحتمل أن تكون قد حلوا بالمنطقة حوالي القرن 3/9، ولا نعرف مدى التقارب بينهم وبين أفارقة الساحل في هذه المنطقة بالذات، وقد امتزج الزغاوة بسودان النيجر، وحتى القرن العاشر/16م هـ وإلى القسم الشمالي من بحيرة التشاد، والذي عرف بمملكة بورنو مختلف يعتنق شيوعية النساء والأطفال ولا يدين بعقيدة سماوية، وهذا على الأقل ما يذكره المؤرخ السوداني. وهناك شعب آخر امتزج بالسودان، وهو من البربر وهو شعب لمتونة المتصل بصنهاجة الملثمين، ويذكره البكري باسم (زافقو) وحافظ هذا الشعب فيما يظهر على وثنيته حيث يبدو أن المرابطين خاضوه مدة قبل أن يعتنق الإسلام، ومكث ورد منكم على مراكش في طريقه إلى الحج فاستقبله يوسف بن تاشفين ترحاباً حتى مر به شخصه راحلاً ولقي الملك السوداني على قرب وقد شعر المرابطون بالمغرب والأندلس وتولى أبو بكر بن عمر مجاهدة الوثنيين بالسودان حتى وفاته، وبين صنهاجة من حافظوا على وثنيتهم مدة طويلة، فقد كان في قبيلة صنهاجة منهم كفار ومسلمون، وكانوا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

امتداد منطقة كبيرة من إفريقيا الغربية، وهكذا كان من [illegible] أسلم جماعة من الشعب على يد عبد الله [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

1939م ويصعب البحث بصورة بيبيب أي بعيد جداً على ما ذكر.

☆ ☆ ☆

أما دولة كانم شمال تشاد فلا يبدو أن الإسلام قد دخلها قبل القرن السادس، فالبكري يتحدث عن أهلها كمشركين ولو أنه يروي عنهم وجود أسر عربية الأصل ترعم أنها من بني أمية الذين لجأوا إليها من بني العباس، وانتشر الإسلام على يد شخص اسمه الهادي العثماني الذي ادعى أنه من سلالة الخليفة عثمان.

وتكونت حول حوض النيجر شعوب ودول كثيرة، ومن أقواها دولة سنغاي التي [illegible] بين إقليم تمبكتو وحدود نيجيريا [illegible] هذه الدولة منذ القرن الرابع/10م و [illegible] سلطة (الطوارق) والزنوج المحليين، والسوركو الذين كانوا شعباً يعيش على صيد الأسماك في بحيرة تشاد ويكتنف الغموض مع ذلك تاريخ سنغاي القديمة وتكوينها، وفي أوائل القرن 11م (5 هـ) استولى صيد بن قيس على غاو Gao على ضفة النيجر (مالي الحالية) وجعل منها عاصمة لسنغاي التي كانت تجاور لمتونة تورو الموريتانية وكان الاسم الحقيقي لهذه العاصمة كوكيا وغاو Gaogao والتي كانت موجودة قبل ذلك بوقت طويل، ويحتمل أن صاحبها قد اعتنق الإسلام على يد لمتونة من حيرين المنطقة في [illegible] مربع أي حوالي سنة 1009 وهذه الفترة معقدة [illegible]

ومعلوم أن إسلام القبائل الصنهاجية كان خلال العهد الإدريسي ولكنه كان مشوباً بتعاليم وثنية وعيوب قبل حلول عبد الله بن ياسين، وكيفما كان الأمر فقد أصبحت سجلماسة على يد رجلها الصادق المذكور، ثم كانت حملة التصحيح المرابطية بعد ذلك، بل يظهر أن المرابطين كان عليهم أن يجعلوا أعلنه أهل سجلماسة على سلطانهم في [illegible]، فقد تحدث البكري عن انشطار كاغو إلى قسمين [illegible] والآخر وثني، وإذا كان هذا في عاصمة سجلماسة فالأولى خارجها.

☆ ☆ ☆

وانطلقت مالي حسب الحس الورد على يد أبي بكر بن عمر اللمتوني التي دانت لحكمه وتبعته حتى عهد إمارة أسرة سكيا ولكن الإسلام لم يسر بسهولة في هذه [illegible]، لأن المرابطين [illegible] عروقها وظل [illegible] جريمة بكر الحرية عدة لا تؤديها لأهل [illegible]

[illegible]

من الفقهاء بتوطيد المذهب وتسويته وتشجيع الإسلام عبر الامبراطورية الواسعة من [illegible] بالإضافة إلى [illegible] لأصبية

وتمتد بين مدينة [illegible] من ناحية الجنوبية للقاهرة [illegible] البحر الأحمر حتى حدود الحبشة مع

[illegible]

شعب [illegible] لا زال يوجد عدده [illegible]

وفي الربع الأخير من القرن السادس [illegible] بن [illegible] حل [illegible] جنوب مصر على ساحل البحر الأحمر [illegible]

الإسلام وأنهم لا يعرفون منه إلا الشهادتين ليظهروا ولاءهم لحكام مصر، وما عدا ذلك فهم منحرفون ويدينون بمذاهب [illegible]

وكيفما كان الأمر فقد حافظوا على وثنيتهم أو على الكثير من ظواهرها مدة طويلة، وينقل المقريزي نص عهد [illegible] مشروط من قائد حملة وجهها المأمون العباسي إلى سكان البجاة وأمرهم بأسوان، وكان المسلمون يترددون عليهم على سواحل البجاة، وبفضلهم انتشر الإسلام شيئاً فشيئاً لدى [illegible]

[illegible]

وشمل التجار نقل معادن الذهب خصوصاً [illegible] وبقي شعب البجاة تأخر إسلامهم كما رأينا ويحتمل أن [illegible]

ما عدا أن الدعوة الإسلامية بلغت [illegible] من عهد عبد الله ابن أبي سرح، لكن لا يظهر أنه كان لها أثر كبير على أن [illegible] أهل [illegible] والتي كانت في [illegible]

وكان رقيق النوبة وذهبها أيضاً على غرار [illegible] البجاة، هدف حملات الفاتحين، ومع وجود مصر [illegible] النوبة، فإن الإسلام لم ينفذ إلى شعبية النوبة إلا بعد إسلام أحد ملوكها [illegible] في مدينة القرن 14/8م ثم بلاده [illegible] توقفت الجزية عن النوبة فهل كانت رغبة السلطة الإسلامية في المحافظة على الجزية [illegible] العدة

[illegible]

الإسلامي تتاجر فيها عرب عمان فتبادل الذهب والعبيد بمنتجات الهند والفرس، وعلى الرغم من أنهم لم يستخدموا القوة لنشر الإسلام فقد فتح هذا الدين لنفسه طريقا سلميا منذ القرن الأول. وكون العرب إمارات متعددة، كما تكونت في القرن الرابع الهجري ممالك إسلامية بزعامة بيت قرشي وسكان محليين، وبرغم تمكن الإسلام من التوغل خصوصا منذ القرن الثامن على يد مسلمين شرق ووسط إفريقيا.

الإسلام بأفغانستان والهند

تصطبغ تواريخ الإسلام في أفغانستان بنوع من الأسطورية، حيث تذكر بعض الروايات التقليدية أن خالد بن الوليد دعا شعب أفغانستان إلى الإسلام، فأسلم وفد منهم على الرسول ﷺ وأسلم على يديه، وتزوج منهم خالد بن الوليد فتكون من سلالته كتلة البطهانيين الأفغانية. وفي رواية أخرى أنهم اعتنقوا الإسلام على يد بعض اليهود الذين كانوا قد أسلموا، والحقيقة أن الفتح الإسلامي بدأ في عهد الراشدين بالنسبة للمناطق الأفغانية، غير أن الفتح لم يؤد إلى إسلام عدد كبير من السكان فتطلب ذلك مراحل بين حروب كما هو الشأن في كثير من المناطق التي فتحها المسلمون، ومن ثم كان فتح عدة مراكز أفغانية وغيرها من الأمر طوال المعارضة القديمة يتكرر عدة مرات وعلى قرون، وعلى سبيل المثال كانت سجستان منطقة حدود بين إيران و[illegible] أو وطنية أو محور إداري، وفي القرن الرابع يتحدث الاصطخري عن وجود حصون ومجاهدين بها. وكان للأفغان مساهمة كبيرة وفعالة في فتوح الهند [illegible] حتى قبل [illegible] المسلمين الأولين منهم، ساهموا في فتوح العصر [illegible] ودور الغوريين والغزنويين معروف في مجال الفتوح خلال قرون السادس والسابع، وكانت المنصورة (برهمنا باد) والملتان بالباكستان من المراكز التي عرفها الإسلام أو كان له بها وجود قوي خلال العهود الأولى بفضل استقرار [illegible] من تجار قريش، وكان فتح الملتان على يد محمد بن القاسم في عهد الوليد بن عبد الملك، وقد استطاع المسلمون أن يفرضوا وجودهم حتى وهم أقليات في مدن الهند وأقاليمه، فكانت شؤونهم الإدارية ترجع إلى ممثلين منهم. والواقع أن المحاولات الأولى لفتح السند والهند بدأت منذ أوائل عهد معاوية سنة 44، ولم يكتمل فتح السند إلا في عهد الوليد بن عبد الملك. أما الهند فتوالى فتح عدد من مناطقها خلال العهد الأموي ثم العباسي، وبدأ نشر الإسلام على أوسع نطاق بالهند على يد الدولة الغزنوية (366 ـ 582 هـ) التي اتخذت من غزنة بأفغانستان عاصمة لها، وكان من أعظم ملوكها ثالثهم محمود بن سبكتكين الذي حمل ملوك الهند على أداء الجزية واعتنقت جهات من هذه البلاد الإسلام على عهده، وتكررت الحملات الغزنوية إلى الهند وفتح فيها أو في [illegible] منها بسبب [illegible] سلاطين الأتراك وغيرهم من أهل ما وراء النهر كما هو [illegible] أيضا. على أن الغزنويين اكتفوا لوقت طويل بغارات خاطفة وعقد معاهدات مع ملوك الهند لإلزامهم سيادة الدولة الغزنوية [illegible] ولذلك كثر خروج الهند عن صالح الحركة الإسلامية بعد ذلك خصوصا في عهد يمين الدولة الذي أرغم بعض الجهات على اعتناق الإسلام، ومع كل ذلك ظل الغزو الإسلامي سياسيا واقتصاديا أكثر منه عملا عقائديا خلال العهد الغزنوي، وفي نهاية الدولة الغزنوية وجدت بعد زحف الغوريين مدة [illegible] ملجأ أخيرا لها في البنجاب، وتكونت دولة الغوريين التي امتدت من 543 إلى 612 هـ (1148 ـ 1215 م) وهم غزنويون من الأتراك، وركز الغوريون اهتمامهم على بسط سلطتهم على شمال الهند بعد صراعات عنيفة مع [illegible] وينسب إليهم أنهم فتكوا بالعصاة والهندوس وحطموا [illegible] وبدون شك فإن الفتح كما كان [illegible]

[illegible]

[illegible] الغوري في القرن السادس إلى جهات من الهند لم يتوغل فيها المسلمون قبله

حتى قاربت حدودها شرقاً مع الصين وفي سنة 1192/589م تكونت سلطنة إسلامية غورية بدلهي، وبذلك يكون عهد الاستقرار الإسلامي في عين مكان وفي قلب عاصمة الهند التاريخية، بداية عهد جديد كما في التحرك الإسلامي [illegible] المختلفة، وبالرغم من الأزمات الداخلية التي عكرت صفو هذا الاستقرار بما في ذلك الخطر المغولي الزاحف بالتحرك من دولة جديدة نشأت لفترة قرن تقريباً، هي دولة بني تغلق الأتراك (721 ـ 1320/818 ـ 1414) نشطت لا في مد الفتوحات فحسب، بل كذلك في القيام بإنجازات دينية ومعمارية وثقافية عديدة، خصوصاً على عهد السلطان فيروز الدين.

وفتحت السلطنة الإسلامية أبوابها لكل المسلمين الوافدين شرقاً وتجاراً بعد أن تحولت الحضر ضد قوافل وحركة النقل، ويذكر ابن بطوطة أن السلطة لا تتعرض لمال الغرباء ولا تورثه بيت المال، وقد حصلت التقارب بين الأقليات والأكثريات المسلمة، بكل مذاهب شيعية وسنية، وهناك جاليات إسلامية من الشام والعراق وخراسان ومصر والمغرب الإسلامي، والتقى ابن بطوطة فيها بمن يفد من بغداد ودمشق ومن مختلف جهات العالم الإسلامي، ولم يفته أن يشير إلى صراعات أمراء المسلمين على السلطة، ولم يمنع ذلك من مواصلة المد الإسلامي سيره.

الإسلام بالصين وعموم الشرق الأقصى

ظهر المسلمون لأول مرة كفاتحين، في أواخر عهد الوليد بن عبد الملك الأموي، حيث وصل جيشه إلى كاشغر بتركستان الصينية، وهي محط تجاري ينتقل منه أهل خراسان المسلمون. وكانت قيادة هذه الحملة لقتيبة بن مسلم [illegible] [illegible] الحسين بن علي الألمعي الكاشغري، وعم الإسلام تركستان في القرن الثاني ثم استقر بها عنصر الويغور الأتراك منذ القرن الثالث، وبعد ذلك اتبع الإسلام بمنطقة منذ القرن الرابع كما عم مناطق ما وراء النهر، ومن مثل تركمان نصيبية فاراب التي ينسب إليها الفيلسوف الفارابي، ومن المدن الكبرى التي حل بها الإسلام مبكراً في الصين مدينة خانفو (كنتون) حيث كانت تتعايش الديانات السماوية وغيرها، وكانت دولة التانغ Tang على جانب عظيم من التسامح [illegible] ولقد وجد معتنقو الديانة الكونفوشيوسية بالصين في الإسلام وعادات المسلمين

☆ ☆ ☆

بعض التشابه مع تقاليدهم في احترام الأسرة والوالدين، وفي الالتحام العائلي والتسري من أجل إنجاب المزيد من الأطفال وضرورة الزواج وغير ذلك، وكل هذا أسهل دخول أفواج كبرى من الصينيين في الإسلام، وقام [illegible] [illegible] كبير من الرحالة والعلماء فضلاً عن قيام علاقات تجارية [illegible] أندلسي هو سعد الخير، وظهر أثر الإسلام حتى في التبت حيث تعايشت الديانات السماوية والبوذية، ونجد أثر الاهتمام بالتبت في مؤلفات بعض الجغرافيين المسلمين إلى درجة أنهم يرجعون أصل سكانها إلى حمير، ولهم تجارة مع ما وراء النهر خصوص فرغانة، وهم التجار العرب [illegible] بودى لسلطة محصورة بالعنصر التركي، لكن البوذية ظلت ديانة السلطة حتى الآن ويوجد بكين حتى الآن مسجد في الجنوب الغربي منها يعرف بمسجد نيوجيه، ويعود إنشاؤه إلى سنة 991/382م وينسب إلى تاجر اسمه نوام الدين الذي وإن كان اسمه عربياً فيحتمل أن يكون من أصل تركي، ومن عقب التاجر المدعو إلى الإسلام بإيس عاهل من أسرة سونغ ويضحى المسجد قبر تركي اسمه أحمد برتاني وآخر عماد الدين من بخارى وكلاهما كان يعمل على نشر الإسلام بالصين في القرن السابع.

وكما بدأ الإسلام يفسح طريقه بالصين منذ العصر الأموي قد توصل إلى بعض الجهات من الشرق الأقصى في العصر نفسه، وهكذا أسلم عدد من سكان برمانيا (أو بورما) البوذية على يد تجار العرب، وتم تشجيع الجماعة الإسلامية [illegible] أول مملكة مستقلة ذاتيا عن السلطة المركزية إلا منذ 1430م. في إقليم أركان المتاخم لبنغلاديش. وبدأ الإسلام بسيلان (سيرلانكا) في وقت غير محدد. وكان تجار عمان واليمن يقصدون بها جزيرة سرنديب المعروفة بالأحجار الكريمة وعدد من العطور والبهارات، وكذلك كان المسلمون من مختلف الجهات يقصدون بعض جبالها لتبرك بأثر قدم نسب إلى آدم عليه السلام. وعلى هذا فإن المسلمين الأولين تلقوا تعاليم الإسلام على يد تجار العرب وبدأ دخول الإسلام إلى أندونيسيا منذ نهاية القرن السابع/الثالث عشر للميلاد باعتناقه من لدن بعض ملوك البلاد، ثم تتابع نشر الإسلام على مراحل عن طريق تجار والزهاد وبإسلام زعماء القبائل والسلاطين، خلال أجيال [illegible]

مسلمو الثغور

المقصود الثغور التي كانت موضع صراع بين المسلمين والروم (البيزنطيين) لكونها على التخوم من هذه الجهة أو تلك، وكانت عرضة لهجمات المرابطين والمحاربين. وكانت دائرة وعرضة لهجوم الروم وتلقى ضرباتهم فيأسرون منها ويغنمون، ثم تتولى المسلمون ضرب ثغور العدو وتستمر العلاقات على هذا المنوال. وربما عقدت معاهدات سلم وحسن جوار بين حين وآخر، وكان من عادة الروم إذا استولوا على مدينة بيد المسلمين، إلزام من أراد البقاء بها منهم بأداء الجزية على غرار ما كان يعامله المسلمون مع أهل الذمة، ومن أهم المراكز التي انتزعها من المسلمين سنة 342 كل من مطاكية وطرسوس

[illegible]

[illegible]

وبعدئذ لم يبق بها قليل من النصارى. وسجل من جهة أخرى أن سكان قبرص كانوا في هذه الفترة كلهم نصارى. ويظهر أن طرسوس تجدد فتحها من لدن الروم سنة 965/354م، وكانت في يد سيف الدولة الحمداني، ومع أن المدينة تم تسليمها على الصلح والأمان فقد اشترط نقفور تخريب الجامع والمساجد وسمح لمن تنصر بالمحافظة على أمواله وفرض الجزية على من بقي مسلما، ودخل في النصرانية عدد من المسلمين وهجر المدينة آخرون، والباقي أقام على الجزية، واستعبد أمهات الأولاد من الجواري عن مغادرة طرسوس، وبقي عدد من أولادهن فنشأوا على النصرانية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(فرض الجهاد). وكانت أصعب الفترات التي يمر بها المسلمون هي فترات الحرب بالنسبة للأسبان الإسلامية التي تصبح أكثر تعرضا للخطر وتلقى ردود فعل الروم إذا هزموا في معركة حاسمة على يد المسلمين، وعمد باسيل الثاني سنة 992/383م الرجال من المسلمين بتدبير وزودهم بالسلاح لصد هجوم قوي مفاجئ بعد أن هدد القسطنطينية وأصبحت في موقف دفاعي. وتمكن المسلمون من تحقيق النصر حتى انضم إلى جانب [illegible] [illegible] وحقق الأمبراطور خطرهم وانتزع منهم السلاح [illegible] [illegible] مكافأتهم. وكانت الدولة البيزنطية تشهد حينئذ أحرج فترات تاريخها. وغالب ما كان حرمان العهود من الجانب الإسلامي أثناء

[illegible]

في بعض الظروف عبر الأقطار الإسلامية خصوصا في حالات نجدة المسلمين في الداخل أو الخارج [illegible] من كان أهل الذمة يتحصنون في الفتن الداخلية بين المسلمين، كما أنه [illegible]

[illegible]

من المسلمين أصحاب الحكم، بينما حاول بعض ملوك الحبشة تنصير المجموعات الإسلامية بالحبشة وإريتريا التي اكتسحوها أول القرن التاسع، وحتى الصومال. والأمثلة كثيرة.

مسلمو الخزر، وأوضاع الروس والأرمن

الخزر شعب ينحدر من الهياطلة les Huns ذوي الأصل المغولي التركي. أنشأوا دولة غرب بحر قزوين الذي عرفه العرب ببحر الخزر، وشمال منطقة القوقاز (في الاتحاد السوفياتي حاليا) خلال القرن الأول/7م وكثيرا ما كانت لهم صدامات قوية مع المسلمين. ومن ذلك أنهم تصدوا في عهد هارون الرشيد انطلاقا من باب الأبواب (دربند الواقعة على بحر الخزر) لمن يجاورهم من المسلمين وأهل الذمة الذين معهم، فأوقعوا بهم وسبوا منهم عشرات الألوف حتى قدره صاحب البدء والتاريخ بمائة وأربعين ألفا وقاموا بإحراق المراكز الحضرية والسكنية. وفي أواسط القرن الرابع انتشر بينهم الإسلام وأصبح يكوّن مع النصرانية غالبية السكان بعد أن كانت اليهودية دين الأغلبية [illegible] وجودا أضعف حسب الاصطخري الذي قدر مسلمي العاصمة (إتل) بما يزيد على عشرة آلاف لهم حوالي ثلاثين مسجدا، ولكن الملك وحاشيته لازالوا على اليهودية. ويذكر الاصطخري أيضا أن الخزر شديدة سمرتهم فهم أقرب إلى الصنف الهندي منهم إلى الترك الذين لا يشبهونهم كما [illegible] وتركت أحكام كل طائفة بين شخص منها، ولا تقبل [illegible] الخزر سنة 310 عندما علم أن مسلمي العاصمة هدموا كنيسة للنصارى عمد إلى الجامع فهدمه وقتل المؤذنين، [illegible] المدن المهمة بالمنطقة [illegible] كسرى أنوشروان حسب [illegible] الحميري، ومن بينها [illegible] التي كان بها في القرن الرابع مسلمون لهم [illegible] السود وأحيانا بيوت [illegible]. وفي تاريخ الطبري ذكر بأنه في أحداث 22 هـ أن المسلمين وصلوا في فتوحهم إلى باب الأبواب، بالنظر لكونهم وصلوا إلى مناطق قريبة أو مجاورة كجرجان وطبرستان، لكن الفتح في كل هذه الجهات وغيرها تكرر عدة مرات، وكيف كان الأمر، فقد بدأ الإسلام يتلمس طريقه بين الخزر في القرن الأول، ولكن لم ينتشر على نطاق واسع إلا ابتداء من القرن الرابع كما سبق، حسب [illegible] نفسه.

ويجاور الخزر عدد من الشعوب التي توغل فيها الإسلام أو تقلص بتصرف كالروس والأرمن. وقد اعتنق الروس النصرانية في القرن الرابع/10م على إثر مصاهرة بين عاهلهم وأرمانوس البيزنطي. ووصفهم رسول المقتدر أحمد بن فضلان قبل تنصرهم ونعتهم بالقذارة وغرابة العوائد، وبعضهم من تأثر الوثنية، وكانت منطقة برطاس مجاورة لكل من الروس والخزر وتدين بالإسلام وقدر عدد مسلميها بعشرين ألف قبل أن يخربها الروس ويشردوا سكانها، وبعض المجموعات الروسية كانت ترغب العرب، وتصحبهم. وتقع منطقة برطاس على أحد روافد نهر الفولغا. ودخل الإسلام منطقة الكرج (جورجيا حاليا) منذ عهد الخليفة عثمان، وكان العرب يطلقون عليها اسم أرمينية لأن الكرج عنصر أرمني. ونقل ياقوت نص عهد صلح كتبه القائد حبيب بن مسلمة لأهل تفليس عاصمة الأرمن التي حافظت على الإسلام، ولم يكن الكرج قد عمروا المنطقة بعد [illegible] [illegible] سياسية بسبب صراع [illegible] ثم دخل الكرج تفليس بالقوة، وواصلوا الضغط على المسلمين بالمنطقة حتى كانت 623 هـ فقد [illegible] جيوش جلال الدين بن خوارزم شاه واسترجعت تفليس وأرغمت الكرج بالتحول في الإسلام وسبت نساءهم واسترقت أولادهم وكان خطر الكرج قد امتد إلى مناطق بعيدة بما فيها تخوم الروم، فطاردتهم الجيوش السلجوقية في عدة جهات غير أن الكرج

استرجعوا تفليس بعد سنة نظرا لضعف الحامية وسوء سيرة الوالي السلجوقي، وعاش المسلمون في كنف الكرج، ثم حالف الكرج المغول وكانوا لهم سندا. وفتح المسلمون بعد ذلك سيس عاصمتهم بأرمينيا الصغرى في منطقة قيليقيا Cilicia وذلك سنة 764/1362م، وعادت المنطقة يسودها الإسلام حينا.

الإسلام والمسلمون بأوروبا

لم يخل من الإسلام عدد من أقطار أوروبا خلال العصر الوسيط وأخرى بعده عندما توسعت الفتوحات العثمانية، فحتى وسط الصقالبة الذين يمثلون أغلب شعوب أوروبا الشرقية وقسما كبيرا من سكان روسيا التي سمتها المصادر العربية بسيراوين (سيريا ؟) كان للإسلام وجود يتفاوت انتشارا. وفي هذه المنطقة بالذات ولو أنها نائية في أقصى الشمال ينقل القلقشندي عن العمري وصف طقسها البارد المصحوب بالثلج الذي يستغرق نصف سنة، وأن بعض أهلها بعثوا يطلبون فتوى عن كيفية الصلاة في بلد لا يغيب فيه الشمس حتى يطلع الصبح. ويتحدث ياقوت عن إسلام الصقالبة وملكهم في أوائل القرن الرابع، ويظهر أن هذا الإسلام لم يكن عاما، وكان في مملكة هنغاريا في هذا الوقت وحسب ما ذكر عن ابن فضلان مجموعة تركية مسلمة من قبيلة بشمرد تشغل حوالي ثلاثين قرية وقد منع على المسلمين تسوير مدنهم وأصبح سكانها كسكان هنغاريين ويرتدون نفس الزي. وكان إسلامهم على يد جماعة من مسلمي البلغار، وشغل البلغار جزءا من اهتمام ابن فضلان كما تناولهم أكثر من جغرافي ومؤرخ. ومن أهم أصولهم سكيتية، الصقالبة منذ القرن السادس الميلادي (ابن ؟ ق إ)، وأدرك العنصر المغولي في القرن السابع (القرن الأول للهجرة) وقام البلغار بهجمات قوية على الأمبراطورية البيزنطية وانتشروا في بلاد الصقالبة حتى الثاني، وبدأ اعتناقهم للمسيحية منذ القرن الثالث (9م)، ثم كونوا في القرن التالي امبراطورية ضخمة تمتد من ...

إلى البوسنة الشرقية لكن تمزقت بسرعة على يد جيرانهم من الروس والبيزنطيين، وينسب ابن فضلان سكان بلغاريا إلى العنصر الصقلبي فقط وهو غير صحيح كما تقدم. ووصل ابن فضلان إلى عاصمة البلغار موفدا من المقتدر أوج عظمة الأمبراطورية البلغارية. ويتحدث ابن فضلان عن إسلام ملك البلغار وتوجيه وفد من قبله إلى المقتدر يطلب من بغداد بعثة إسلامية لبث الدعوة وتلقين الشعائر للشعب البلغاري، ولا يفصل ابن فضلان أسباب إسلام الملك البلغاري بل يؤكد أنه يجهلها، وتوضح رسالة الملك البلغاري وجود مخالفين له من حكام البلدان التابعة لنفوذه، والذين لا يتقبلون الإسلام، واسم هذا الملك سيميون الأعظم Simeon le Grand (ت سنة 317/927م)، ويذكر ابن فضلان أن بلاد البلغار تمتد على نهر الفولغا Volga، غير أن الإسلام لم ينتشر بين البلغار في هذه الفترة بالنظر لوفاة هذا العاهل بعد سنوات قليلة من إسلامه، ولم يكن عدد المسلمين حسب الحميري يتجاوز خمسمائة بيت وكانت لهم تجارة مع الخزر وبينهم وحدة. ويتحدث الاصطخري عن سكان عاصمة البلغار بوصفهم مسلمين لهم مسجد جامع وكانت عاصمتهم في بلاد على ضفاف الفولغا ويسميها الجغرافيون المسلمون بالبلغار أيضا، وكان السكان المسلمون ينتمون إلى المذهب الحنفي. واكتسحت النصرانية من جديد شعب البلغار في مرحلة لاحقة قبل الفتح العثماني بوقت طويل، لكن لا تزال توجد أقلية تركية كبيرة العدد.

واستقر الإسلام بصقلية على يد الأغالبة بعدما فتحها القرنين منذ سنة 212/827م، وبدءا بسرقوسة، ثم استولى عليها النورمان ابتداء من 484/1091م فعاش المسلمون أو من رضي بالبقاء منهم في كنفهم قبل أن تبدأ عملية تهجيرهم وتشريدهم، وكان من أهم أسباب زوال السيادة الإسلامية على صقلية انشغال الحكم المركزي في إفريقية بتحركات بني هلال والنزاعات الداخلية بين مسلمي الجزيرة، ولم

يكتف النرمان بصقلية فحسب، بل احتلوا عددا من مواطن بإفريقية منها في فترة لاحقة. ولم تكد صقلية تسقط في يد النرمان حتى عمد روجار الأول إلى الاستيلاء على أملاك المسلمين ثم خلفه نجله روجار الثاني، فسلك تجاه المسلمين سياسة أكثر تفتحا، بل تشبه بهم في مؤسسات الحكم وحتى في الزي وشملهم برعايته، وأنشأ ديوانا للمظالم. وخصص ابن جبير، كشاهد عيان في القرن السادس، عدة صفحات لأوضاع المسلمين بصقلية، وكانت زيارته لصقلية خلال الستينات من هذا القرن. وهو يسجل ما عليه الأوضاع الأمنية من استقرار حتى بالنسبة للغرباء الذين لا يعترضهم أحد، ولاحظ خصب الجزيرة، أو بالأحرى المناطق التي زارها. والمسلمون حينئذ يحتفظون بحقوق الملكية العقارية والزراعية ويؤدون الضرائب مرتين في السنة، لكن لم تعد لديهم ملكيات واسعة كثيرة، وبالعاصمة بالرمو عدد كبير من المسلمين لهم أسواقهم وأحياؤهم ومساجدهم. ويستعمل غليوم في قصره عددا من المسلمين من بينهم فتيان أخصوا بعملية الإخصاء، ولكن لا أحد في القصر يظهر الإسلام مع محافظة أكثر المسلمين على شعائره، وكان بحاشية غليوم عدد من العبيد السود المسلمين [illegible]

[illegible] بالقصر عمل على إدخاله في دين الإسلام، وأعجب ما يذكره ابن جبير عن فريق الفتيان الذين اعتمد عليهم غليوم في مراقبة وتسيير عدد من قطاعات الدولة، أنهم مسلمون، ما منهم إلا من يصوم الأشهر تطوعا وتأجرا، [illegible] إلى الله، ويفتك الأسرى ويربي الأصاغر [illegible] وكان على هؤلاء الفتيان أن يمسحوا بحكم وضعيتهم [illegible] غير أنهم حافظوا سرا على أداء شعائرهم، ويتحدثون في ذلك مع تعاطفهم الشديد مع مسلمي الوافدين والعابرين، بل كان نصارى صقلية أيضا يرحبون بهؤلاء المسلمين وهم في طريقهم إلى أقطار المغرب الإسلامي أو عابرين منها.

وهكذا [illegible] المسلمون [illegible] الزي أو يعمل في كنف الدولة وتستر إسلامها وتظهر مسيحيتها، ولم تسمح لها بتعاطي الخمر وممارسة شعائرها علانية وإن كانت معزولة عن النصارى، وهذا هو ما كان العمل يجري به في ظل الحكام النصارى بإيبيريا، بل كان المسلمون يتمتعون على درجة واسعة تجاه المسلمين بصقلية حتى إن المؤذنين تسمع أصواتهم بضاحية بالرمو، غير أنهم لم يكونوا يؤدون صلاة الجمعة بالنظر لمنع الخطبة عليهم، [illegible] ولتحريض ضد السلطة، لكن كان يسمح لهم بخطبة العيد والدعاء للخليفة العباسي، وهذا في الوقت الذي كانت توجد خلافة موحدية قوية، بينما الخلافة العباسية قد فقدت نفوذها من زمان، والأرجح أن يكون ذلك بقصد من حكام صقلية نظرا لما قام به الموحدون من إقصاء النرمان عن سواحل إفريقية. وتأثرت المسيحيات أيضا بالزي السوي الإسلامي كالتحلي وبخضب كالمسلمات والتحلي بالحلي،

ولم يقتصر التأثير الإسلامي على صقلية النرمانية وحدها، فحتى منطقة لمبارديا الإيطالية كان يعيش بها عدد مهم من المسلمين، وبمركزها بافيا Pavia أحصى الإدريسي ما يزيد عن أربعمائة من كبار التجار المسلمين، وثلاثمائة فقيه مسلم كانوا يقومون بتحرير عقود التجارة لدى اللمبارديين ويفصلون في نزاعاتهم أيضا، والأرجح أن هذه العقود كانت تحرر بالعربية، وهذا العصر كان عصر احتكاك واسع النطاق في مجال التجارة بين المسلمين والنصارى عبر المتوسط. ثم إن الأوروبيين لم يلجأوا إلى مدونة جوستينيان والاحتكاك بالقانون الروماني إلا منذ هذا العصر بالذات (القرن 6/12م)، وهذا ما يفسر تخلف مجال التشريع والتوثيق بلمبارديا كما في غيرها، وبفضل التشجيع الكبير الذي خص به روجار الثاني، الشريف الإدريسي، تمكن هذا الجغرافي الفذ من إعداد كتابه القيم، وإعداد [illegible]، والكرة الفضة الأرضية وخرائط الأقاليم التي [illegible]

وتغيرت أوضاع المسلمين في صقلية بشكل مفاجئ منذ تولي أسرة (الهوهنشتاوفن) عرش الجزيرة سنة 592هـ/1194م، فبدأ باضطهاد المسلمين وملاحقتهم في موارد عيشهم، مما اضطر أفواجاً ضخمة منهم تعد بالآلاف، إلى مغادرة الجزيرة والالتحاق غالباً بإفريقية. وبقي عدد من الأسر التي شملها نظام (الإقطاع)، فصارت تخدم الأرض وتباع معها. وابتداء من أواسط القرن 13م (7 هـ) بدأ تعميد أبناء المسلمين قهراً ومنع على المسلمين حمل السلاح، وحمل بقايا المسلمين شعاراً يميزهم عن النصارى.

وكانت درجات التسامح تجاه المسلمين في الممالك النصرانية الإيبيرية محدودة في مجملها، ولا ريب أن الأسرى لدى الجانبين معاً كانوا أسوأ وضعاً. وعلى العموم يعتبر الأسرى المسلمون لدى النصارى أرقاء لا يحصل أحدهم على حريته إلا بالتنصر. وعندما يدخل النصارى بلداً مسلماً فإنهم يحولون المساجد إلى كنائس، على عكس ما كان يفعله المسلمون بالكنائس إذ لم يهدموها، وعلى المسلمين أن يشاهدوا الأجراس على الصوامع ويسمعوا رنينها بدل صوت المؤذنين. وقام خايمي الفاتح الأراغوني بطرد المسلمين ابتداء من 652 هـ والاستيلاء على أراضي المسلمين، على إثر ثورة قام بها مسلمو بلنسية، ثم حرمت عليهم وظائف الدولة في الممالك النصرانية [illegible] أيضاً، وبدأت عمليه التنصير بالقوة على نطاق واسع قبل أكثر من ستين سنة على سقوط غرناطة، وأجبر على التنصير كل مسلم بصفة مباشرة إذا وقع في أسر نصراني. وأوضاع الموريسكوس بعد سقوط غرناطة معروفة، مع ما تلا هذا السقوط من اضطهاد وتنصير وإحراق وتشريد.

أوضاع المسلمين الجُدُد

يعامل كل من دخل الإسلام بعد كفر، كأي مسلم آخر أصيل في دينه. وهناك أشخاص كثيرون كانوا خاملي الذكر قبل إسلامهم فرفع الإسلام من شأنهم. ويتم إسلام شخص أو بالأحرى إتمام إجراءات دخوله في الإسلام على [illegible] أو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

وقع الإشهار به في سوق أو مكان عمومي حتى يعرف إسلامه ويعامل على أساسه، أي من حيث الحقوق والالتزامات. فإذا ارتد عومل كأي مسلم نشأ على الإسلام وكبر عليه ثم ارتد أي يستتاب، ثم يقتل إذا لم يتب [illegible]

وقد أسلم عدد كبير ممن كانت لهم مسؤوليات أو وظائف في الدولة الإسلامية إما للاحتفاظ على وظائفهم [illegible] الإسلام أو امتنانا للمعاملة التي عوملوا بها بالتكريم ووفقاً للتسامح الإسلامي. وهؤلاء يسمون أيضاً كالموالي الذين يكونون أرقاء أصلا ثم يعتقون بعد الأسر التي عاشوا في كنفها. وعدد كبير من هؤلاء المسلمين الأحرار الجدد نالوا مناصب رفيعة أو ساهموا بنصيب بارز في العمل الثقافي والفكري. وهكذا أسلم الحسن بن سهل وأسرته على يد البرامكة، وكانوا مجوساً. وعرف الحسن بن سهل بعد تولي منصب وزاري رفيعاً بمروءته المفرطة. وكان هو وأخوه الفضل من الأدباء المتميزين. وكان والد أبي سعيد السيرافي مجوسياً يدعى بهزاد، فأسلم وأصبح نجله [illegible] من أبرز شخصيات الجو العربي وعلوم العربية مع ضلاعته في الفقه والكلام والعروض. وكان زاهداً ورعاً كما يقول ابن تغري.

وكان يعقوب بن كلس يهودياً ينطق ببغداد، ثم عمل بمصر، وتاجر لمصلحة كافور الإخشيدي، ثم أسلم على يده وتبعاً إثر ذلك إلى إفريقية حيث أصبح أحد الوزراء، ورحب به العزيز الفاطمي، ودون شك كانت له يد في تحفيز الفاطميين للاستيلاء على مصر. وبعد وفاته دفنه العزيز في قبة كان خصصها لنفسه وتوقفت دواوين الدولة حداداً على وفاة يعقوب الذي كان العزيز قد سوّره.

ومهيار الديلمي فارسي من الديلم يحملان (في إيران)، [illegible]

[illegible]

نجحي ... مصر واشتهر في عهد الناصر بن قلاوون، ونائبه بالشام سيف الدين أرغون شاه، وأصله من الصين. أهداه أحد ملوك التتار إلى ابن قلاوون، وعرف بعظمته وثروته.

وأسلم شمس الدين إبراهيم المعروف بكاتب أرمان، وهو من أقباط مصر، أيام الظاهر برقوق، وكان من موظفي ديوانه، ثم أكرهه على قبول الوزارة لضبط شؤون الدولة الجديدة في ظروف أزمة اقتصادية، وكف أيدي الولاة عن الجور

وهذه الأمثلة ليست إلا بعضا من عصر ... بالعشرات، بل بالآلاف عبر العصر الوسيط وفي مجموع العالم الإسلامي، وقد عرف أن إسلام عدد من ذوي الطموح ليس دائماً صادراً عن الروح النفعية، لكن هذه الروح نجدها حتى لدى المسلم العربي أو من حسن في الإسلام، فغالب الذين أسلموا حسن إسلامهم واتسع المجتمع الإسلامي بهم ككل في بالقوة توجهاته وإمكاناته، وكثيرا ما يحظون بتكريم المجتمع والسلطة معا، لأن المسلمين يعتبرون إسلام مثل هذه الشخصيات كسبا للإسلام وهي في مستوى يسمح لها بالاختيار العقائدي لا عن طريق الإقناع والتسليم فقط، بل كذلك عن طريق النص والدراسة والمقارنة

وقد رأينا أن انتشار الإسلام تطلب عصرا طويلا ومر بتطورات عديدة في غالب الجهات قبل أن يستقر أو يصبح دين أقلية أو أغلبية، وفرق بين الفتح السياسي الذي يحتاج إلى استعمال القوة للتغلب على الأرض ومن عليها، و ... العقائدي الذي يتطلب غزو القلوب والعقول ليتمكن منها ويستقر فيها

الرباط، ... ابراهيم حركات

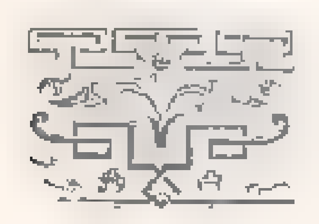

لغة الضاد

وأفق ملازمتها للإسلام في إفريقيا

للأستاذ
عبد الله كالوس

[illegible]
[illegible]
القدرة حتى تكون الإحاطة شمولية ودقيقة، وتحصل بالتالي
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
حق، ومنهج كامل ومتكامل لحياة البشرية وأن الباطل هو
بقاء العقل في حيرة دائمة أمام سلوكات صاحبه في غياب
[illegible]

على أن دافع الفضول يجعلني أقبل على الموضوع من
زاوية بعيدة قريبة ـ ولو من تحت [illegible] [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

والطريق السوي المستقيم نحو الانعتاق الصحيح للنفس
الصحيح

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الله تعالى : ﴿والذين
كفروا [illegible] [illegible]
مثوى لهم﴾ [illegible] فالمسلمون يحيون مع حياة الإسلام
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ﷺ حينما وردت ألفاظ جديدة من
[illegible] والتي لم يفهم المسلمون دلالاتها من أول
[illegible]

وقد يحتج من يضع الإسلام في المكان الثاني بعد اللغة العربية، فالإسلام يدفع إلى تعلم اللغة العربية، واللغة العربية قد لا تدفع إلى اعتناق الإسلام، ومن هنا المنطق فإن الواقع التاريخي للشعوب الإسلامية يؤكد التلازم بين اللغة العربية والإسلام فاللغة العربية - التي هي لغة القرآن - سارت في ركاب الإسلام وحلت حيثما حل، ثم إن أهل البلاد الناطقة باللغة العربية كانوا ولا يزالون أقدر على فهم الإسلام لقدرتهم على فهم القرآن والحديث وهما المصدران الأساسيان لتعاليم الإسلام.[3] وإذا كان العمر لا يتسع لجميع العلوم فإن على المرء أن يصرف همه الأول على أشرف العلوم وأحسنها، وليس أشرف ولا أحسن عند المسلم من القرآن الكريم الذي ارتبطت به اللغة العربية [illegible]

وكان التحدي الخطير الذي وجهه الاستشراق والغزو الثقافي والتبشير في العصر الحديث[4] عندما كانت الحملة ولا تزال تهدف إلى فصم العلاقة بين القرآن ولغة القرآن، والعمل بوعي على عزل اللغة العربية عن القرآن ودفعها إلى الطريق الذي سارت فيه كثير من اللغات حتى انتهى أمرها إلى مجموعة من اللهجات، والخطر كله من لغة القرآن وهدف كله هو الفصل بين اللغة والقرآن لأن الفصحى على قاعدة الثبات الوطيدة الأصيلة في الفكر الإسلامي والشخصية الإسلامية حين تفقد اللغة ذلك الشرف والمستوى المرتبط بالقرآن وبيانه وبلاغته.[5] بيد أن الله تعالى حفظها حفاظا على الدعوة الموثقة بين الإسلام ولغة الضاد التي آمن بها المسلمون منذ فجر الدعوة الإسلامية وربطوا أنفسهم باللغة العربية وربطوهم بالإسلام، إذ أن القرآن منزل بالعربي المنزل [illegible]

إلى لغة أخرى لا تسمى قرآنا وليس بها أحكامه فلا تكون مصدرا للاستنباط ولا يتعبد بها.[9]

ومن هنا كان من الأجدر والأليق بالإنسان الإيمان [illegible] الإسلام طريقه الصحيح ومثاله الأخير [illegible] [illegible] أكرم المخلوقات [illegible] الذي [illegible] فيه، وليس خلافته في الأرض [illegible] كله [illegible] حمل الأمانة [illegible] الله [illegible] أن [illegible] اللغة العربية ليست كسائر اللغات [illegible] الإسلام وارتباطها بالقرآن [illegible] [illegible] الاختلاف، [illegible] اللغة العربية هي اللغة [illegible] [illegible] التفكير [illegible] ولغة [illegible]

[illegible] من كونها لغة دين ولغة [illegible] على [illegible] لغة [illegible] التجارة [illegible] الواضح في العربية و[illegible] القرآن الذي [illegible] فكر [illegible] الفكر الإنساني [illegible] [illegible] اللغة العربية [illegible]

[illegible]

[illegible] أو تكلف.[9]

[illegible]

العالم [illegible] ولغة [illegible][11] [illegible] المرتبطة بالقرآن [illegible] الحق أن

---

3) أنور الجندي، المرجع السابق، ص 45

4) المرجع السابق ص 43 بتصرف.

5) المرجع السابق، ص 45

6) سيد حوى، الإسلام ص 220.

9) أنور الجندي، المرجع السابق ص 8

10) المرجع السابق ص

11) [illegible]

حة بشريين إنما هي جزء من حقيقة الإسلام لأنها كانت ترجمان لوحي الله ولغة لكتاب الله ومعجزة لرسوله وبيان لدعوته.

ولقد كان القرآن حافزا لانتشار العربية في المجتمعين إذ لولا القرآن لظل أهل كل بلد من البلدان التي انضمت إلى الإسلام منغلقين بلهجتهم يستصعبون لهجة البلد الآخر، ولولا القرآن لما أدرك أعداء الإسلام مدى الصلة بين المسلمين ولغتهم ولما بادروا صفوفهم في الهجوم عليها ومكر في الكيد لها. ولما كان القرآن ضروريا في حياة المسلم، لقول النبي ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنه: «إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[13] فإن اللغة العربية التي هي باب القرآن وباب السنة تجعل أصحابها من الجانبين ـ الملقي والمتلقي ـ مسؤولة تطلعهم ويتطلعون إلى من هم ضعاف حيث ويطلبون من يعلمهم اللغة العربية للوصول إلى تعلم القرآن والإسلام، خاصة وأن فقرهم يحول بينهم وبين مجهودهم للتعلم.[14]

ولما كانت غاية الدين الإسلامي هي سعادة الدارين إذ لا يمكن الوصول إليها إلا بتزكية النفس بالإيمان الصحيح ومعرفة الله والعمل الصالح ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال لا بمجرد الاعتقاد والاتكال ولا بالشعائر وخوارق العادات،[15] وفي هذا يقول الله تعالى: **﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا﴾**[16] ويقول سبحانه جل وعلا: **﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾**، من هذا المنطلق إذن وجب على المسلم في إفريقيا أن يتطلع إلى غاية لغة التنزيل باعتبارها السبيل الضروري والسبيل القويم لمعرفة شريعة الله تعالى وإثبات الهوية الحقيقية للمسلم الذي لا يميزه ربه ـ سبحانه عز وجل ـ لحسبه أو لونه [illegible] صالح وعلم نافع له في الدنيا والآخرة. وفي [illegible] النبي ﷺ حينما سئل عن رجلين كانا في بني إسرائيل، أحدهما كان عالما يصلي المكتوبة ثم يجلس، فيعلم الناس الخير، والآخر يصوم النهار ويقوم الليل أيهما أفضل. «فضل العالم الذي يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل كفضلي على أدناكم رجلا».[17] هذا التوجيه الحكيم الصادر عمن نزهه الله تعالى من أن ينطق عن الهوى يدعو [illegible] المسلم في إفريقيا (العربية خاصة) التي يعد فيها الإسلام أهم أديانها وهو الدين الذي اعتمده قبلها،[18] اعتماده كقاعدة أساسية ثابتة للحفاظ على الهوية الإسلامية ضد خطر المؤسسات التبشيرية التي تجد في الإسلام خطرا حقيقيا [illegible] نشاطها وجهودها ليس بما يمتلك المسلمون[19] من إمكانات الدعوة والانتشار في أرض إفريقيا في هذه

(12) أنور الجندي، المرجع السابق ص 45.

(13) سنن الدارمي (الجزء الثاني) ص 429. كتاب فضائل القرآن ـ باب [illegible] الصحة النبوية.

(14) عماد الدين خليل، عبد الله في إفريقية الحضارة القاهرة (وثائق من تاريخ المغرب) ص 9.

(15) [illegible] ص 34.

(16) [illegible]

(17) [illegible]

(18) [illegible] ص 96.

(19) الشيخ محمد كان (السينغال) في كتابه:

le bulletin de l'association musulmane des étudiants [illegible]

[illegible]

[illegible] ترجمة إلياس [illegible]
الإسلام في إفريقيا السوداء ص 63.

[illegible] إلى [illegible] عمقا [illegible]
خطوة موجهة، وبعجلة حتمية إلى تقويت السعي المطلوب [illegible]
[illegible] الإسلامية في إفريقيا العربية [illegible]
[illegible] إبراهيم [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] 70 [illegible]

النقطة بالذات يبدو التفوق واضحاً للمؤسسات التبشيرية التي تسندها أغنى الدول وأقواها، ولكن بما في الإسلام نفسه من حيوية وسماحة ووضوح واندفاع ذاتي وإقناع، تقف وراءه تلك العناية الإلهية التي جعلت من هذا الدين طريق البشرية الأخير.[20]

ولترجمة هذه القناعة والوصول - بالتالي - إلى الغاية التي تقوي الشعور بالوحدة، وتؤلف بين قلوب أفراد [illegible] تمنح المجتمع هوية إسلامية مشتركة[21] ينبغي [illegible] لغة القرآن، ولغة السنة لتزكية الهوية الإسلامية الصحيحة، فليس [illegible] تكون [illegible] لا [illegible] في [illegible] [illegible] تكون [illegible] تعي شيئاً من لغة الضاد.

وجدة - عبد الله بوكابوس

---

(20) عماد الدين خليل، مباحث في إفريقيا - العصر القديم - ووثائق من تاريخها المعاصر، ص 73.

(21) جورج كارينتر في كتابه (إفريقيا اليوم) ص، 98 - 99، عماد الدين خليل [illegible] ص 104 [illegible]

(22) فنسان مونتاي، ترجمة زينب عبد [illegible] الإسلام في إفريقيا السوداء، ص 268 - 269.

اهتمام الإسلام بالأسرة

للأستاذ عبد القادر العافية

عندما نرجع إلى النصوص المتعلقة بتكوين الأسرة وتنظيم العلاقة بين أفرادها نجد أن المصادر الأساسية للتشريع الإسلامي اعتنت بهذا الموضوع عناية كبيرة ابتداء من الحث على حسن اختيار شريك الحياة، والحث على حسن المعاشرة ودوام المودة.. إلى وجوب العناية برعاية الأطفال وحسن تربيتهم وتأديبهم وتعليمهم وبث الفضائل في نفوسهم...

ويلاحظ الدارس لنصوص القرآن الكريم والسنة [illegible] الأسرة الإسلامية بناء مشيدا على قواعد سليمة، بحيث تدرك القواعد [illegible] تكون على دعائم عقلية، منطقية، وعلى أسس [illegible] قويمة مع مراعاة الجوانب العاطفية للإنسان وصيانة عواطفه ونوازع فطرته... من هذه المنطلقات تنطلق التوجيهات الإسلامية في بناء الأسرة وتكوينها، وهي منطلقات لها جذور فطرية في النفس الإنسانية، ولها أصل متمكن في الطبائع السليمة فهي نصوص موجهة ومرشدة تمتن روابط الأسرة، ومحذرة في نفس الوقت من الوقوع في المزالق والمآسي ومنعطفات الحياة.

وبتحليلنا لبعض النصوص الواردة في موضوع الأسرة ندرك مصدر سمو العلاقات الإنسانية التي يدعو إليها الإسلام في هذا المجال ومن هذه النصوص قوله تعالى: **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾** .. (النساء/1)

ففي هذه الآية نرى أن الخطاب موجه للناس كافة أي موجه للإنسانية جمعاء، والخطاب القرآني ينادي بمراعاة قدسية الزواج والروابط الزوجية.. ويذكر المخاطبين بأن الرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة ومن عنصر واحد بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر في التكوين، وهذا إبطال لما كانت تدعيه بعض المجتمعات والفلسفات من تميز الرجل عن المرأة في صيغة تكوينهما.

فمن الرجل والمرأة حسب المنطوق القرآني تكونت الخلية الأولى للأسرة ومن مجموع الأسر يتكون المجتمع الإنساني، يقول النص: **﴿وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾** فمن رجل وامرأة يتكون المجتمع، وكما على الإنسان أن

يرعى جانب الله في سائر تصرفاته، فعليه كذلك أن يراعي العلاقة الإنسانية وأن يصونها، وألا يقطع وشائج الأرحام، لأن هذه الأرحام لها مرتبة عظيمة عند الله الذي خلق الإنسان وجعله نسبا وصهرا.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم/20)

تشير الآية الكريمة إلى أن الذين يتفكرون في سر العلاقة بين الرجل والمرأة: العلاقة التي بناها الإسلام على الود والمحبة والتشاكل والرحمة... هم الذين يتفكرون في آيات الله، وهذا رفع كبير لقيمة الرابطة الزوجية، فالمرأة في هذا الخطاب الإلهي هي من نفس الرجل. والشيء [illegible] ويكون الرحمة والمودة والتفاهم و[illegible] والتكامل.

هذا التصوير الفني البديع للعلاقة بين الرجل والمرأة يعطي للحياة الزوجية مذاقا جديدا وقدسية وسموا.

فالزوجة [illegible] أمانة عند زوجها، والزوج يصبح نفسه أمانة عند زوجته، وقد أعطى كل واحد منهما للآخر عهد المودة والصفاء، ومن هنا لا يجوز لأحدهما أن يكدر صفو هذه الحياة التي هي من أجل نعم الله عليهما، بل ينبغي أن يحوطا علاقتهما بالمودة والتوادد، والمحبة [illegible].

☆ ☆ ☆

وفي آية أخرى يصور القرآن الكريم عمق الترابط بين الزوجين بقوله: ﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض، وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ (النساء / 21)

والإفضاء الوارد في الآية كلمة جامعة، فالإفضاء كما يكون بمباشرة الأجسام وتصادقها بعضها ببعض يكون بالأسرار وبالمعاني... والميثاق الغليظ هو رباط الزوجية، ولوازمه من وجوب المعاشرة بالإحسان والرفق والمودة.

ومن أبدع النصوص القرآنية في تصوير العلاقة بين الرجل والمرأة قوله تعالى: ﴿هن لباس لكم، وأنتم لباس لهن﴾. (البقرة / 187)

ومن شأن اللباس أنه يستر صاحبه، ويضفي عليه رونقا وجمالا، فالزوجان يجمل كل واحد منهما الآخر ويصونه. فكل من الزوج والزوجة ستر وجمال للآخر.

من الأكيد أنه من الصعب جدا أن يجد الباحث مثل هذه المعاني السامية لتصوير العلاقة بين الزوجين في غير الإسلام.

ويحبب الإسلام الحياة الزوجية للناس ويجعلها مصدر تفاؤل وخير، ومبعث بهجة وسرور. يقول تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة، ورزقكم من الطيبات..﴾ (النحل / 72).

فالحياة الزوجية من أهم بواعث الاطمئنان النفسي، وهي إلى ذلك وسيلة للحفاظ على النسل، ومدعاة إلى سريان الابتهاج في البيت بوجود الأبناء والحفدة، والرزق الطيب الذي ييسره الله، ويفتح أبوابه.

يحب الإنسان [illegible] وعلاقات رحيمة إلا بتنظيم الفطرة البشرية [illegible] الزواج المشروع المحقق لأهدافه وغاياته [illegible] في بناته إلى بناته وأحفاده الذين يطمئن أنهم قبسه وينشرح بهم فؤاده، ويرى فيهم [illegible] واستمرار ذكره [illegible]

والإسلام الخبير بحاجات النفس الإنسانية يؤكد أن مؤسسة الزواج لا يمكن أن تقوم على أحسن وجه، إلا بالتزام آداب وأخلاق معينة، لأن رابطة الزوجية المقدسة تحتاج إلى أن تحترم من الجانبين: جانب الرجل وجانب [illegible]

يقول تعالى: **﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾**. (النساء / 19).

فالقرآن الكريم يوجب حسن المعاشرة بأمر إلهي، وإذا حدث ما يكدر صفو الحياة الزوجية فلا بد من الصبر والتأني وعدم التسرع في اتخاذ القرارات التي من شأنها أن تهدم بيت الزوجية، وتعبث بالمشاعر النبيلة...

☆ ☆ ☆

ويوصي القرآن الكريم الأزواج ويثبتهم بقوله: **﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾**. وفي هذا إشعار للزوج بأن فصم عرى الزوجية قد يفوت عليه فرصة لا تعوض، ويحرمه من خير كثير ويعرضه للتحسر والندم.. وربما ضيع عليه فرصة العمر.. فمن الحكمة أن يتريث ويصبر..

وقال نبينا ﷺ: «رفقا بالقوارير» وقال عليه السلام: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم» وقال عليه السلام: «لا يفرك مؤمن مؤمنة - لا يبغضها - إن كره منها خلقا رضي منها غيره».

ويقول النبي ﷺ: «الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة».

فالحياة الزوجية في الإسلام مبنية على سعة الصدر، والتجاوز عن الهفوات، وعلى حسن الظن، والتغاضي عن كل ما لا يخل بالمروءة، أو يخدش الكرامة، أو يمس العرض.

والقرآن الكريم يطمئن الزوجين ويهدئ من حالتهما النفسية عندما تكون رغبتهما شديدة في الحصول على الذرية ولا يرزقان بها، يقول تعالى: **﴿يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا، ويجعل من يشاء عقيما﴾**. (الشورى / 47)

ففي هذا التوجيه الإلهي إشعار بأن أمر الذرية بيد الله تعالى، يهب لمن يشاء الذكور أو الإناث أو هما معا ويجعل من يشاء عقيما، وبذلك يتأكد المسلم أن لا معنى للتحسر والتلهف وإثارة المشاكل.. وصب جام اللوم والسخط على الجانب الآخر..

وإذا كان من طبيعة النفس البشرية أنها تدعو إلى تحقيق رغبتها في الذرية بالوسائل المشروعة، دون اللجوء إلى تنغيص الحياة باللوم تلميحا أو تصريحا، لأن الله تعالى يهب الذرية لمن يشاء بإرادته هو تعالى. فالقرآن الكريم يتدخل ليحسم هذا الأمر الذي يشغل بال الزوجين، والذي ينغص على كثير من الناس حياتهم، ويعطي درسا للذين يجهلون نواميس الحياة، أو يريدون تخطي ما قسم لهم.

بل يذهب القرآن إلى أبعد من ذلك فيقرر بأن المرأة ليست مسؤولة بتاتا عن إنجاب الذكور أو البنات - كما يزعم بعض الناس - فيقول تعالى في معرض حديثه عن الإنسان: **﴿ألم يك نطفة من مني تمنى، ثم كان علقة فخلق فسوى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى...﴾**. (القيامة / 38)

سواء أعدنا الضمير في (منه) على الإنسان أو على المني الذي هو أقرب مذكور، والذي يحتوي البويضة، يبقى المعنى واحدا وهو أنه لا دخل في إنجاب الذكور أو الإناث للمرأة، بل ذلك بيد الله تعالى.

فالقرآن الكريم يحذر المسلم من المزالق التي يقع فيها كثير ممن يجهلون نواميس الحياة، ويضفي على الحياة الزوجية هالة من الاحترام، ويجعل منها رابطة متينة تقاوم تقلبات الحياة وعواصف الزمن وعوارض النفوس...

وبناء الحياة الزوجية على تعاليم الإسلام، ومراعاة التوجيهات الربانية يتيح مجال الدفع والنصح الصالح لتنشئة أسرة إسلامية قوية، ولتربية أطفال ذوي أخلاق كريمة.

وإلى هذا راعت الشريعة الإسلامية في الواجبات المطلوبة من الزوج مسؤولية الرجل عن الأسرة، وقدرته لحمايتها فأوجبت عليه واجبات نحو زوجته منها: دفع الصداق لها، ووجوب الإنفاق عليها وعلى أولادها منه ووجوب إرشادها إلى الخير، وإلى الطريق المستقيم، ووجوب معاشرتها بالمعروف.. وحثت على الرجل عدم

الزوجيات إكراما للمرأة، مع أن الرجل والمرأة متساويان في منافع الزوجية من حيث أن كل واحد منهما يحمي صاحبه ويصونه ويحفظ حياته أكثر [illegible]، فكما تستقر حياة الزوج بالزواج تستقر به حياة الزوجة، وهما متساويان من حيث أن كل واحد منهما يتمتع بصاحبه وكل منهما يطلب الذرية الصالحة لتكون ثمرة فؤاده، وسر وجوده.

ومع قيام هذه المنافع المشتركة بينهما، أوجبت الشريعة الإسلامية الإنفاق على الزوج، وأوجبت عليه عدم الإضرار بزوجته، كهجرها، أو منعها من زيارة أهلها، أو الإساءة إليها بالكلام الذي لا يليق.

وفي مقابل ذلك أوجبت التعاليم الإسلامية على الزوجة طاعة زوجها في الخير والمعروف لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وأوجبت عليها تلبية رغباته [illegible] وأوجبت عليها المحافظة على سر زوجها وعدم [illegible] بما لا يليق، وأوجبت عليها الأخلاق الإسلامية أن تواسيه بمالها إن أصابته مصيبة، أو مسته عسرة.

وتعتبر الشريعة الإسلامية الرجل قيم الأسرة، وفي مقابل [illegible] في بيت زوجها [illegible] مسؤول عن البيت [illegible] تشريعا، ولأن الأسرة تحتاج إلى مسؤول بالدرجة الأولى، وهذا المسؤول هو المطالب بتوفير الحياة المادية والمعنوية، وبذلك كان الزوج يتحمل القسط الأكبر في الحياة الزوجية وعليه أن يتحمل هذه المسؤولية بجدارة. يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم».

فقوامة الرجل هي مسؤولية، لتوفر دواعي تحملها عند الرجل أكثر مما هي متوفرة لدى المرأة.

[illegible] لم يقل: الذكور قوامون على النساء، وإنما قال: الرجال. والرجل من توفرت فيه صفات الرجولة من [illegible]، ونخوة، وخلق كريم، وسعة صدر، وقدرة على [illegible] الأمور [illegible] وأصالة، فمجرد الذكورة لا يمنح هذه القوامة حسب التعبير القرآني.

فالشريعة الإسلامية أحاطت الحياة الزوجية بكثير من الضمانات حفاظا على استقرار البيت وسلامته، وحرصا على أخلاق الأولاد وسعيا في وجود جو ملائم لتربيتهم تربية حسنة.

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته».

فمسؤولية [illegible] وفي الجو [illegible] الرجل والمرأة [illegible] مسؤولية [illegible] كل واحد منهما.

وفي المجال الاجتماعي والاقتصادي، يثبت الإسلام للمرأة كامل الحقوق والواجبات والخصائص الإنسانية والاستعدادات الفطرية.

ويقرر أهليتها اقتصاديا واجتماعيا وفكريا... أهليتها للعبادة والتكاليف الشرعية، ويجعل لها دورا في بناء المجتمع بجانب الرجل. قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم﴾. (التوبة / 72).

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾. (النساء / 124).

والمرأة في الإسلام مستقلة في تصرفاتها المالية، لا حجر عليها من أحد ولو من زوجها، وللمرأة المسلمة أن تملك، وتتاجر، وتعقد العقود، وتهب، وتتصدق، وأن تخاصم [illegible]

فالإسلام أعطى المرأة من الاعتبار والمكانة ما لم تعطه إياها القوانين العصرية في كثير من الدول والشعوب.

وحفاظاً على استمرار روابط الأسرة أعطت الشريعة الإسلامية قيمة كبيرة للوالدين حتى لا تنتهي هذه الروابط بانتهاء مهمتهما قال تعالى: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهناً على وهن، وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير، وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي، ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾**

فوصية الأبناء بالآباء، وجعل برورهما من الواجبات الأكيدة يعد من أهم دعائم الأسرة المسلمة لأن [illegible] لا يسود فيها البرور بالآباء تصبح أسرة متفككة، يحترق فيها الآباء والأمهات بمرارة عقوق الأبناء وإهمالهم وتخليهم.. مما يجعل الآباء يعيشون حسرة، وألماً. ويلفت القرآن الكريم النظر إلى ما تعانيه الأم فيقول: «حملته أمه وهناً على وهن، وفصاله في عامين».. تنبيه إلى أن ضعفها كان يتزايد بازدياد ثقل الحمل إلى حين الوضع، ثم تأتي المشاق الأخرى: مشاق التربية، والرعاية، والرضاع، والصيانة من الأذى. وكل ذلك يقتضي المشقة والصبر مع شفقة وحب وحنان... مما جعل الرسول ﷺ يجيب ذلك السائل حسب سؤاله: من أبر يا رسول الله؟ قال: أمك ثم قال من؟ قال أمك. وفي الرابعة قال أبوك.

ولاحظنا في الآية السابقة أن الله تعالى قرن شكره بشكر [illegible]

فالأسرة في الإسلام لها مكانة سامية فروعاً وأصولاً، وعملت التعاليم الإسلامية على تقوية الروابط بين أفرادها في إطار من الاحترام والمودة والمحبة وقيام كل واحد بواجبه نحو الآخر.

سلا : **عبد القادر العافية**

لماذا عيد المولد في الغرب الإسلامي؟

الأسباب التي كانت وراء إنشائه..

بعد أن لم يكن لا في عهد الأدارسة ولا في عهد المرابطين والموحدين

للدكتور عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

لقد أصبح المسلمون في الأندلس يقلدون جيرانهم المسيحيين في الاحتفال بأعيادهم وفي صنعهم «الماكيطات» من الحلوى!
هنا فكر العلماء في البديل الذي لم يكن غير الاحتفال بعيد المولد النبوي
وهنا صدر المرسوم الملكي (691 = 1292) بجعل المولد من الأعياد الرسمية..

[illegible] أشرت إلى أن الذين [illegible] سبقوا في ديار المغرب إلى الاحتفال بعيد المولد النبوي هم بنو العزفي أصحاب [illegible] على نحو [illegible] ظهر في نفس التاريخ تقريبا في [illegible] على نحو [illegible] تحدث به ابن خلكان.

وقد ذكرت تعريز [illegible] أن أبا العباس العزفي كان شرع في تأليف [illegible] يحمل عنوان: «الدر المنظم في مولد النبي المعظم» وهو التأليف الذي أتمه ولده أبو القاسم على [illegible] هو معروف.

ولم تلبث الدولة المرينية أن تبنت المبادرة العزفية [illegible] بضرورة شد الجماهير إلى التمسك بالمبادئ الإسلامية والتعلق بالنبي الكريم وهكذا ظهر (مرسوم ملكي) [illegible] عام 691 = 1292 في أعقاب جواز [illegible] المريني إلى الأندلس لرد عدوان [illegible] على الثغور التابعة للمغرب [illegible] وجدت [illegible] يشرع الاحتفال بعيد المولد

[illegible] 2 [illegible] 1340 [illegible] 93.

من سائر جهات المغرب، ويعشره يوما رجب تذريه تتبادل به التهاني بين سائر طبقات البلاد وهو الأمر المحمود الذي استمر عليه التقليد إلى اليوم في بلاد المغرب.

وإذا كانت مجالس الاحتفال بهذه المناسبة قد أصبحت عادية عند ملوك بني مرين بفاس... فإنها عند جوارهم بني عبد الواد في تلمسان أثارت انتباه يحيى ابن خلدون الذي تحدث عن المشاعل التي كانت تحاكي الأسطوانات القائمة، كما يحكي عن المباخر الضخمة، ويحكي عن النوع الذي يسترسل إلى آخر الليل والذي يسمى نصب الموائد.

وبالإضافة إلى ما قرأناه عن المغرب الأقصى والمغرب الأوسط نجد أن كتب بعض المؤرخين بالأندلس لا يفوتها الحديث المفصل عن الاحتفال بالمولد النبوي الذي كان يقترن في بعض المناسبات بتقاليد بالغة في المتعة والأطرف على ما نقرأه مثلا بمناسبة الحديث عن اختراع [illegible] شمعة، التي تحدث عنها لسان الدين ابن الخطيب [illegible] علاقة [illegible].

وبعدم السلطان ربيع 764 هـ [illegible] التي [illegible]

[illegible] مكان غريب خشبي أجوف في مثل القامة، صير [illegible] شكل الأسطوانة إلى ذي جهات، إثني عشر، في أعلى كل جهة منها محراب، واستقبل برأس لشكل شمعة موقدة [illegible] جرمها أجزاء بانقسام ساعات الليل، وأخرج من عند كل خط يقسم جسمها ويعين الساعة فيها [illegible] من الكتان

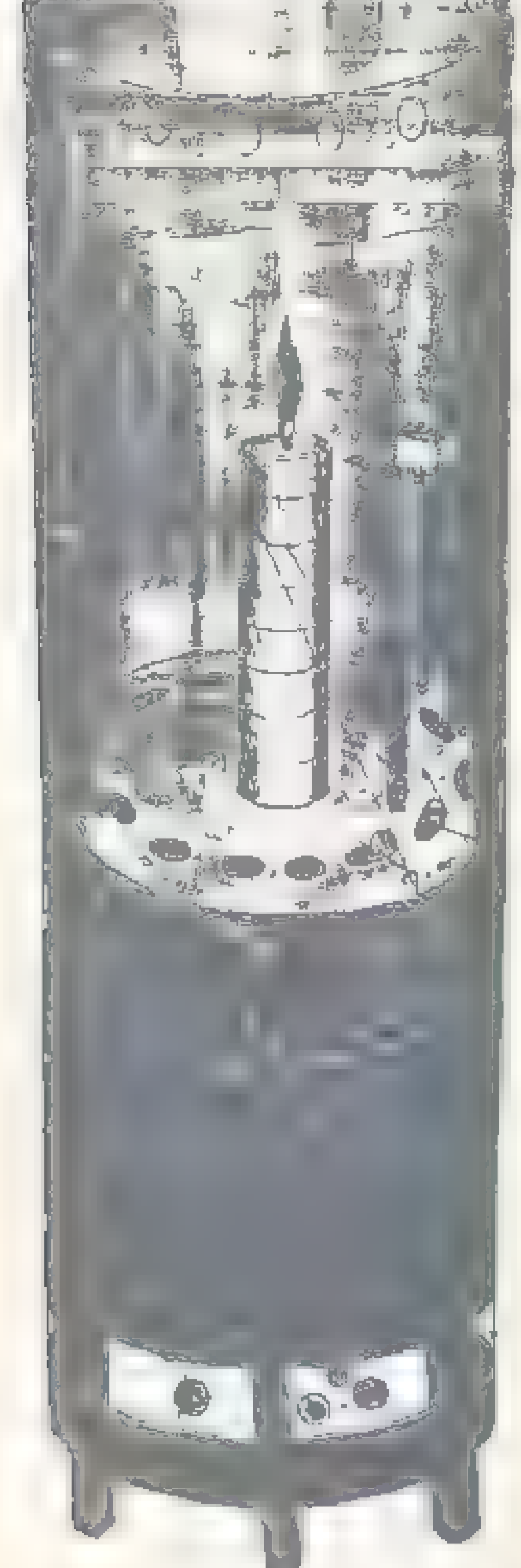

الرسم من تصميم المهندس المغربي عبد الرحيم العمل [illegible] تكيف [illegible] النار [illegible]

نلفت [illegible] من عهد [illegible] السلطان أبي سعيد الثالث 800 هـ - 823 هـ، 1396 - 1420 الذي [illegible] الرسمي وقد أحيى المنصور السعدي الاحتفال بعيد المولد [illegible] ابن القاضي المنتقى المقصور على مآثر خليفة [illegible] تحقيق محمد رزوق، مكتبة المعارف الرباط 1986 [illegible] 16 وما بعدها.

[illegible]

[illegible] 278 - 9 [illegible]

برأس علق المحراب الظاهر فيمنعه من الهوى والنزول وفوق محدب المحراب خرت (ثقب) محكم يفضي إلى شكل، يعترض مجراه قائم من الحديد مثبت في رأس العلق الذي سد المحراب وخلفه كرة من النحاس بتدقيقه الشكل يمنعها ذلك القائم المعترض للمجرى من الانحدار، وخلف العلق شكل يهدي رسمه منظومة تعرف بمضي الجزء من الليل، فإذا سقوت النار على الشمعة وبلغت إلى حد الساعة أحرقت السبب المتصل بما ذكر، فانحدر العلق وزال المانع عن سقوط الكرة فهوت واستقرت في بعض الصحون المحمية. وبرزت الرقعة فأوصلها القيم على ذلك إلى سميع فأنشده.

وقد أجرى التجريب بهذه الآلة على ما تقتضيه طبيعة نارها وفتيلتها، والهواء المحصور في تجويفها فصح عمله واطرد صدقه وحقت ثقته»[4].

☆ ☆ ☆

ولا بد أن نلاحظ ـ بعد كل هذا ـ أن الدواعي التي كانت وراء إنشاء مثل هذا الاحتفال بعيد المولد لم تكن فقط التعقيب على الشيعة الذين اعتادوا الاحتفال بمولد «الإمام علي والحسين» ولكن الأمر يتعلق بمنافسة العادة التي جرى عليها المسيحيون في احتفالهم بعيد المسيح أو [illegible] بجعل بديل لما أخذ بعض المسلمين يقومون به في الأندلس.

إن الظاهرة التي لفتت أنظار العلماء وأهل الغيرة في الدين هي التي تجلت في أن بعض المسلمين في الأندلس أخذوا يشاركون المسيحيين في احتفالاتهم بعيد الميلاد [illegible]

[illegible]

على الشهور القمرية، وبذلك لاحظوا أن «اندماج» المجموعة الإسلامية في المجموعة المسيحية آخذ في الطريق!

لقد كان في جملة ما يقوم به المسيحيون في تلك الاحتفالات أنهم يصنعون رسوما مجسمة (ماكيت) بالعجين والحلوى، رسوما تختلف حجما وتركيبا حسب مركز الأسرة، التي يجتمع أفرادها للاحتفال قبل أن يتوزعوا أطراف تلك الماكيتات[5].

وقد حبب إلي أن أنشر بهذه المناسبة قطعة من التأليف الرفيع الذي أشرت إليه قبل قليل، «الدر المنظم في مولد النبي المعظم»[6].

لقد ورد في مخطوطة الشيخ الأجل الأكمل أبي القاسم بن الشيخ الإمام أبي العباس أحمد بن الشيخ الفقيه القاضي أبي عبد الله اللخمي ثم العزفي من أهل سبتة حرسها الله.

ورد في هذه المخطوطة ما يلي مما يكشف بجلاء عن الأسباب التي جعلت المغاربة، ومنهم كامل الحق، يسنون الاحتفال بعيد المولد حتى لا يصبحوا في متاهات ومجتمعات أخرى لا صلة لهم بها..

قال:

«...وإن تعجب ـ أيها الناصح لنفسه ـ فعجب من إحصائهم لتواريخها (السنة المسيحية..) والاعتناء بمواقيتها فكثيرا ما يتساءلون عن ميلاد عيسى على نبينا وعليه السلام، وعن تقدير سابع ولادته، وعن لعنصرة ميلاد يحيى على نبينا وعليه السلام، وما ألهمهم التوفيق، ولا العزيز المرشد ولا الرفيق أن يكون سؤالهم عن ميلاد نبيهم محمد ﷺ خيرة الله من خلقه، وذلك من

---

4 ـ [illegible] 1960.

ـ [illegible] 48.

5 ـ المخطوط [illegible] في قسم المخطوطات [illegible] رقم 450 [illegible] ويهمني بالمناسبة أن أتقدم بالشكر الجزيل للسيد قيم الخزانة على [illegible]

شكر نعم الله به عليها بعض واجبه وحقه، هاديهم من ضلالهم، ومرشدهم من غيهم العزيز عليه عنتهم، الحريص على هداهم الشديد عليه ضلالتهم وفتنتهم، الرؤوف الرحيم شفيعهم الذي ضوعف لهم به ثواب محسنهم وتجوز عن مسيئهم بل عن جماهير عامتهم ودهمائهم، بل الذين يدعونهم بطلبتهم وعلمائهم لا يعرفونه ولا يعرفون...[7] بل يقتنعون بأنه في كتبهم ويكتفون !! والحمد لله فقد انتهى اليوم إلى العذراء في خدرها والحرة المصونة في سترها، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة بقيام حجتها وانقطاع عذرها، والله يعيذنا من الفتن ويقينا غوايل شرها...

قال المؤلف رضي الله عنه :

وأما ما اشتمل عليه (عن توريخ السنة المسيحية...) بالسؤال والمحافظة عليها والاقبال، من بدع وشنع ابتدعوها وسنن واضحة أضاعوها، بموائد نصبوها لأبنائهم ونسائهم وصنعوها، وتهادوا فيها بالتحف التي انتخبوها والصدائن التي صوروا فيها الصور واخترعوها، ونصب ذوو اليسار نصبات[7] في الديار كما تنصب أهل الحوانيت لتقصدوها... فقوم أبرحوا أكلها لعيالهم وقوم سمعوها، وجعلوها كعروس لا تغلق دونها الأبواب، وفي منصتها رفعوها، وبعضهم أكل من أطرافها ثم تاعوها، ولقد ذكر لنا غير واحد من المسافرين أن التصبة ببعض بلاد الأندلس - جيرها [illegible] - بلغ ثمنها سبعين ديناراً أو يزيد على سبعين لما فيها من قناطير السكار وأرباع العائد وأنواع الفواكه، ومن غرايب[8] التمر وأعدال الزبيب والتين على اختلاف أنواعها وأصنافها وألوانها، وضروب ذوات القشور من الجوز واللوز والجلوز[9] والقسطل والصنوبر والبلوط إلى قصب السكر[10] والأترج والنارنج والليم، وفي بعض البلاد طاجين من ماية المثقال ينعمون فيه ثلاثين - درهماً أو نحوها، ولقد شاهدت في بعض الأعوام [illegible] الحوانيت ممن لا يبيع ما يحتاجون إليه كسوق القيسارية والعطارين وغيرهما من الاسواق، وفي ذلك لضعفائهم من الدلالين وغيرهم قطع المعايش وتعذر الأرزاق، ويعلقون الميزان من الكتاتيب ويضربون بذلك قلوبهم حب ابتداع الرواتب، فهذه أفعالنا فهل منا من تائب، لائم لنفسه معاتب، وكل هذا في يناير، ثم صنعوا نحو منه في العنصرة، وفي الميلاد، فكيف ينشأ عن هذه الفتنة إلا مصر عليها ومايل إليها من الأولاد - يقولون - إليهم إنه من عمل مثل هذا العمل لم يخل عمله ذلك من رغد العيش وسعة الرزق وبلوغ الأمل، وربما جعلوا جمرة تحت أسرتهم تفاؤلا وإمارة، ليكونوا في عامهم ذلك أكسى من الجمرة ! فهل سمعتم يا أولي الألباب بأعجب من هذه العجايب... طاعة ذوي النهى والإحلال من الرجال إلى الولدان وربات الحجال،

7) [illegible] التي [illegible] علاوة على التمور.

8) [illegible] كرسي كبير لوضع الحبوب والتمور.

9) [illegible] عربي [illegible] في التهذيب في ترجمة [illegible] الطول [illegible] العرب.

10) يلاحظ وجود قصب السكر على هذا العهد في الديار الأندلسية وهي معلومة لا تخلو من فائدة بالنسبة للذين يهتمون بتاريخ قصب السكر في الغرب الإسلامي».

(1) يظهر أن الأسواق الكبرى [illegible] عليها [illegible] كانت [illegible] عرضهم في مقابلة [illegible] للكتاب [illegible] لهذا الغرض»، والمعروف أن الأمور تتعطل في هذه الأسواق بهذه المناسبة.

2) الجمرة [illegible] أكسى من الجمرة.

[illegible]

وراى أنه ما جر على أهل الأندلس هذا إلا جوار النصارى، دمرهم الله من جيران! ومخالطتهم لتجارتهم ومكاشفتهم عند الكينونة في أسارهم، ولذلك حذرنا من تراءي النيران، قال النبي ﷺ: أنا بريء من كل مسلم مع مشرك تتراءى نارهما وما جرى ذلك إلى هذه العدوة، إلا بالإتباع لهم والقدوة، وما عبر من ذلك البر إلى هذا البر بدعة أشنع منه ولا أمر».

تلك هي الصفحة التي جرت تقديمها بمناسبة احتفال المسلمين بهذا العيد... وهي كما نرى احتجاج صارخ ضد ما كان يجري في المجتمع الإسلامي بالأندلس... وهو بمثابة براعة الإستهلال ـ كما يقول البلغاء ـ للموضوع الذي يتصدى له المؤلف وهو الاحتفال بعيد المولد النبوي.

ولا بد أن وضع الرسوم المجسمة «الماكيتات» على ذلك العهد أثارت انتباهنا ونحن نستعرض نصوص المخطوطة..

فلا كانت هواية وضع التصاميم للمدن وللبيوت اخذت طريقها للإنتشار منذ ذلك التاريخ في المشرق، وخاصة في الغرب الإسلامي في الأندلس والديار المغربية، منها ولكن يصممون التصاميم لبيوتهم ... ويبعثون من مصر ببعض الرسوم للمسجد المملوكي ورأينا بعضهم يحتفظ في قصره بماكيت لموقع ...

وهكذا قرأنا عن السلطان أبي الحسن المريني أنه رسم للبنائين على كاغد صورة الدار التي قرر بعثها للأميرة التونسية عروسة ابنه السلطان أبي يحيى أبي بكر لما كانت في طريقها إلى المغرب مع خصائصها له أبي زيان عريف بن يحيى وأبي عبد الله البطوي وأبي الفضل بن أبي مدين.. لقد قال: علي بأرباب الصناعات من البنائين والنجارين والجباسين والزليجيين والرخاميين والقنويين والدهانين والحدادين والصفارين. وقال لهم على ما يرويه ابن مرزوق في كتابه «المسند»:

«أريد دارا تشتمل على أربع قباب مختلفة وصويرتين تتصلان بها منقوشة الجدران بالصناعات المختلفة بالجبس والزليج والنقش في الأزر وتحكم النجارة والصناعات المشتركة وتنقش ساحة الدار وفرشها زليجا ورخاما ... من طيافير الرخام والنوري والنجارة في سقف مختلفة باختلاف القبب بالصناعات المعروفة عندهم المشتركة المسموعة والأبواب بالصناعات المؤنقة والخزائن والدروج جميعها، وتحلية في جميع ذلك من النحاس المموه بالذهب والحديد ...».

ورسم لهم يقول ابن مرزوق قدر ساحتها في الكاغد ووقع الوفاق بجميعهم على ذلك تقويما وأوضح لهم عملها».

لقد أردت بسوق هذا النص التأكيد على أن قادتنا منذ العصر الوسيط كانوا يخططون الرسوم ويضعون التصاميم.

وهناك نص آخر يتحدث عن تصميم بعث به ملك مصر إلى العاهل المغربي، ويتعلق الأمر بنص المقريزي الذي ذكره في كتابه «السلوك» عن الهدايا المصرية التي بعث بها ... المغربية ... فيذكر من بينها ... كانت مثار إعجاب كبير من سلطان المغرب ... وكان مما احتوت عليه هذه الخيام الكبرى تمثال مسجد بمحرابه وعمده ومئذنته...»[1]

ولابد أن نذكر مع هذا بما ورد في رحلة ابن بطوطة عن صنع (ماكيط) لجبل طارق كان يحتفظ به السلطان أبو عنان في قصره بالعاصمة فاس، ... من اهتمامه بأمر الجبل ـ يقول الرحالة المغربي ـ أن أمر السلطان أبو عنان

---

1 ـ ... ألفاظ الحضارة في الوثائق العربية (من القرن السابع الهجري) البحث الذي قدم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخامسة والخمسين (فبراير، مارس 1989)

أبدع فيه صانعه شكلا يشبه شكل الجبل المذكور تمثل فيه بشكال أسواره وبراجه وحصنه وأبوابه ودار صنعته ومساجده ومخازن عدده وأهريه زرعه وصورة الجبل وما اتصل به من التربة الحمراء فصنع ذلك بالمشور السعيد فكان شكلا عجيبا أتقنه الصناع إتقانا يعرف قدره من شاهد الجبل وشاهد هذا المثال.[14]

☆ ☆ ☆

وبعد فأعتقد أن ظروف العالم الإسلامي كله اليوم أشبه ما يكون بظروف المجتمع الإسلامي بالأندلس بالأمس، فقد تداخلت التواريخ كنتيجة حتمية للجوار في الأرض والماء والسماء ! وقد امتزجت الخلائق بعضها مع بعض، ولم يعد الأمر فقط يعني وجود هذا الفريق بعاداته وتقاليده هنالك، ووجود ذلك الفريق الآخر بعاداته وتقاليده هنا... ولكن الأمر يعني أننا نعيش صباح مساء إلى جنب بعضنا فلا غرو أن تتسرب بعض العادات في الأكل والشرب والملبس والتعامل... ومن هنا كان حريا بنا أن نقوم من جانبنا بإبراز معالم الوجود في مجتمعنا الإسلامي... ومن هنا يكون لزاما علينا أن نشعر العالم الآخر أيضا بعيد المولد النبوي عندنا وأن نقوم بتوعية أبنائنا وتحسيسهم بهذا الحدث العظيم الذي غير خريطة العالم وأكسب الإنسانية تراثا لا يقدر بثمن ومكنها من عدد من المعطاءات ذات القيمة الكبرى في تاريخ البشرية .

الرباط : عبد الهادي التازي

---

[14] Voyages d'Ibn Batoutah, Texte arabe accompagné d'une Traduction par C. Defremery et le Dr B.R. Sanguinetti, Vol 4 PARIS 1969 p. 159

المولد النبوي..

واحتفال شعراء المغرب بذكراه

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

الإمام البوصيري مغربي الأصل مصري النشأة له قصيدتان رائعتان في المديح النبوي هما البردة والهمزية وهما القصيدتان كانتا محور حفلات إحياء عيد المولد النبوي الذي عرف في المغرب منذ عهد بني مرين وخاصة أيام العزفيين بسبتة وقد اتخذ مظاهر احتفالية مختلفة يندرج فيها موسم الشموع بسلا وغيره من المواسم التي تقام غالبا في شهر ربيع الأول تخليدا لذكرى الرسول عليه السلام.

البردة

كانت هذه القصيدة محط اهتمام العلماء والأدباء والشعراء المغاربة الذين كتبوا عليها تعاليق وشروحا مختلفة منها:

1) شرح البردة لابن سليمان سعيد السلاوي

خ ع

خ ع 5661/ 097

2) شرح البردة لأبي عطية عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الصديوني الشهير بالجادري موقت منار القرويين (839 هـ/1435م).

3) شرحها محمد بن علي بن محمد الصدوني ذكره في «الإعلام» للمراكشي ج 7 ص 66 ـ ط. الرباط.

4) شرح محمد بن ... بن أحمد السرغيني سماه «التوشيح»

5) شرح أبي حامد محمد المكي البطاوري اسمه «نسيم الوردة في تشطير البردة».

خ ع 1619 د (م = 43 ـ 99)

6) السهل البديع على بردة المديح لأحمد بن جعفر الكتاني (وهو صاحب الوتريات أيضا في الأمداح النبوية والنظم العجيب في الفرح بولادة الحبيب).

7) شرح لأحمد بن عبد الله القصار(خم 914)

8) شرح لأحمد بن عجيبة مكتبة تطوان (287).

9) شرح البردة لأحمد سكيرج سماه «الوردة على تخميس البردة» طبع على الحجر بفاس مرتين.

10) شرح البردة (في مجلد) لاسماعيل بن الأمير يوسف بن الأحمر نزيل فاس 807 هـ/1404م.

11) منظومة في السير على نهج البردة اشتملت على أربعة آلاف بيت لمحمد بن الحاج شرحها في خمسة أسفار.

12) شرح البردة لسعيد بن محمد العقباني التجيبي التلمساني (811 هـ / 1408 م).

13) تخميس عليها لعبد الرحيم بن البادري (حع 830 د).

14) خواص بعض أبيات بردة البوصيري لعبد السلام بن ادريس المراكشي 660 هـ / 1262 م).

حع = 1068 د / خم 4995 / 5354 ملحق بروكلمان ج 1 ص 469.

15) شرح البردة بالبربرية لعبد الله بن يحيى بن سامدي (حع 1098 د).

16) شرحها لعبد الواحد بن عاشر في «شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح»

17) ابن البردة بمجادات البردة لعلي بن محمد السملالي السوسي (حم 3811)

18) شرح بردة البوصيري للقاسم بن ابراهيم بن حسين بن علي بن عبد الله المامجري ,حم 3199)

19) شرح البردة لأبي مرزوق محمد بن أحمد بن محمد الحفيد سماه «اظهار صدق المودة في شرح البردة»

20) جزءان في حع 1713 د مع تخميسها خم 1635 د / 1665 د المكتبة الوطنية بتونس 4580 م / مكتبة صوفيا الوطنية البلغارية (Or 2570)

خمس نسخ في خم من 1427 إلى 5425 اختصرها شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (923 هـ / 1517 م) في كتاب اسمه «مشارق الانوار المضيئة في شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية».

حع 2134 (م = 1 ـ 172)

كشف الظنون ج 2 ص 1335 / هدية العارفين للبغدادي ج 1 ص 139 / ذيل ملحق بروكلمان 1 رقم 468 ، 15.

21) تعليق على البردة لمحمد بن عبد الواحد الشيظمي سماه «تعليق مليح على بردة المديح» طبع على الحروف بفاس).

22) تخميس البردة لمحمد بن علي الشاطبي الأندلسي البرجي (870 هـ / 1465 م) مع شرح حع 831 د.

23) حاشية على شرح الشيخ خالد عبد الله الازهري لمحمد بن قاسم القادري ,1331 هـ / 1913 م) سماها «الكوكب اللامع الدري على شرح البردة للازهري» (طبعت بفاس)

24) الموارد الشهية في شرح البردة البوصيرية في سطرين لمحمد بن المبارك الهشتوكي (1313 هـ / 1095 م).

25) شرح قصيدة البردة للبوصيري لمحمد الالبيري ثماني نسخ في خم من 379 إلى 9845

الهمزية

1) قصيدة قائيمف الهمزة للإمام البوصيري هي أيضا محور الأمداح والمدائح في أعياد المولد النبوي بالمغرب وقد شرحها أو خمسها عدة شعراء مغاربة منهم أحمد بن لأقطع البربوسي

في (المنحة السنية في شرح القصيدة الهمزية) خع 6622 (مبتور الاخير).

2) الشيخ أحمد بن محمد التجاني.

له شرح أملاه على تلميذه سيدي حرازم برادة الفاسي (مطبوع).

3) الشيخ أحمد بن جعفر الكتاني.

من الهمزية البهية في مدح خير البرية .

2) الفتوحات الإلهية على الهمزية البوصيرية) وقد احترز بوصف (البوصيرية) لأن له شرحا على همزية الشيخ بنيس سماه (عقد الدرر النفيس على شرح الهمزية للشيخ بنيس.

4) أحمد بن محمد بن أحمد بنيس

له (أنوار الكوكب الدري في شرح همزية البوصيري نسخة في (خع = 991).

5) محمد بن أحمد الحضيكي

له شرح على الهمزية توجد نسخة منه في الخزانة العامة بالرباط (خع 1678 د)

الرموز : خم أو خح : الخزانة الملكية بالرباط.

خع : الخزانة العامة.

الرباط : عبد العزيز بعبد الله

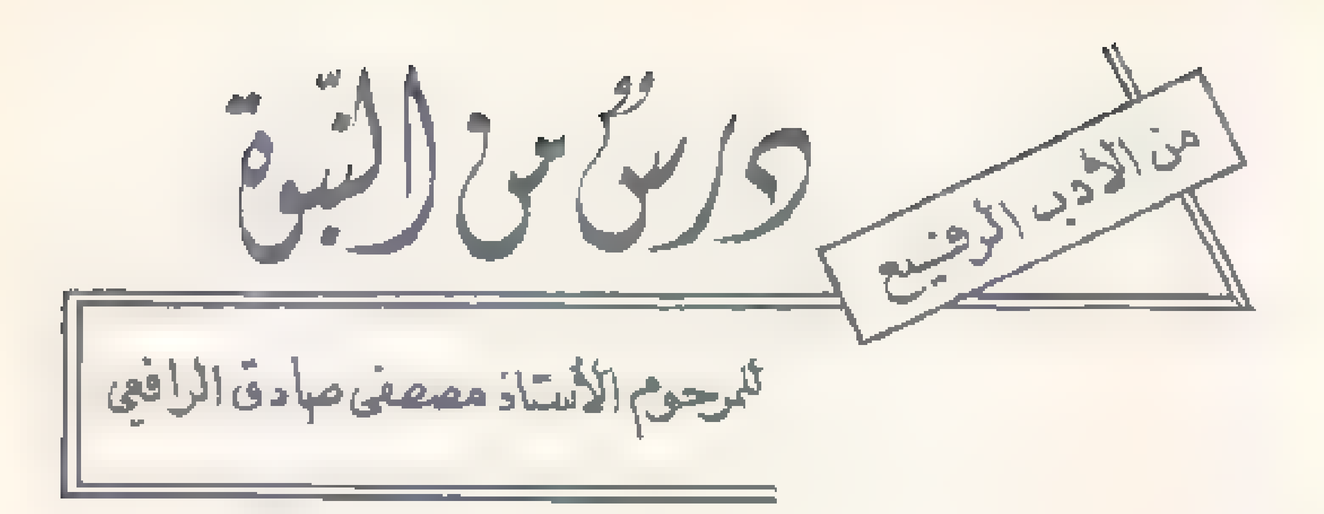

قالوا: إنه لما نصر الله (تعالى) رسوله ورد عنه الأحزاب وفتح عليه قريظة والنضير[1] ظن أزواجه ﷺ أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم وكن تسع نسوة: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسودة، وأم سلمة، وصفية وميمونة، وزينب وجويرية، فقعدن حوله وقلن: يا رسول الله، بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل، والإماء والخول، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق. وآلمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال، وأن يعاملهن بما تعامل به الملوك وأبناء الدنيا أزواجهم، فأمره الله تعالى أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن من تخييرهن في فراقه، وذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا.[2] وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾

قالوا: وبدأ ﷺ بعائشة - وهي أحبهن إليه - فقال لها: «إني ذاكر لك أمرا ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك». قالت: ما هو؟ فتلا عليها الآية. قالت: أفيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله تعالى ورسوله.

ثم تتابعن كلهن على ذلك، فسماهن الله أمهات المؤمنين، تعظيما لحقهن وتأكيدا لحرمتهن وتفضيلا لهن على سائر النساء.

☆ ☆ ☆

هذه هي القصة كما تقرأ في التاريخ، كما ظهرت في الزمان والمكان، فلنرها نحن كما هي في معاني الحكمة، وكما ظهرت في الإنسانية العالية، فسنجد لها صورا بعيدة، ونعرف فيها دلالة سامية، ونتبين تحقيقا فلسفيا دقيقا للأوهام والحقائق.

وهي قبل كل هذا ومع كل هذا تنطوي على حكمة رائعة لم ينتبه لها أحد، ومن أجلها ذكرت في القرآن

(1) هما حيان من أحياء اليهود، وكان ذلك في أواخر سنة خمس للهجرة.
(2) السراح: الطلاق، ومتعة الطلاق: ما تعطاه المطلقة، وهو يختلف حسب السعة والإقتار.

الكريم؛ لتكون نصاً تاريخياً قاطعاً يدافع به التاريخ عن هذا النبي العظيم في أمر من أمر العقل والعزيمة، فإن جهلة المبشرين في زمننا هذا، وكثير من أهل الزيغ والإلحاد، وطائفة من قصار النظر في التحقيق - يزعمون أن محمداً ﷺ إنما استكثر من النساء لأهواء نفسية محضة وشهوات كالشهوات؛ ويخرقون من هذا الزعم إلى الشبهة، ومن الشبهة إلى سوء الظن، ومن سوء الظن إلى مسخ الرأي؛ وكلهم غبي جاهل، فلو كان الأمر ذلك أو على قريب منه أو نحو من قريبه، لما كانت هذه القصة التي سقناها نفي الريبة وتجريد [illegible] جميعاً منها، وتصحيح النية فيه ويبنهن على حياة لا تحيا فيها معاني المرأة، وبحيث هو لا يكون أبداً جو الزهو . وأمره من قبل ربه أن يخيرهن جميعاً بين سراحهن فيكن كالنساء ويجدن ما شئن من دنيا المرأة؛ وبين إمساكهن فلا يكن معه إلا في طبيعة أخرى تبدأ من حيث تنتهي الدنيا وزينتها

☆ ☆ ☆

والقصة نفسها رد على زعم الشهوات، إذ ليست هذه لغة الشهوة، ولا سياسة معانيها ولا أسلوب غضبها أو رضاها، وما فيها تملق، ولا إطراء، ولا سومة ولا حرص على متعة، ولا تعبير بلغة الحسة، والقصة بعد مكشوفة صريحة ليس فيها معنى ولا شبه معنى من حرارة القلب، ولا أثر ولا بقية أثر من حبل النفس، ولا حرف أو صوت حرف من نغمة الدم؛ وهي على سطح آخر غير السطح الذي ستمال به المرأة، فلم تقتصر على نفي الذهب وزينة الدنيا عنهن بل نفت الأمل في ذلك أبداً إلى آخر الدهر، وأماتت معناه في نفوسهن بقصر الإرادة منهن على هذه الثلاثة: الله في أمره ونهيه؛ والرسول في شدائده ومكابدته، والدار الآخرة في تكاليفها ومكارمها فليس هنا طرفة، ولا [illegible] لطبعه، ولا سياسة لطبيعة المرأة ولا لاعتبار عرجها، ولا رعي لأنوثتها؛ ثم هو تخيير صريح بين ضدين لا تتوسط بينهما

حالة تكون منهن معاً، ثم هو عام بجميع زوجاته لا يستثني منهن واحدة ولا أكثر.

والحريص على المرأة والاستمتاع بها لا يأتي بشيء من هذا، بل يخاطب في المرأة خيالها أول ما يخاطب، ويشبعه مبالغة وتأكيداً، ويوسعه رجاء وأملاً ويقرب له الزمن البعيد حتى لو كان في أول الليل وكان الخلاف على الوقت لحقق له أن الظهر بعد ساعة.

☆ ☆ ☆

وبرهان آخر وهو أن النبي ﷺ لم يتزوج [illegible] لمتاع مما يمتع الخيال به فلو كان وضع الأمر على ذلك لما استقام ذلك إلا بالزينة وبالتفنن الناعم في الثوب والحلية والتشكل كما ترى في الطبيعة الفنية، فإن الممثلة لا تمثل الرواية إلا في المسرح المهيأ بمناظره وجوه. وقد كان نساؤه ﷺ أعرف به، وها هو ذا ينفي الزينة عنهن ويخيرهن الطلاق إذا أصررن عليها؛ فهل ترى في هذا صورة فكر من أفكار الشهوة؟ وهل ترى إلا الكمال المحض؟ وهل كانت مشابهة الزوجات التسع إلا تسعة برهانات على هذا الكمال؟ وكان النبي ﷺ يلقي بهذه القصة درساً مستفيضاً في سعة الخيال وسوء أثره، على المرأة في أنوثتها، وعلى الرجل في رجولته؛ وأن ذلك تمهيد في الشهوات يقابله تعقيد في الطبع، وكذب في الحقيقة ينشأ عنه كذب في الخلق، وأنه ضرب للمرأة إلى حياة الأحلام والأماني والطيش والبطر والفتن وتعويدها عادات تفسد عاطفتها، وتضيف إليها [illegible] [illegible] [illegible] من حقيقتها [illegible] مظهرها وتحميل [illegible]

[illegible]

ردت الطبيعة على من يشبب بامرأة جميلة فيقول لها:

هذه محاسنك وهذه فتنتك وهذا سحرك وهذا وهذا ، لقالت له الطبيعة : بل هذه كلها شهواتك أنت...[3]

وبهذا يختلف الجمال عند فقد النظر، فلا يغش الأعمى جمال الصورة ولا سحر الشكل، ولا فراهة المنظر، وإنما تغشه صوت المرأة ومجستها ورائحتها

فلا حقيقة في المرأة إلا المرأة نفسها، ولو أخذت كل أنثى على حقيقتها هذه لما فسد رجل ولا شقيت امرأة، ولانتظمت حياة كل زوجين بأسبابها التي فيها، وذلك هو المثل المضروب في القصة.

* * *

يريد النبي ﷺ ليعلم أمته أن حيف الغريزة على العقل إفساد لهذا العقل، وأنه متى أخذت المرأة لحظ غريزته وحدها، كانت حياتها استجابة لجنون الرجل، وملأتها معاني التزيد والتصنع؛ فيوشك أن ينفيها هذا عن طبيعتها السامية التي أكثرها في الحرمان والإيثار والصبر والاحتمال، ويردها إلى أضداد هذه الصفات: فيقوم أمرها معه على الأثرة والمصلحة والتعدي والضجر والتبرم والإلحاح والإزعاج، ويضعف معنى السلب الراسخ في نفسها من أصل الفطرة، فيتبدل حياؤها، وفي النساء ردها عن أشياء؛ ويقل خلاصها ومعنى الإخلاص فيها عن أشياء أخرى؛ ويكثر ضعفها، وفي ضعفها تجاوزه فيها وفيض شر

وبهذا ونحوه يفسد ما بين الرجل والمرأة المتصنعة؛ فإن كثير متصنعات لا يكون من النساء مشاكل فقط بل تكون من حلول المشاكل معهن مشاكل أخرى.

* * *

ولباب هذه القصة أن النبي ﷺ يجعل نفسه في الزوج المثل الشعبي الأكمل كما هو دأبه في كل صفاته الشريفة، فهو يريد أن تكون زوجاته جميعا كنساء فقراء المسلمين، ليكون منهن المثل الأعلى للمرأة المؤمنة العفيفة الشريفة التي تبرع البراعة كلها في الصبر والمجاهدة والإخلاص والعفة والصراحة والقناعة فلا تكون المرأة زينة تطلب زينة لتتم بها في الخيال، ولكن إنسانية تطلب كمالها الإنساني لتتم به في الواقع.

وهذه الزينة التي تتصنع بها المرأة تكاد تكون صورة المكر والخداع والتعقد وكلما أسرفت في هذه أسرفت في تلك، بل الزينة لوجه المرأة وجسمها سلاح من أسلحة المعاني؛ كالأظافر والمخالب والأنياب، غير أن هذه لوحشية الطبيعة الحية المفترسة، وتلك لوحشية الغريزة الحية التي تريد أن تفترس، ولا تنكر المرأة نفسها أن الزينة على جسمها ثرثرة طويلة تقول وتقول وتقول.

* * *

وإنما يكون أساس الكمال الإنساني في الإنسان العامل المجاهد ؛ لا يحصر نفسه في شيء يمس متاعا أو زينة، ولا يقدر نفسه مما يجمع له أو بما يجمع حولها، ولا يعتد ما يكون من ذلك إلا كالتعبير من عمل الشهوات من الشهوات ونبينا ﷺ هو الغاية في هذه ؛ دخل عليه مرة عمر ابن الخطاب، فإذا هو على حصير وعليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جسمه، قال عمر : وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، وإذا إهاب معلق[4] فابتدرت عيناي. فقال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ قال عمر : يا نبي الله، ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزائنك ؟![5]

وجاء مرة من سفر فدخل على ابنته فاطمة رضي الله عنها فرأى على بابها سترا وفي يديها قلبين من فضة[6] فرجع؛ فدخل عليها أبو رافع وهي تبكي، فأخبرته برجوع

(3) يبسط هذا المعنى في كثير من كتبنا؛ وخاصة في كتاب (السحاب الأحمر).

(4) كيس من جلد كان يتخذ لشرب وغيره.

(5) الروايات من مثل هذا كثيرة عنه ﷺ وقد بسطنا فلسفة هذه المعاني في مقال (سمو الفقر).

(6) القلب بالضم : سوار من الفضة غير ملوي هو الذي يقال له اليوم : [illegible] وهو خفيف.

أبيها، فسألته في ذلك، فقال ﷺ : من أجل الستر والسوارين.

فلما أخبرها أبو رافع هتكت الستر[7] ونزعت السوارين فأرسلت بهما بلالا إلى النبي ﷺ وقالت: قد تصدقت به، فضعه حيث ترى. فقال لبلال اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة[8] فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بها عليهم.

يا بنت النبي العظيم ! وأنت أيضا لا يرضى لك أبوك حلية بدرهمين ونصف وإن في المسلمين فقراء لا يملكون مثلها ؟

أي رجل مشى على الأرض كمحمد ﷺ، فيه للأمة كلها غريزة الأب، وفيه على كل أحواله اليقين الذي لا يتحول، وفيه الطبيعة التامة التي يكون بها الحقيقي هو الحقيقي ؟

يا بنت النبي العظيم ، إن زينة بدرهمين ونصف، لا تكون زينة في رأي الحق إذا أمكن أن تكون صدقة بدرهمين ونصف. إن فيها حينئذ معنى غير معناها؛ فيها حق لنفس عاليا على حق الجماعة؛ وفيها الإيمان بالمنفعة حاكما على الإيمان بالخير؛ وفيها ما ليس بضروري قد جار على ما هو الضروري، وفيها خطأ من الكمال إن صح في حساب الحلال والحرام لم يصح في حساب الثواب والرحمة.

تعالوا أيها الاشتراكيون فاعرفوا نبيكم الأعظم، إن مذهبكم ما لم تحيه فضائل الإسلام وشرائعه - إن مذهبكم لكالشجرة الذابلة تعلقون عليها الأثمار مشدودة بالخيط... كل يوم تعلقون، وكل يوم تربطونه ولا ثمرة في الطبيعة !

☆ ☆ ☆

ليست قصة التخيير هذه مسألة من مسائل الغنى والفقر في معاني المادة، ولكنها مسألة من مسائل الكمال والنقص في معاني الروح، فهي صريحة في أن النبي ﷺ أستاذ الإنسانية كلها واجبة أن يكون فضيلة حية في كل حياة، وأن يكون عزاء في كل فقر، وأن يكون تهذيبا في كل غنى، ومن ثم فهو في شخصه وسيرته القانون الأدبي الصحيح.

وكأنه ﷺ يريد ليعلم الأمة بهذه القصة أن الجماعات لا تصلح بالقوانين والشرائع والأمر والنهي، ولكن بعمل عظمائها في الأمر والنهي؛ وأن الحاكم على الناس لا ينبغي أن يحكم إلا إذا كان في نفسه وطبيعته بحس عظمة القلب إحساس المتسلط لا الخاضع؛ ليكون أول استقلاله استقلال ذاته.

فليس ذلك فقرا ولا زهدا كما ترى في ظاهر القصة، ولكنها جرأة النفس العظمى في تقرير حقائقها العملية.

☆ ☆ ☆

وسمي القصة في عبارة القرآن الكريم بتسمية زوجاته ﷺ «أمهات المؤمنين» بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ونصف هذا التعبير موضوعا أن الله تعالى كافأهن بهذه التسمية، وليس ذلك شيء ولا فيه كبير معنى، وإنما تشير هذه التسمية بمعنى دقيق هو آية من آيات الإعجاز، فإن الزوجة الكاملة لا تكمل في الحياة ولا تكمل الحياة بها، إلا إذا كان وصفها مع رجلها كوصف الأم ترى ابنها بالقلب ومعانيه، لا بالغريزة وحظوظها، فكل حياة حينئذ ممكنة السعادة بهذه الزوجة، وكل شقاء محتمل بصبر، وكل جهاد فيه لذته الطبيعية، إذ يقوم البيت على الحب الذي هو الحب الخالص لا المنفعة، وتكون رئة الحياة وجود الحي نفسه لا وجود المادة وتبقى النفس على الوفاء الطبيعي كوفاء الأم؛ وذلك خلق لا يعسر عليه في سبيل حقيقته أن يتغلب على الدنيا وزينتها.

ونحن ... نستخرج من القصة في درس نبينا ... الحكمة .

بحسب المؤمن إذا دخل داره أن يجد حقيقة نفسه ... ثم يجد حقيقة كسرى ولا قيصر !

[7] أي مزقته، وكذلك رأى مرة سترا على باب عائشة رضي الله عنها فهتكه وقال : كلما رأيته ذكرت الدنيا. أرسلي به إلى آل فلان.

[8] الصفة ... وأهل الصفة هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه.

مؤتمر الرباط

كان المنطلق لسلوك الخط التضامني الراهن ضمن نطاق المؤتمر الإسلامي

للأستاذ محمد بنعبد الله

انعقد منذ ثلاث سنوات بكوالالمبور، عاصمة ماليزيا، المؤتمر الدولي للتضامن الإسلامي الذي نظمه قسم الشؤون الإسلامية، برئاسة مجلس الوزراء بالمركز الإسلامي ـ كوالالمبور في الفترة 5 ـ 7 صفر عام 1408 هـ الموافق 28 ـ 30 سبتمبر 1987 م برئاسة صاحب الدولة داتوء سري الدكتور محاضير محمد رئيس وزراء ماليزيا، وحضره صاحب السعادة داتوء الدكتور محمد يوسف نور وزير الدولة بشؤون مجلس الوزراء والشؤون الإسلامية والسيد داتوء الدكتور عبد الحميد عثمان، المدير العام للشؤون الإسلامية برئاسة مجلس الوزراء.

وقد استهدف المؤتمر من هذا اللقاء بث الوعي والإدراك بين الأمة الإسلامية والعمل على مدى أهمية التضامن فيما بين المسلمين ـ وللتعرف على عناصر وأسباب الشقاق بين الأمة مثل التطرف، والبحث عن الوسائل الكفيلة للتغلب عليها خصوصا بين الأمة الإسلامية بماليزيا، ثم الحصول على معلومات وخبرات من الدول الإسلامية، وذلك خلال المساعي لمكافحة التطرف.

حضر هذا المؤتمر الدولي للتضامن الإسلامي شخصيات إسلامية كبرى من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وقد انتدبت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية لتمثيلها في هذا المؤتمر الأستاذ محمد بنعبد الله الذي أسهم بالكلمة التالية :

في كوالالمبور، عاصمة ماليزيا، عقد القطر الراقي العظيم الذي يفيض بالخير ويتسم بالطيب، ويتفتح بالبشر ويزهو بالجمال ويترقرق بالبهجة والرواء، فرع مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية، اتخاذ يوم 25 شتنبر من كل عام موعدا للاحتفال السنوي ـ على صعيد العالم الإسلامي ـ بيوم التضامن الإسلامي

والتضامن الإسلامي حس عميق قائم بالفطرة في نفوس الأفراد والجماعات بالأوطان الإسلامية، وهو شعور يتمازج فيه التشارك في المشاعر الدينية مع مؤثرات الترابط التاريخي للوطن، والتفاعل الثقافي والحضاري ماضيا وحاضرا.

وقد روعي في توقيت الاحتفال السنوي بيوم التضامن الإسلامي، أن يكون موعده مطابقا لتاريخ انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الأول بالرباط.. وهو توقيت ملائم من وجهة مختصة، باعتبار أن مؤتمر الرباط كان المنطلق الأول لتحقيق مشروع الرقي ضمن نطاق منظمة المؤتمر الإسلامي [illegible]

ويعتبر [illegible] الإسلامي يوم وحدة العقيدة، ووحدة نغمة القرآن الاجتماعية والسياسية، وتلاقي العاطفة الدينية، ووضوح مفهوم الإنسان المسلم، مع [illegible] الإسلام مختلف القوميات بالإضافة إلى تكامل الاقتصاد [illegible] ووحدة التجربة ووحدة الكفاح، ومصارعة التحدي، ووحدة التاريخ الطويل المشترك بمواجهة الاستعمار الاقتصادي والثقافي والتعبيري. والتضامن الإسلامي يوفق المبادئ الإسلامية على أساس [illegible] وأصولي وفقهي.

وقد حمل الإسلام في نظامه السياسي والاجتماعي بذور هذا التضامن المنشود سواء في توجيهاته التربوية أو في تعليماته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

☆ ☆ ☆

وإن هذا اللقاء الجديد وانعقاد هذا المؤتمر الإسلامي اليوم، الذي جاء في أوانه ومكانه وفي جنوب شرقي آسيا، وفي بلد إسلامي رائد حاز استقلاله وملك زمام أمره بيده على تيقظ الروح المتواجد في الجسم الإسلامي، ويشير إلى دلالة واضحة، هي رغبة المسؤولين الملحة في تخطيط مشاريع التعاون المثمر في نطاق الشؤون الدينية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، لخير الإسلام والمسلمين، وتقوية أواصر المودة والإخاء، وتوكيد روح النضال، وقرار الوجود. فقد تفككت الأواصر وتحللت العقد وتداعت النفوس، ولم يعد صالحا، أن يبقى راضين بالدون، ونعيش هوامش على صفحة الحياة.

لقد أراد القادة المسلمون بهذا القطر الماليزي العظيم، منذ أن ألقى الله بين أيديهم مقاليد البلاد، أن يطوروا أمتهم في إطار إسلامي محض، ويبوئوها مقاما عاليا بين الشعوب، في نطاق العقيدة المحمدية، ويجددوا ما انهار من بناء الأخلاق، وما انطمس من معالم الإسلام والإيمان بفعل عمليات التنصير والاستعمار، ويدفعوا بها في مضمار القيم والحضارة، إلى صرح قويم وسليم، بعيد عن بهرج الحضارة الغربية الزائف التي طرقت على الأبواب، وأدت بالأفول والزوال للوصول إلى درجة التوفيق والهداية، وقيادة النوع الإنساني إلى معارج الرشد والكمال..

تلك هي «ماليزيا» المسلمة التي عملت وتعمل على توثيق الصلات مع الأقطار الإسلامية، وتمتين الصلات مع دول العالم، وهي لم تتورع عن تأييدها ومعاونتها ومؤازرتها للجهود المبذولة لصالح الإسلام والمسلمين، ولا سيما في ميدان التجمعات الإسلامية والمؤتمرات في مختلف مستوياتها سواء في داخل بلادها، أو حينما ترسل الوفود للاشتراك في جميع المؤتمرات الإسلامية.

☆ ☆ ☆

إن الجهود التي يبذلها دعاة التخريب في العالم الإسلامي، وينشرون دون القشور الخلقية، والإلحاد [illegible] الذين لا يستطيعون أن يبصروا غير التخلف، ولا أن يحصدوا غير الهشيمة، بما يبثونه في أوساط المجتمعات الإسلامية من ضلال العقيدة، وشيوع الجهالة، وأفكار تبلبل كل نفس، وتخدر كل حس، وتزعزع كل نظام، وتعير كل

[illegible] [illegible] [illegible] ووسط لعدو، [illegible]
[illegible] لم تقض عليه في مهده.

ولقد صرّح [illegible] [illegible] هذه الحقيقة، فقال: «إن الغاية من التبشير ليست تمسيح المسلمين بالضرورة، ولكن يكفينا أن نذبذب المسلمين ونشككهم في عقيدتهم ونزعزع ثقتهم بأنفسهم وأصالتهم.»

وبالرغم من أن المبشرين ينفخون في رماد، ويصيحون في واد، ويضربون في حديد بارد، إلا أن شبح قيام دولة إسلامية يقلق راحتهم، ويزعج أفكارهم، ويطير النوم عن معاقد أجفانهم فيطردون عن خيالهم، قيام هذه الدولة ذات الدين الإسلامي، الذي هو صورة كاملة لشرائع الله، وقوة مهددة للقوانين الطبيعية. وقد نشرت منذ أمد غير بعيد مجلة ألمانية هي «در شبيغل» مقالا عن الإسلام جاء فيه: «إن خلافة جديدة توحد المسلمين من المغرب إلى الدول الماليزية ستبقى حلما من أحلام المثاليين وأمنية من أماني الطوباويين...»

☆☆☆

ب - [illegible] نظرة فاحصة على خريطة العالم المعاصر [illegible] رقعة العالم الإسلامي في عصرنا اليوم نجدها تشغل حيزا كبيرا من المعمور، وتتميز عن غيرها من الدول بانحصارها في المكان، والتركز في قلب العالم، وأن معظم هذه البلاد الإسلامية نالت استقلالها، [illegible] بكرامته، وهي تتجه اليوم إلى استكمال نهوضها حتى تسير في ركب الحضارة الإنسانية، وتعمل جادة لتوحيد شعوبها، وتوثيق رابطة بينها لتعمل التعاون المتصل في خدمة القضية الإسلامية بتمامها.

ولقد ظلت الشعوب الإسلامية مدة طويلة، والاستعمار الصليبي يعمل على تخدير جماهيرها، وشل [illegible]، وتفريق كلمتها، متعاونا في ذلك مع المستشرقين الذين ينظرون إلى الإسلام نظرة من يرى فيه مزاحما خطيرا يحاول أن ينتزع السلطان على عقول الأمم وضمائرها، في سائر الأخلاق والمعاملات...

ويحدثنا التاريخ عن كثير من الأعمال الشائنة، والتصرفات الحاقدة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين، والتي كانت تصدر عن عملاء الطغيان وجند الشيطان الذين اتحدت وجهتهم ومقاصدهم وأهدافهم - بالرغم من وجود خلافات مستحكمة فيما بينهم - لتفتيت وحدة المسلمين، وتفريق كلمتهم وتوهين عقيدتهم...

أ - فالحروب الصليبية التي أوقد الاستعمار الكافر نارها باسم الصليب على أرض الإسلام، ومعاقل المسلمين، كانت سببا في صد المد الإسلامي في تعميم بناء الحضارة الإسلامية والقيم الإنسانية، والمثل الأعلى، حتى قال بعض المستشرقين: «لولا الحروب التي شنها الغربيون على المسلمين لتقدمت الحضارة الإسلامية مائتي عام، ولكن العصبية الدينية والحقد الدفين جعل الغربيين، عموما، ينظرون إلى الإسلام نظرة حقد وعصبية مخافة أن يكتسح الأديان الأخرى جميعها، أو ينير السبيل أمام البشرية لتسير قدما نحو الكمال».

وعملاء التبشير، وهم عملاء الاستعمار في كل مكان، أولئك الذين جرتهم دعوة التبشير على تشويه التاريخ الإسلامي، والتشكيك في حقائقه، وإبراز الجوانب المظلمة فيه، و[illegible] كل المقومات التاريخية والأدبية والروحية في ماضي الأمة الإسلامية، وعلى التنديد والاستخفاف بها.

وليقتصر فيما كان مقصودا من دعاية الاستعمار في العالم الإسلامي، فهو دعوة إلى تحويل الشعوب الإسلامية، والنيل من اللغة العربية، وتقطيع أواصر القربى، وتمزيق وشائج الاتصال بين الشعوب العربية والإسلامية، والتنديد والازدراء بحالها في المحافل الدولية العالمية...

ج - «لا تعقيدات الحملة الشعوبية بين غلاة الاستعمار وأساتذته وعملائه تشعر بأن البلاد العربية والأقطار الإسلامية حتى تركها في حالة من التردي والانحطاط و[illegible]
[illegible]
[illegible]

والاجتماعية، وبذلك يتم للذئب أن يأكل من الغنم القاصية ..

.. وهذه عصابات الصهيونية، [illegible]

وجرثومة الفساد في الكيان العربي والإسلامي والتي تعتبر أداة للاستعمار، وقوة الفكر الصليبي تعمل هي أيضا على تمزيق وحدة المسلمين بشتى الوسائل، وشتى الذرائع، كما تغذي الخلاف الناشئ بين الأقطار الإسلامية فيما بينها عن طريق المطامع والدسائس التي تحركها مع حلفائها ضد الإسلام والمسلمين...

تلك بعض الأعراض الخارجية التي اعترت العالم الإسلامي، وعاقته عن التطور والانطلاق، لتحقيق أشواقه وتنفيذ غاياته وأبعاده..

لقد بات العالم الإسلامي إزاء هذه المخططات الجهنمية يلتحم بالمخاوف ويحتك بالأخطار، وتجهده المغاور، وتهبطه المعثرات، وتتفجر في وجهه الأهوال، وتذبل في عيونه الآمال.

كما استشرى خطر الصهاينة وحلفائهم في كل أرض، وبات وصمة في جبين الدهر، ولطخة في تاريخ الإنسان، ومأتم العذاب للناس، والخراب للأرض، والبوار للحرث والنسل، وقطع بين أعضاء الأمة الأسباب وحرم عليهن بمكره ودهائه التواصل، وأصبح كالسرطان الخبيث الذي إذ كثبت جذوره في عضو نبتت جذوره في بقية الأعضاء...

لكن أشبال الفاتحين الأول الذين غيروا وجه الزمان ومشوا فوق رؤوس الحقب، وجربوا صروف الحدثان، وشمخوا في مراقي الفتح، وتجشموا في مواطن التضحية واستشهدوا في سبيل المبدأ، لم يقفوا كما أراد [illegible] المخططون الفاتنون، موقف الفرقة والشقاق والتخاذل والتعادي، وأهواؤهم متشعبة، وآراؤهم متضاربة، [illegible] التشريع المجيد في نفوسهم، وتدفق الدم الحي في عروقهم، فاستبسلوا في بسالة وطن الآباء والأجداد، وحرروا نفوسهم من أوضار العبودية والاستبداد، ونفضوا عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وقذفوا الرعب في قلوب الأعداء .

☆ ☆ ☆

ولاشك أن العالم الإسلامي، اليوم، وهو يلاقي من الشدائد وصنوف المكاره والمكائد، قد أدرك موقعه أمام عدوه وصديقه [illegible] في محنة حذره، ويضع منهجه لبناء وحدة إسلامية متكاملة تجمع شتوته على كلمة سواء، وتضم صفوفه على السراء والضراء، يجمعها ماض مشترك مجيد، وحضارة عريقة وتاريخ مشترك عتيد، ووجود مستقل ومستقبل زاهر.

ولا ريب أن الظروف مهيأة اليوم ـ أكثر مما مضى ـ لرفع راية الإسلام واتحاد كلمة المسلمين الذين هم أمة واحدة، تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

☆ ☆ ☆

[illegible] توالت في السنوات الأخيرة على الإسلام، [illegible] وصدمات مروعة، ومبعثات نكبت بها الدهر، [illegible] وهزت لها أركان الدنيا، كان [illegible]

[illegible]

[illegible]

الشعوب، كما كانت وبالأسف ضعف الأخلاق، ونسج الأطماع عند المسلمين أساسا لما وصلوا إليه من قوى متفرقة، وأهواء مشتتة، وآراء متضاربة مما أتاح لخصوصية [illegible] والاستغلال [illegible] الفتنة وعداهم، وأصبح بالهم ـ فلولا رحمة الله ثم استفاقوا واحتضنوا دينهم الحق، وتكتلوا صفا واحدا، ورفعوا سياسة الوجه الواحد، ونفضوا عنهم قيود الذل والقهر والاستعباد لقهروا خصومهم، ودمروا أعداءهم، وأسمعوا الدنيا صوتهم، وكتب لهم في العالم الكلمة العليا.

لكن.. لا [illegible] الإسلام المصير يجمع شتى القلوب على الإحساس الموحد.

ولا تمر بالأحداث المروعة تؤلف بين النفوس، وتوحد شتيت الصفوف، فتذيب الغل وتمسح الريبة، وتطرح الشحناء، وتلتقط النثر، وتحفز الهمم الواهية، وتوقظ الضمائر النائمة فتدفع بها نحو التآلف والصفاء.

إن الألم يجمع القلوب الشتيتة ويوحد سائر المشاعر المتأججة، ويوحد بين النفوس المتباينة لأن المصائب يجمعن المصابين، والأرزاء التي مني بها العالم الإسلامي من أعدائه وخصومه وتوالت ضرباتها خلال هذه الأحقاب المتأخرة، قد توحد صفوف المسلمين، وتقرب بينهم مسافة الخلف كلما وهي نظامهم الجامع، وانفرط عقدهم المتسق، فأبناء الأمة الواحدة يتضامنون كلما حزبهم أمر أو حل بساحتهم مكروه، لأنهم كالعضو الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، والله تعالى يأمرنا بقوله : **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا﴾** ورسول الله ﷺ شهد قبل الإسلام، وهو ابن عشرين سنة حلف الفضول الذي انعقد بين بعض زعماء قريش لرد المظالم، ونصرة المظلوم، وأثنى عليه بعد الإسلام فقال : شهدت حلفا في دار ابن جدعان، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبت.

وقد قرر السيد هارولد سميث رئيس قسم الديانات بكلية «ووستر» بولاية أهايو في أمريكا وأحد كبار المستشرقين بها هذه الحقيقة التي طالما ظلت قائمة على ممر العصور حيث قال : «ينبغي أن نذكر أن الأخوة الإسلامية تظهر أقوى ما تظهر عندما يهدد العالم الإسلامي أو أي قسم من أقسامه مصدر غير إسلامي، وأنها تجنح أن تنسى حين لا يهدد الجماعة خطر وشيك من الخارج ومع ذلك فإن هذه الرابطة قوة حقيقية، وفي الإمكان أن تصبح عامل تقوية في العالم الإسلامي كله».

☆ ☆ ☆

تجلت هذه الرابطة القوية الحقيقية في اللقاء الإسلامي الأول الذي انعقد في مستوى القمة بالرباط الفتح عاصمة المملكة المغربية والذي كان حلما جميلا طالما داعب الضمير الإسلامي منذ عدة قرون بعد أن تعثر في طريقه بسبب التخلف والجمود ردحا من الزمن غير قليل، إلا أنه تبلور بصيحات زعماء الإصلاح ودعاة التجديد وعلماء الدين الذين أعطوا قضاياهم الكبرى زخما جديدا قويا، وأرصدوا الأهب للقيام ببث الفكرة الإسلامية على وجهها الصحيح، والأخذ بضبع المسلمين وانتشالهم مما حاق بهم من كيد الاستعمار الذي كاد يفت في الأعضاد ويفل غرب العزائم.

وقد كان العلاج الناجع كامنا في عودة المسلمين إلى أصالتهم ووحدتهم الجامعة، وقوتهم الظافرة، والتمسك بحبل دينهم المتين، والسير على النهج القويم الذي سار عليه أسلافنا الأبطال الذين فتحوا مشارق الممالك، وطهروا العالم من الوثنية والفسوق والفجور والإلحاد، وعلموا دين الله وشرعه، وعلموا كتاب الله ونصروه... وكان حقا عليه نصر المؤمنين.

وما من شك في أن الرأي العام العالمي لاحظ تضامن المسلمين الحي، وقوتهم الظافرة وتأييدهم المطلق لشعب فلسطين في نضاله المشروع، وجهاده المقدس، ودفاعه المستميت ضد الظالمين المعتدين، ثم يسجل ذلك التضامن [illegible] تعصب، يستهدف [illegible] الأديان السماوية [illegible] لكي يحترم ويقدر ما تحترمه هذه [illegible] على اختلافها من عطف وحلم واستهتار بالبشر [illegible]، تجلى ذلك في البيان النهائي لأشغال مؤتمر الرباط الذي كان واضحا مركزا بعيدا عن كل تعصب مقيت، أو عنصرية [illegible]

☆ ☆ ☆

من الحقائق التاريخية [illegible] تاريخ الإصلاح والتضامن والتجديد [illegible] في الإسلام، والمتتبع لهذا التاريخ لا يرى ثغرة ولا ثلمة في جهود التضامن والإصلاح والتجديد ولا تكاد تظهر فيه من يعارض التيار المنحرف ويكافح الفساد المتفشي، ويرفع صوت الحق، ويتحدى القوى الظالمة أو عنصر [illegible] ويفتح [illegible] جديدة في

المتكبرة والدارس لهذا التاريخ، والمتتبع لحوادثه وتعقيداته، لا يعزب عنه أن عصراً قصيراً ساد الظلام فيه على العالم الإسلامي، وخبت مصابيح الإصلاح، وخفتت أصوات الحق، ومات الضمير الإسلامي، وتبلد الشعور، وأضرب الفكر الإسلامي عن العمل.

☆ ☆ ☆

لقد كان لدعوة التضامن الإسلامي مجاهدون أشداء على الصليبية والاستعمار والصهيونية، وظل المفكرون المسلمون والمصلحون المخلصون قديماً وحديثاً يبحثون عن أسس جديدة لتضامن المسلمين في جامعة إسلامية وتضامن [illegible] رابطة إسلامية ووحدة إسلامية.

وقد عاصر الإمام أحمد ابن تيمية نهاية الدولة العباسية على يد التتار وأبلى هو نفسه البلاء الحسن في الدفاع عنها، وفي صيانة العقيدة من خطر التحجر والجمود، [illegible] صحة أفكاره، ومع لاحظ الأخطار التي كانت تحدق بالعالم الإسلامي من كل جانب، دعا منذ ستة قرون إلى التضامن الإسلامي في كتابه «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»، منادياً بتنظيم الجامعة الإسلامية.

☆ ☆ ☆

ويجب أن لا ننسى تلك المزايا التي استأثر بها العلماء الذين عاشوا في هذه المنطقة، ولا سيما علماء الهند الذين كان في طليعتهم الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي الذي لم يشهد نظيره في العالم الإسلامي بعد شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية، ثم حكيم الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي صاحب «حجة الله البالغة»، والإمام محمد قاسم النانوتوي مؤسس الجامعة الإسلامية «دار العلوم» ديوبند، والشيخ السيد محمد علي المونكيري مؤسس ندوة العلماء، وكذلك الشيخ معين الدين الجشتي الذي أسلم على يده مئات الألوف من البشر، ومن جاء بعده كالسيد علي الهجويري، والشيخ إسماعيل اللاهوري، والأمير الكبير السيد الهمداني الكشميري، وفريد الدين الأجودهني، والإمام أحمد بن عرفان الشهيد الذي أسلم على يده وحده أربعون ألفاً من غير المسلمين.

وقد ظهر في الهند أيضاً مؤسس الباكستان فيلسوف الشاعر الدكتور محمد إقبال الذي لم يكتف بالدعوة إلى الإسلام، ولكنه صاغ فلسفة إسلامية جديدة لا تقر الجبرية الاقتصادية والحتمية، ولا الفلسفة الليبرالية الإلحادية أو المسيحية، وكانت دعوته في شعره للجامعة الإسلامية أراد بها أن يتضافر العقل والوجدان والإرادة لبناء عالم المسلمين.

كما كان أيضاً مجاهدون أشداء على أعداء الإسلام بوحدة وتضامن الإسلامي على الاستعمار ومحاربته، كالمصلح السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ الإمام محمد عبده [illegible] الطهطاوي وعبد الرحمن الكواكبي صاحب «أم القرى» الذي [illegible] أرسلان وغيرهم عشرات هم الذين أرسلوا آراءهم عبر وسائل الإعلام المتوفرة في ذلك العصر، فنبهوا أمماً، وألهبوا شعوباً وقد [illegible] دعواتهم الثورة العربية في مصر وثورة المهدي في السودان، والثورة الوهابية بالحجاز والثورة السنوسية بليبيا..

كما أن هناك حركات إصلاحية قادها زعماء مسلمون في عالم ما وراء النهر أمثال إسماعيل بك غاسبرينسكي الذي دعا لمؤتمر إسلامي عالمي عام 1926 عقب انهيار الخلافة الإسلامية، فاجتمع المؤتمر وأصدر عدة قرارات في توحيد العالم الإسلامي، وإدخال إصلاحات على النظم السياسية والاجتماعية، وكذلك المصلح الكبير عبد الرؤوف فطرت والبطل العظيم شامل عبد القادر القوقازي الذي أبلى البلاء العظيم في بلاد ما وراء النهر.

[illegible] في [illegible] على [illegible] و[illegible] لتصميمه المجيد.

وتشرئب للأدب السياسي الإسلامي في القرن التاسع عشر يعطيك مطابعا من المجددين وزعماء الإصلاح ودعاة التجديد كانوا الموحدين، تعريفا في فكرهم وكتبهم حول قضايا الساعة الأساسية.

وقد حاز هؤلاء المفكرون المجددون على عدد من الذين يصغون إليهم أبعد من حدود بلدانهم بكثير، فجمال الدين الأفغاني، وميرزا علي خان سوزي، والشيخ حسن روحي، والسيد أحمد ونامق كمال، وأمير علي، وعبد الحق حامد والحاج أجوتش سليم، وميرزا فتح علي أخوند زادة من شيروان «أذربيجان» وأحمد طالب زاده (طالبوف) من تركستان، والمفكر التتري يوسف أقجورا وصنوه، الذي كان مدرسا في قازان، وأسس المجلة المسماة «ترك»، وساهم ... في القاهرة ... عام 1902 م ... ثلاثة أنظمة سياسية، حاول فيها أن يقدم برهانا علميا على أن الشعوب التركية من مصر حتى الصين تشكل أمة واحدة، هؤلاء كلهم دعوا جميعا لفكرة الإصلاح والتحديث، من مصر إلى أندونيسيا، كما كانت أصداؤهم تتلاقى في أرجاء العالم الإسلامي كله، ونلاحظ أنهم جميعا كانوا مخلصين ملتزمين بأقلامهم، ولم يكن أحد منهم يعتقد بأن العلمانية ستحل مشاكل الإسلام.

وقد نازلت الحركة الإصلاحية التي قادها أولئك الأبطال ميادين شتى، ولقيت محنا كثيرة، ولكنها تشعبت عند قيام الثورة الشيوعية وصدور إعلانها المتضمن لمبادئ تحريرية، كما فصل ذلك الأمير شكيب أرسلان رحمه الله في حاضر العالم الإسلامي، وغيره من الكتاب.

☆ ☆ ☆

تبلور مفهوم التضامن الإسلامي، بعد مرحلة مؤتمر مكة ومؤتمر ... ومؤتمر الصومال، ومؤتمر كوالالمبور في عصر العالم الإسلامي، وبات حتما يداعب كل مسلم يرى النجاح لهذه الأمة عن طريق هذا التضامن.

ولقد مرت فترات عديدة على المسلمين كانت تدعو إلى عقد مؤتمرات في مستوى القمة لتدارك الحال، لكن الحدث المفجع المروع الذي أثار المفجع، وكان له دوي رائع مرعب لا في الرأي العام العربي فحسب، ولكن في الرأي العام الإسلامي وشتى، مشهد حريق المسجد الأقصى هو الذي دعا الأمة الإسلامية إلى تجميع رأيها، وتنسيق خطتها، وتوحيد صفها.

ويجب أن نشير إلى أن أول مؤتمر إسلامي رسمي قد انعقد في القدس عام 1932 برئاسة المرحوم سماحة مفتي فلسطين الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني، اشترك فيه زعماء من بعض بلدان العالم الإسلامي، ومنها المغرب كان ذا صفة شعبية، لم تتمثل به أية حكومة من الحكومات، لأن معظم العالم الإسلامي كانت تحت كابوس الاستعمار والاحتلال حيث لم يكن هنالك إلا القليل النادر جدا من الدول الإسلامية المستقلة استقلالا تاما ناجزا.

وقد انبعثت، أيضا، دعوة موفقة من المؤتمر الإسلامي الذي انعقد عام 1964 بمقاديشو، ترمي إلى عقد اجتماع قمة إسلامي كبير يتم فيه جمع كلمة المسلمين ليزدادوا تعارفا وتآلفا، ويتباحثوا في شؤون شعوبهم، ويعززوا صفوفهم، ويؤلفوا قوة جبارة تكفل لهم حياة العز المنيع، كما تضمن لهم فرص وجودهم في معترك الحياة، وتعطيهم المكانة المرموقة التي يجب أن يحتلوها على الصعيد العالمي.

كما جدد مؤتمر رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة الذي اجتمع في أعقاب حج 1965 الدعوة لعقد مؤتمر في مستوى القمة، وشرح المرحوم جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود في زيارته لعديد من العواصم الإسلامية دعوته إلى عقد اجتماع في مستوى عال يستهدف تقريبا تضامنا حاسما، وقد حل جلالته بالمملكة المغربية عام 1966 ضيفا على جلالة الملك الحسن الثاني الذي ألقى بمناسبة هذه الزيارة خطابا جامعا صريحا دعا فيه إلى توحيد الصف، وجمع الكلمة، وتآلف الشعوب وما جاء فيه.

وربما كان هذا هو الذي دفع بنا كذلك إلى الترحيب بالدعوة لتأليف شعوب المسلمين وجمع

صفهم وتوحيد كلمتهم تحقيقا لمصداق الحديث : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» فنحن نفهمها كما تفهمها جلالتكم ونريدها كما تريدونها دعوة إسلامية تستجيب لواقع الإسلام والمسلمين، ولم نردها، ولن نريدها أخوة، يتكتل فيها بعضنا ضد بعض، ولم نتصورها في خدمة مصلحة خارجة عن مصلحة المسلمين أنفسهم، كما لا نريدها أن تكون أخوة متعصبة عدوانية أو يستغل فيها الدين للمساومة على الرخيص من الأغراض والمصالح وفي كلمة جامعة نريدها كما تريدونها قوة تعزز قوات السلم والحرية وفي خدمة أغراضها، ولن منتهى الدعوة لتآلف شعوب المسلمين).

وفي عام 1969 احتضنت كوالالمبور عاصمة ماليزيا مؤتمرا إسلاميا دوليا في مستوى الحكومات بمقتضى الدعوة التي وجهتها حكومة هذه البلاد إلى الأقطار الإسلامية وقد مثل المغرب في هذا المؤتمر المرحوم الأستاذ سيدي عبد الله كنون، والأستاذ السيد محمد بنعبد الله مدير مجلة دعوة الحق. وقد قرر المؤتمر دعوة جميع الدول الإسلامية إلى مؤتمر سياسي على مستوى عال يضم ملوك ورؤساء الدول الإسلامية للتباحث والتشاور لتخليص القدس من التهويد، وتحرير فلسطين المغتصبة، وكان هذا المؤتمر فرصة فريدة للباحث في تاريخنا الإسلامي الحديث حيث سجل تقاربا وتفاهما مثمرا بين البلدان الإسلامية، كان مناسبة لإبراز التضامن والتلاحم بين الإخوة المسلمين لما يعود على بلدانهم وشعوبهم وعلى المسلمين بالخير العميم، والنفع العام، حتى يشعروا عن وعي ويقظة، ويعبروا عن نواياهم السياسية والشريفة، وإمكانية تحريرها لخير شعوبهم ولصالح الإنسان.

وظهرت الدعوة بصفة صريحة ملحة إلى عقد مؤتمر إسلامي للقمة في اجتماع وزراء الدول الخارجية في الأسبوع الأخير من شهر غشت 1969 بالقاهرة، وقرر في ختامه [illegible] التأكيد أهمية عقد مؤتمر قمة إسلامي، وأن يعهد إلى المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية بإجراء الاتصالات اللازمة من أجل عقد هذا المؤتمر.

فكان مؤتمر القمة الإسلامية الأول الذي انعقد بالرباط عاصمة المملكة المغربية تتويجا للجهود المضنية التي بذلها جلالة الملك الحسن الثاني في جميع المستويات لتوحيد كلمة المسلمين، وجمع قادتهم وملوكهم للتعاون على أسباب التفرقة الطارئة، والعمل على محو المحنة الأليمة التي وقعت في مسيرة الأمم الإسلامية التي تعيش اليوم في دور التجمع والاستعداد على الرغم مما يبدو أحيانا من عوامل المقاومة والانتكاس.

وهكذا وضع انعقاد مؤتمر القمة الأول الذي انعقد بالرباط، أو الثاني الذي انعقد في مدينة لاهور بالباكستان عام 1974 الأمة الإسلامية على بداية الطريق الواضحة لتحقيق الأمل الكبير الذي عمل له المفكرون والرواد المسلمون خلال الأجيال المتعاقبة في قيام عالم إسلامي متضامن موحد يرتكز على أسس ثابتة في تعاليم الإسلامية الغراء التي تستطيع وحدها أن تعطي للمسلمين أسباب القوة المادية والمعنوية، وتمنحهم القدرة على الدفاع عن كيانهم وعقيدتهم أمام كل المعتدين.

في يوم الثاني عشر من رجب الفرد الذي قرر مؤتمر وزراء الخارجية [illegible]

الرباط : محمد بنعبد الله

محمد رسول الله

أكرم ولد آدم على ربه

للأستاذ عبد الله كنون

1 ـ أكرمنا الله تعالى ـ بمحض فضله وكرمه ـ بمحمد رسوله وحبيبه وخيرته وأكرمهم عليه وأفضلهم لديه، فظهر به صلى الله عليه وعلى آله وصحبه جمال الله في كل شيء وتجلى كما له حسن وعلا في كل كمالاته وأجمل شيء [illegible] محمد [illegible] وجعله [illegible] مشفعا فيه وتجلى جلاله لكل الخلق بأن جعل [illegible] بين الخلق في العمل والخلق هو هذا النبي الأمي الكريم [illegible] وأعظمهم يوم القيامة، [illegible] عز وجل لكل الأنام بأن جعل سيدهم يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا محمد ﷺ.

تفرد في الدنيا بختم النبوة والرسالة، فكان سيدنا بفضل الله. وانفرد في الآخرة بالشفاعة فكان سيدنا بكرم الله، [illegible] الناس في [illegible] يوم الهول دون سواه من الخلق، [illegible] سواه [illegible] كل جبلة من أجسامهم، وكل ذرة من الكون معهم من حولهم بالبيان الفصيح أمام الديان الذي لا يموت، يوم يقوم الأشهاد بين يديه ويكون الأمر كله إليه، بأنه الحسب [illegible]

الألسنة يوم يلقى الناس ربهم على شوق أو على فرق منه [illegible] التي استقرت في القلوب، وصدقتها الأعمال [illegible] آخر [illegible] من إنسان.

[illegible] ﷺ [illegible] خير [illegible] الناس خير وطالما تحدث الناس [illegible] من خير ومن فضل حث عليه، أو خلقه لنا الله ببركته وسعيه وهديه في حياته الطيبة المباركة. فلما قضى الله تعالى أن [illegible] بالرفيق الأعلى وبتوفاه إليه تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، خير الدنيا والآخرة

ترك لنا الأمرين الأنورين [illegible] كتاب الله وسنته [illegible] ترك فيها ما إن تمسكنا به كان لنا عز الدنيا وفلاح الآخرة

فمنذا من [illegible] مع رسول الله وربه في الآخرة [illegible] أقل من حياته كانت [illegible] ولا [illegible] وإن [illegible] هو [illegible]

[illegible]

[illegible] وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر.

سيكون أول المبعوثين يوم البعث والحشر. لماذا؟ لأنه رائد قائد في الآخرة، كما هو قائد رائد في الدنيا، كان ولا يزال، ولن يزال .. هذا دوره في [illegible] وحين [illegible] رسولا والرائد لا يكذب أهله [illegible] ويحمل لواءه

ونمضي في تساؤل عن سبب كونه أول خارج يوم البعث. ليحمل من آمن به ويزيد [illegible] وشفاعته وعمل [illegible] ويأمل في شفاعته من كان في الدنيا من أهل الظلم من المعاصي. ولنتصور إنسانا يدخل في [illegible] مكانا لم يكن له به ولا [illegible] معرفة. كيف يكون شعوره بالرهبة؟ وإحساسه بالغربة؟ وما يجيش في نفسه من وحشة؟ [illegible] يتقدم بطيئا متردد متهيب، يقدم رجلا ويؤخر أخرى [illegible] يحولان في لهفة حيرى [illegible] يرجو أن يقع بصره على وجه معروف يأنس به، أو مكان مألوف يأوي إليه. لنتصور حالة [illegible] في مثل هذا المكان ومثل هذا الموقف، وقد عثر على أخ له شقيق، أو والد رحيم، أو صديق حميم، يعرف المكان وأهل [illegible] سيكون له فيه نعم الأنيس والمرشد والمعين. ولنمض في تصورنا إلى يوم البعث والنشور والحساب، يوم [illegible] يوم [illegible] يجعل الولدان شيبا، [illegible] منفطر به [illegible] تغرق الرؤوس [illegible] الناس في [illegible] عرقهم، [illegible] يفر من [illegible] من أخيه والمرء من زوجه والحميم من حميمه، والناس [illegible] والصراط أرق من الشعرة وأحد من السيف، وكتاب الأعمال يؤتاه البعض بيمينه، والبعض بشماله أو من وراء ظهره. إنه يوم الفزع الأكبر. أليس كذلك؟

ولكن لنمض في تصورنا إلى أبعد مدى: ها هو رسول الله سيدنا محمد ﷺ يظهر [illegible] أول [illegible] وخروجه ليدلهم [illegible] المرعب المروع. إنه [illegible]

المقام المحمود الذي وعده به ربه جل وعلا. إن لواء الحمد بيده، يحمله على ملأ من أهل البعث والحشر. حينئذ لا [illegible] كل فرد [illegible] لا ذنوبه ومعاصيه الصغير منها والكبيرة، [illegible] ولا يبقى [illegible] من أمل ولا رجاء إلا من صاحب المقام المحمود والدرجة الرفيعة والوسيلة والفضيلة، من صاحب لواء الحمد وأكرم [illegible] بيده. يجده أمامه أول من بعث [illegible] يطوف عليه [illegible] كأنهم لؤلؤ مكنون. فيصبح [illegible] الرجاء بلسان الحال [illegible] على [illegible] الشفاعة [illegible] [illegible]

[illegible] الشفاعة [illegible] يا رسول الله، يا أول [illegible] يا أول مشفع، يا أكرم الأولين والآخرين من خلق [illegible] سيد الناس يوم القيامة

يبدأ الرجاء في رحمة الله الرحمن الرحيم، وشفاعة الرسول الشفيع الكريم تتعلق القلوب وتلهج الألسنة [illegible]

[illegible] شفاعة ويؤذن له بالشفاعة فيمن [illegible] من الناس [illegible] كما قال هو نفسه، وهو الصادق المصدوق [illegible] الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فأدخلها، فيدخلها معي فقراء المؤمنين ولا فخر، [illegible] الأولين والآخرين ولا فخر» وفقراء المؤمنين [illegible] الصالح هم الذين يرون نفوسهم مملوكة لله ولا يرون أنفسهم مالكة شيئا بوجه من الوجوه، فهم وما يملكون لله تعالى.

وعلى هذا فقراء المؤمنين الداخلون أول الداخلين الجنة مع رسول الله يكون منهم أيضا [illegible] العلاء، المنفقين أموالهم في سبيل الله الذين لا يطغيهم مال، ولا يبطرهم غنى، ولا تفتنهم ثروة.

وهنا نتساءل أخيرا، عندما سيخطب رسول الله ﷺ يوم القيامة بين يدي ربه بحضرة جل وعلا يتقدم الوافدين الراجين الآملين من أهل البعث والحشر وهم ينتظرون [illegible]

هو جوابه ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود». وها هو قارئي العزيز بعض ما يقول رسول الله ﷺ في ذلك اليوم [illegible] يجمع الله الناس في صعيد واحد [illegible]

[illegible]

خلقوا، سكوتا لا تكلم نفس إلا بإذنه، فينادي: محمد، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك وبك وإليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك رب البيت».

هذا بعض ما يلهمه الله تعالى رسوله الكريم يوم القيامة وهو ساجد تحت العرش من المحامد وحسن الثناء فيقال له: «يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه واشفع تشفع».

[illegible]

وهم مركب [illegible]

ألم أقل لك قارئي العزيز إن سيدنا محمدا خير لنا في حياته وخير لنا في مماته؟

أولا يستحق منا هذا الرسول عظيم الحب العظيم، [illegible] يصدق عليه قول الشاعر:

[illegible] الروح مني

وما في [illegible] حبيبا

[illegible]

[illegible]

ولسائل أيضا أن يطرح نفسه علينا ويحاج: إذا كان رسول الله يوم الفزع الأكبر الشافع المشفع، فمن حق شفاعته؟ [illegible] عليه الصلاة والسلام وهو الذي لا يكسب [illegible]

[illegible]

فكيف تكون شفاعته للمذنبين الخطائين من أمته؟

يقول ﷺ - في سياق حديث من أحاديثه عن الشفاعة: «[illegible] أخر ساجدا، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه، فأنطلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، وذكر مثل الأول وقال فيه مثقال حبة من خردل، قال: فأفعل، ثم أرجع، وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال [illegible] رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله. قال: ليس ذلك [illegible] وعظمتي [illegible] لا إله إلا الله».

[illegible] الشفاعة التي نرجوها [illegible] من رسول الله [illegible]

رسول الله هو قدوتنا الطيبة وأسوتنا الحسنة، ومن سيرته ينبغي أن نستمد النور والهدى والتزكية. [illegible] جانبنا به حياة صالحة، ومعاملة تمارس، وورع يحتذى. وإن من عظيم نعم الله علينا أن بعث لنا محمدا ليكون مثلا أعلى حيا نحتذيه في كل حركاته وسكناته كإنسان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، حتى لا يستحيل علينا ما فعل أو ترك شيء مما يأتيه أو يدعه. ونحن في كل ما نأتمر فيه بأمره أو ننتهي بنهيه، نبني مجتمع الإيمان والعدل والعمل، وسيادة الرحمة والتكافل والتضامن والأخوة. ولتحقيق هذا المجتمع الفاضل حض الله تعالى المؤمنين وحثهم على الشفاعة الحسنة فيما بينهم، وحرم عليهم الشفاعة السيئة شفاعة التوسط فيما لا يرضي الله.. فيما لا يرضي الله.. شفاعة المحسوبية شفاعة العمل على أن يأخذ من لا يستحق ما لا يستحق تعويضا عمن يستحق ما يستحق... ومن شفع أو شفع له هذا النوع الشفاعة السيئة في الدنيا

حرم شفاعة من لا يؤذن سواه بالشفاعة يوم الهول والحساب... ولم تنفعه شفاعة الشافعين.

إن الله تعالى قد جعل من محمد نبيه ورسوله شفيعا مشفعا ليكون التماؤب منه لجوء إلى الله ووقوف ببابه بالشفاعة الحسنة. وعياذا به واستغاثة برحمته من أن تسود بيننا الشفاعة السيئة. ورجاء مبتهلا ضارعا خاشعا ذليلا بالنية والقول والعمل أن يجعلنا ممن يستحق الشفاعة من سيد خلقه وإمام رسله وخاتم أنبيائه... سيد الشفعاء... يوم لا يتصدى للشفاعة سواه، لأن الكل مشغول بنفسه، وهو عنده النفس والولد والوالد المشغول بنفسه يرتد عن حسن الشفاعة.

والوسيلة الأولى إلى نيل هذه الشفاعة هي الشهادة باللسان والجنان ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، شهادة إيمان [illegible] راسخ متين، [illegible] لتكون شهادة وقرت في القلب تصدقها العمل رغم ضعفنا وقصورنا [illegible] أنفسنا وترغب أهوائنا ونزغات شياطين الإنس والجن التي تسعى لأن تردينا وتسقطنا في حمأة اللجوء إلى غير الله. واللجوء إلى الله في كل الأحوال هو الأمن... هو السند هو القوة هو العون... هو الأمن. واللجوء إلى غير الله وبأي وسيلة لا ترضي الله هو حضيض الشفاعة السيئة. والقدوة الطيبة في عدم التمسك إلا بحبل الله المتين. وأسوتنا الحسنة في عدم الاعتصام إلا به هو سيدنا محمد ﷺ به نتوسل ألا يحرمنا الله في دنيانا أن نشفع بين الناس وأن يشفع لنا عندهم بحسن الشفاعة. ويوم القيامة يحقق لنا الإذن له بالشفاعة. فهو عليه الصلاة والسلام أهل الشفاعة دون سواه، والله جل وعلا أهل تحقيق الشفاعة والإذن بها له دون سواه. ونحن العصاة المذنبون ولكننا تائبون بذنوبنا معترفون... في الشفاعة طامعون. ولن يضيع بين الرحيم ثم الشفيع. إن معنى الشفاعة لغة: هي أن يسعى المرء لدى المسؤولين في حاجة يطلبها لغيره نحوه وتوسلا بوسيلة مقبولة لقضاء حاجة ما. فهي بهذا المعنى إن كانت شفاعة إصلاح بين متخاصمين مثلا، شفاعة حسنة كأن لا يتحاد على التدخل في منصب يناسبه ويستحقه بدون محاباة ولا محسوبية، وبدون أن يحرم من هذا المنصب من هو أحوج إليه، أو هو أحق به، فهذه أيضا شفاعة حسنة.

وأما الشفاعة السيئة فأكتفي بمثال واحد حي، هو هذا الحديث الشريف الواضح الصريح الصارم عن سيد الخلق ﷺ إذ منع لحد السلطان منع الله الشافع [illegible] ارتكب ما يستحق به أن يعاقب عقابا... ومتى مرد إلى المحكمة ثبت فيه بما تقتضيه الشرع، فلا حق لأحد أن يتدخل بشفاعته تفسد [illegible] الحكم والعدل... ومن كانت هذه الشفاعة لتغيير الحكم أو تخفيفه قبل صدوره أو بعد صدوره. ومن فعل فهو مستحق للعنة الله... ولعنة الله هي الخروج من رحمته. ولا يخرج من رحمة الله إلا شقي... محروم من الشفاعة يوم يأذن الله لمن شاء بها. والوسيط والموسط في هذا سواء. هذا إن كانت الوساطة... وهي شفاعة سيئة [illegible] نصيب منها.

[illegible]

[illegible] ومن لحق بالمجاهدين في صفوف المجاهدين في سبيل الله وتحريضهم وإعانتهم على ما هم بصدده من الجهاد المبارك نصرة الحق. ومضاعف أن كل من يسعى في أمر من أمور الخير يسعى به مصلحة الفرد المسلم أو الجماعة المسلمة أو أمة الإسلام عموما، فينجح في شفاعته ويترتب عن عمله ذلك خير قل أو كثر فإنه [illegible] وفقه الله إليه في سعيه، بأن يترتب [illegible]

بين الناس بالصلاح والبركة وفعل الخيرات، فيقصده الكثير منهم لقضاء حاجاتهم يستعينون به لبلوغ مرامهم في الصلاح والإصلاح ورفع الظلم وجلب المنافع ودفع المضار، وذلك بالطبع فيما يقدر عليه.. فقد تصيبه في نفسه [illegible] فقد يصبح الأمر عنده في هذه الحال أن تتغلب عليه [illegible] مرضاته بالشفاعة الحسنة وابتغاء لإصلاح ما استطاع إلى النظر إلى ما يناله من رضا الناس واستحسانهم لما يفعل وما يشتهر له بينهم من حسن الأحدوثة وجميل الذكر وذائع الصيت وعالي الجاه، فيتعلق بهم ويتعلقوا به. وهذا هو الشرك خفيه وجليه. وقد لا يعرفه ثم يقاومه إلا من أكرمه الله بمعرفة ربه ثم نفسه ومراقبته ومحاسبتها.

وأما الشفاعة السيئة فهي كل عمل يعمله المرء يظهر به أنه يسعى لمصلحة فرد أو جماعة وما هو إلا ستار يستر به [illegible] مآربه الدنيئة وأغراضه القبيحة. وهو قناع جميل يخفي وجها بشعا، والشفاعة السيئة [illegible] في العمل على سلب حق إنسان للاستئثار به، أو لإيثار إنسان آخر به لا يستحقه، فهي بهذا ظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة، ظلم حرمه الله على نفسه وحرمه بين عباده. والكفل الذي يناله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا يستحق بحرمان من يستحق. وهو أيضا الشفاعة السيئة التي [illegible] المصاهر بغير حق [illegible] الذي لا يحل حلالا ولا يحرم حراما، وهو في الآخرة حرمانه من شفاعة شفيع الخلق محمد ﷺ، ومن رحمة الرحمن الرحيم جل وعلا. ومن حرم تلك الشفاعة وتلك الرحمة فقد خسر خسرانا مبينا والله تعالى حين يأذن لرسوله الكريم بالشفاعة بمشيئته وهو الفعال لما يريد فإنما هو المقيت أي الحفيظ الشهيد الحسيب القدير، سبحانه وتعالى.

يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله في تفسير المنار عند ختام تفسيره لهذه الآية ما معناه: عرفت [illegible] الضارية بأنيابك في اللحم من فتك الشفاعات في إفساد أخلاق الناس أفرادا ومجتمعات.. فالمجتمع الذي تروج فيه الشفاعات يصبح أهله متكلين عليها لا على الحق والعدل، فتضيع الحقوق، ويعم الفساد، ولا يصلح حال مثل هذا المجتمع إلا إذا عمت الشفاعة الحسنة بين أفراده بأن يطلب الحق أصحابه بالتوسل إليه بأسبابه المشروعة، والدخول عليه من بابه، مع اللجوء في أقصى الأمور ندرا إلى أهل الخير للاستعانة بهم فيما لا يبطل حقا ولا يهضم حقا لأحد.

وقد [illegible] محصورة للإمام ابن حجر [illegible] لا [illegible] أحد [illegible] شفاعة [illegible] على عمرو [illegible] محمود [illegible] وهي شفاعة حسنة [illegible] [illegible] [illegible] وهي [illegible] [illegible] لأحد في [illegible] [illegible]

فماذا يقول صاحب الشفاعة الحق عن الشفاعة؟ ومن سرته [illegible] بالشفاعة الحسنة [illegible] راجين شفاعته يوم لا [illegible] أحد عند الله إلا بإذنه:

- قال عليه الصلاة والسلام: «أفضل الصدقة صدقة اللسان. قيل: يا رسول الله، وما صدقة اللسان؟ قال: الشفاعة تفك بها الأسير، وتحقن بها الدماء، وتجر بها المعروف إلى أخيك، وتدفع بها عنه الكريهة».

- وقال أيضا: «إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره، فيقول له: جعلت لك جاها، فهل نصرت به مظلوما، أو قمعت به ظالما، أو أغثت به مكروبا».

وقد فهم الصحابة الكرام والسلف الصالح [illegible] ووضوح الشفاعة الحسنة كما فهمها لهم رسول الله ﷺ وعـ[illegible]

هو نموذج من ذلك الفهم عن حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «... كان معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ، فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئباً حزيناً. قال: نعم يا ابن عم رسول الله، لفلان علي حق ولاء وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه. قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ فقال: إن أحببت. قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا، ولكني سمعت صاحب هذا القبر ﷺ، والعهد به قريب -فدمعت عيناه- وهو يقول: «من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين» (طرف السماء والأرض، وبين المغرب والمشرق).

3 - ما الطريق إلى العمل بهذه الشفاعة الحسنة في الدنيا؟ وما السبيل إلى الفوز بها من صاحبها يوم نكون أحوج إليها وأفقر في الآخرة؟

لقد علمنا صاحب الشفاعة عليه الصلاة والسلام أن من أهم ما نهتم به:

□ أن نتفكر في عواقب الركون إلى الدنيا، فنأخذ لأنفسنا جانب الحذر من شهواتها وأهوائها، ونحتاط لها من مزالقها وعثراتها.. وليس من سبيل إلى ذلك إلا الشفاعة الحسنة التي تحجب عن نفوسنا رذائل الأثرة، وتحيي فيها [illegible] وتأتيه نفسه شحها نصيحة الصادقة بأنواعها. ومن أنواعها صدقة اللسان الصادقة التي من نتائجها فك الأسير وتحريره - وما أعلى الحرية! - وتحقن الدماء - وما أصح ما يتقدمه السعي لحقن الدماء من ثمن! - وتجري بها المعروف إلى الإخوان. وما أمر ما يعانيه من نفسه الأمارة جار المعروف إلى الإخوان، وأمر منه انتظار الامتنان من أولئك الإخوان ربما كانوا غير «إخوان»؟ أو لا يحسنون التعبير عن ذلك الامتنان.. وتدفع بها الكريهة - ووسائل دفع الكريهة من مر الدواء الذي يكره عليه المرضى في غالب الأحيان، فيلقى منهم الطبيب المعالج العنت!.

□ أن نوطئ سبيل الطريق إلى تلك الشفاعة الأخرى وصعوبتها، فنحسن الاستعداد والتأهب للسفر إليها، سفراً لا أمل بعده في عودة.. سفراً للقاء الله.. سفر من يؤمن ويوقن ويعمل على أنه لا ينسى.. لأن إيمانه رسخ في قلبه وعمل على حقيقته بعمل يصدقه، بالشفاعة الحسنة في الدنيا بين الناس. شفاعة من يتحرى كل مواقعه ليرى رؤية الحق عاقبة الإثم فلا يغشاه، ويخشى الله وحده لأنه أحق أن يخشاه. فينصر المظلوم، ويقمع الظالم ويغيث المكروب، ولا يكلف في كل هذا إلا وسعه.. حتى لا يزيد في عداد المظلومين المكروبين نفسه. ويزيد من أراد قمعه من الظالمين عتواً وعنجهية.

□ أن نقف أنفسنا فيما هو حق متيقن، حتى لا نطلب فيما هو ظن غير متيقن وذلك بأن تكون عبوديتنا للخالق وحده، وحقيقة هذه العبودية [illegible] تحقيق هذه الآية الكريمة **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾** وهذا التحكيم الذي هو شرط الإيمان، والمشروط هو أيضاً بالرضى والتسليم المطلق لا ينبغي أن تتخلله شفاعة، اللهم إلا الشفاعة الحسنة التي لا تفسد ذمة ولا تهضم حقاً لصاحبه، أو تعين ظالماً على التعدي في ظلمه. وإلا فإنها تعد على حدود الله.. ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه، ويحرم شفاعة صاحب الشفاعة في يوم يكون أحوج ما يكون إليها.

وإن كان هذا ما علمنا إياه صاحب الشفاعة والجاه إليه حبه، عليه صلاة الله وسلامه فماذا يجب علينا نحوه؟

إنه الحب.. الحب الكبير لهذا الرسول الكريم والنبي الأمين. الحب الذي يعم القلب ويفيض على الجوارح. الحب الذي منه يشتق حب المؤمنين لبعضهم، ويشتق هو

من الحب لله جل جلاله.. لأننا مؤمنون، والمؤمنون أشد حبا لله. وهذا الحب لله ورسوله هو من شفاعته حبه في دنيانا نتوسل به لنيل الشفاعة العظمى في آخرتنا.

«عن أنس رضي الله عنه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله. قال: أنت مع من أحببت. قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ أنت مع من أحببت، قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم».

إن أوثق عرى الإسلام بين الناس هي الشفاعة الحسنة بينهم في الدنيا، على أن تقوم على أساس متين من الحب في الله والبغض في الله. ليستكمل المؤمن إيمانه ويحققه وهذا الحب هو عدة المؤمنين للقاء ربهم في يوم تشخص فيه الأبصار، ويرجون فيه الشفاعة من صاحبها. هذا الحب يجعل كل مؤمن نقي السريرة، يقظ القلب، صافي الروح، وثيق الصلة بربه، لسانه رطب بذكر الله، والصلاة والسلام على رسوله. كل عماله شفاعة حسنة خالصة لوجه الله، يعمل لدنياه، وفي نفس الوقت هو دائم الاستعداد للرحيل، مزود خير الزاد لآخرته. ومن أعظم زاد المؤمن لآخرته خير يكون هذا زاد هو الشفاعة الحسنة محبة لله ورسوله والمؤمنين.

ومحبة الله هي الاحتكام إلى شرعه، وإفراده سبحانه بالعبادة. منه نستمد الأوامر والنواهي، فهو المهيمن على الوجود، وهو الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وحب رسول الله هو أن نجعل منه أسوتنا وقدوتنا في كل أحوالنا وأحوالنا، منه نستمد منهاج حياتنا ومنه نقتبس نور ربنا، ومن سيرته نتعلم الصبر والفداء والتضحية والإيثار والزهد، وإلى سنته نرجع في كل ما يشجر بيننا من صغيرة وكبيرة، ومن يمينه عليه الصلاة والسلام نتعلم الحب في الله والبغض في الله ونتبينه من شفاعته الحسنة التي هي وسيلة شفاعته العظمى يوم نلقاه. وذلك مصداق الآية الكريمة: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله..﴾

إن كل فرد من أمة الإسلام يعلم، أو يجب أن يعلم أن الحب لله تعالى ولرسوله فرض أكيد، وهو شرط من شروط الإيمان، وحقيقة هذا الحب أن يفيض نوره على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها شفاعة حسنة فيما بينهم، فيكون لهم منها قوة، ويكون لهم منها حصن حصين، ويكون لهم منها رفعة.

4 - وهل من الحب لرسول الله أن ننتظر عيد مولده يعود علينا كل سنة لنذكره فيه!؟ نحن لم ننس ولن ننسى في أي لحظة من حياتنا رسول الله، لأننا نتذكره به نداءات المؤذنين على قمم المآذن.. نتذكرنا به الصلوات المفروضة والمسنونة والنافلة. نتذكره به أسماؤنا التي نسمى بها ونعرف بين الناس. نتذكره به رسائلنا. نتذكره به أسماؤنا التي نسمى بها ونعرف بين الناس. نتذكرنا به رسائلنا.. نتذكرنا به خطبنا.. نتذكره به مواقفنا وأعمالنا.. نتذكره فيما نطيع الله ونطيعه به من أعمال نأتيها أو ندعها طائعين أو مكرهين. فنفرح ونستبشر نتذكره فيما نعصي الله ونعصيه به من أمور نأتيها أو ندعها مجبرين أو مريدين فنندم ونستغفر.. رسول الله ﷺ طبع حياتنا جميعا أفرادا وجماعات، شعوبا وقبائل بطابعه النبيل.. فهو معنا بتوجيهه، وهو معنا بتأديبه.

وهو معنا ومنا وفينا بوحيه الكريم الذي جاءنا به صادقا مصدوقا من رب العزة جل وعلا. إنه معنا ومنا وفينا بكل سنته السامية العالية في كل دقائق أمور حياتنا وعلائقنا. علمنا كيف نأكل وكيف ننام وكيف نعاشر الأزواج...

إن رسول الله بشر كبشر، وهو أعظم البشر عندنا كمسلمين وهو إمام كل مسلم.. هو كعرب وهو أكرم

العرب. بعثه الله في الأميين وهو منهم يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبله لفي ضلال مبين بعثه الله إلى العرب وهو في الذؤابة من أنسابهم وأحسابهم... بعثه الله كإنسان من الناس إلى كافة الناس وهو فيهم حبيب خيار من خيار من خيار، إنسان كريم هو رحمة الله المهداة إلى البشرية جمعاء بكره العنت والمشقة

أحمرها وأسودها ـ وكل مكروه وأذى من أمور الدنيا والآخرة.. يكره لها شماتة السوء في الدنيا وعذاب الهون في الآخرة. فلا يزيد لسانه وقلبه في ذلك السوء إلا [illegible] حياته كانت ولازالت [illegible] خير وأن مماته سيكون [illegible] إن شاء الله خير حين نلقى الله فيكون لنا شفيعا مشفعا ؟

الرباط : عبد الله اكديرة

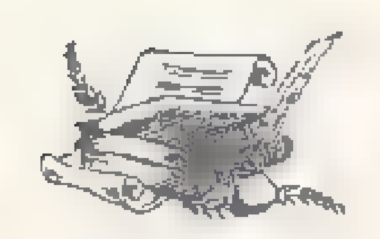

من واجب كل مسلم - وهو يحتفل بذكرى مولد الرسول الأعظم من كل سنة - أن يعتقد عن فهم في كل تعاليم رسول الله، ويؤمن بصدق بكل مبادئ الإسلام ويعي حكمة بعثة رسول الله، ويقدر نعمة الإسلام الرحيمة.

وعلى هذا المسلم أن يفهم بأنه لما بلغ الإنسان الرشد العقلي والنضج الفكري كان الإبان مناسبا قد حان لبعثه رسول الله بديانة الإسلام منذرا لهذا الإنسان ورحمة به وهداية له في هذا الوجود، ولذلك كان سيدنا محمد ﷺ المبعوث العالمي بالدين العالمي.

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ (سورة [illegible]).

﴿قل : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ (سورة الأعراف، آية : 158).

﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ (سورة القلم، آية 52).

﴿...وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون﴾[1]

ولقد كان هذا الرسول العظيم، المحبوب عند الله، رحمة مهداة إلى كل الناس لكي يتحقق وجودهم الملائم في هذه الأرض، ويسعد وجودهم الضروري في هذه الحياة بواسطة ديانة قائمة على أسس مفيدة للناس، مرتكزة على قواعد رحيمة بكل البشر، مشتملة على تشريعات هادفة لخير البشر محتوية على تعليمات معقولة يتقبلها العقل القويم ويقرها ذو البصيرة المستقيمة.

وإذا كانت هذه الديانة عالمية، مسؤولة عند الناس، ضرورية لما تتميز به من أصالة، وخيرية، وحيوية، وصلاحية، فإن هذه الصفات والميزات التي هي إنما تجعلها تنطبق على ديانة الإسلام، فهي التي قصدها وأشار إليها الفيلسوف «كانط» بهذه القولة : «فالديانة الحق الوحيدة هي التي لا تحتوي إلا على قوانين، أعني قواعد عملية يجري عليها، نشعر من ذاتنا بضرورتها المطلقة...»[3]

والنتيجة التي نعرض نصها وتحتم على كل إنسان أن يقتنع بها، وتقصد إيمان الإنسان بالله، بدين الحق،

---

1) رواه مسلم.
2) كتاب (الدين العالمي) للشيخ عطية صقر، ص 24 من سلسلة مجمع

3) البحوث الإسلامية، الكتاب (11) نقلا عن مجلة (الأزهر)، المجلد (10) ص 294.

بالحقيقة الكبرى حقيقة هذا الدين، بالأمانة العظمى التي تناط بكل مسلم، بالمسؤولية العظمى التي تتعلق بكل مؤمن بها الإسلام المتمثلة في الحياة به والدعوة له حتى يعد من المحبوبين عند الله المؤمنين بالرسول المحبوب عند رب الناس : «الأنبياء لأممهم عطية، ونبينا ﷺ لنا هدية، وفرق بين الهدية والعطية : الهدية للمحبوبين والعطية للمحتاجين»[3].

وبموجب هذه النظرة الحكيمة، الواعية لرسالة رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يكون لزاما بل حتميا، الاعتقاد بأن دين الله سلعة غالية يجب أداء ثمنها، وهما الأداء يسحب على الاعتصام بالله وبدينه، ولا يمكن تحققهما إلا لمن يهتم بشخصية الرسول عن طريق الاحتفال الحقيقي بمولده الميمون.

وهذا الاحتفال الواقعي يجب أن يتجسم في واقع المسلم على الدوام لا أن يتمثل فقط في شهر ربيع الأول في ساعات من يوم مشهور ثم ينسى كل مظهر للاحتفال وكأن شيئا لم يكن، وكأن مسلما لم يحتفل، فمشاهد الاحتفال بالمولد المحمدي في أي بلد إسلامي لا تدل على حقيقة الحب لهذا الرسول ولا على حقيقة التمسك بهذا الدين ولا تبرهن على رغبة التغيير الصحيح ولا تؤكد على أحقية العودة لمبادئ الإسلام قصد العمل به بإخلاص.

إن انعدام الاحتفال الحقيقي يحدث ويتكرر في هذا الشهر من كل عام، النظرة للمولد النبوي لم تتغير والاحتفال به صوري يتسم بالرتابة والسذاجة واللا وعي واللا مبالاة، فلا يتحقق جديد في عالم المسلم فأمسه الماضي كيومه الحاضر كغده المقبل وهكذا مع شديد الأسف وعظيم الامتعاض لا جدية ولا جدة في محيط المسلم، فهو في دهاليز مستمر عن واقعه الأليم وفي غفلة مستديمة عن دينه المهمل.

إن الاحتفال الذي اشتهر عند الناس بالشكل المعروف يجب أن نفهم بأنه تذكير بهذا اليوم، وتدليل على ضرورة القيام بالاحتفال الحقيقي الذي يدوم في حياة المسلم، فكل آونة تمضي على المسلم خلال حياته الدنيوية يجب أن يطيع الله فيها، ويجب ألا ينسى فيها هدف الرسول العظيم بالاقتداء والاهتداء بتعاليمه ويجب أن يحمد الله على نعمة الإسلام قولا وعملا، فلولا رسول الله محمد ﷺ لما كان هذا الدين المهيمن، وعن طريق هذا الإسلام يكون هذا المسلم الرابح لا الخاسر :

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (سورة آل عمران آية : 85).

إن واقعة المولد النبوي تحث كل مسلم ليكون ذا شخصية قوية الإرادة واعية لأدوارها في الحياة، ولابد لهذا الوعي من أن يتحقق بالإيمان القوي، بالتكوين المتين، بالعلم الصحيح، بالسلاح الفكري، فبهذه الشروط الأربعة الإيجابية تتكون شخصية المسلم الرائد الذي يستطيع الصمود في وجه التحديات الخطيرة التي تعترض دينه وتوجه عن قصد له.

وما أحوج الإسلام في هذه الحقبة التي [illegible] المسلم الذي لا يصنع من عدم الحضارة الغربية المتخمة [illegible] المسلم [illegible] الصامد لكل ناطق بالمحاباة لكل جاهلية، المؤكد لأعداء الإسلام بشخصيته الفذة، الحركية الجاهدة، المجاهدة بأنه هو الإنسان المعروض الوجود في عصر المتناقضات الغريبة، والاعتقادات الفاسدة، والمعارف المتنوعة والعلوم المختلفة التي تهدم أكثر مما تبني، وتضل أكثر مما تهدي، وتجهل أكثر مما تعلم، وتشقي أكثر مما تسعد.

3) من كتاب (حكم ابن عطاء الله) شرح أحمد زروق، ص 394 - 393.

وإذا كانت هذه هي مميزات حضارة الغرب فأكثرها باطل، وبما أن أهلها أهل الباطل ويحشرون بباطلهم ويدعون إليه بكل الوسائل فالأولى لأهل الحق أن يعتزوا بعقيدتهم ويدعوا إلى الحق، ويواجهوا جاهليات الغرب المعاصرين ودعاتها وعملائها وعبيدها بكل سلاح ممكن وبكل وسيلة ممكنة لتركيز دعائم الدين الحق في هذه الأرض يدعمهم مبدأ العقيدة الصحيحة : **﴿...لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾** (سورة الشورى، آية : 15).

فمبدأ العقيدة الصحيحة خير ضمانة لإنتاج الحضارة الصحيحة التي تستهدف خير الإنسان وإسعاد الإنسان في كل ابتكار أو إنتاج لأن شعار صانعيه إيمان بالله وطاعة لله في ظلال دينه الصحيح، وقد أفلست حضارة الغرب بسبب غياب عنصري الإيمان والطاعة مفتاحي الأمن والأمان لهذا الإنسان، ويعود إفلاس الحضارة الغربية إلى كون صانعها الإنسان لا يعرف حقيقة الإيمان بالله ولا حقيقة ما يرضيه، وأنى له ذلك، وهيهات هيهات.

☆ ☆ ☆

ان الدور المنتظر بل المفروض على إنسان الإسلام هو في إنتاج حضارة الحق القاضية على (حضارة) الباطل، ولكن كيف يمكن تحقيق هذه الحضارة الصحيحة حضارة الإسلام من جديد.

إنها لكي يتحقق ذلك لابد من تكوين المسلم المخلص المعتمد على ربه الواثق من نفسه الذي يكون الداعية للحق في ميدان الأرض، الذي يعمل المستحيل لسيادة مبدأ الحق كما يعمل أهل الباطل المستحيل لنشر مبدأ الباطل.

إن الإسلام في حاجة ملحة إلى هذا المسلم الذي يعلم ويتيقن بأن أهل الخير إن لم يمثلوا أدوار الهداة إلى الخير، وإن لم يقوموا بأدوارهم الدائمة على مسرح الحياة العالمية المنقذة للناس من شرور وأضرار الجاهلية قام أهل الشر بهذه الأدوار لملء الفراغ ولكن في مجال التضليل والإفساد حيث كل الفرص مواتية لهم وكل الإمكانيات ضرورية دونهم، وهذا خطر عظيم وشر مستطير يهدد بشقاء مستمر للإنسانية.

هذه الإنسانية التي تعاني من أخطار الصهيونية العالمية، ومن انحرافات الحضارة الحديثة، ومن التخطيطات العملية للصهيونية العالمية التي تستهدف استعباد الناس وإذلالهم وامتهانهم لكي يسود اليهود تحقيقاً وتأكيداً لفكرة وعقيدة «شعب الله المختار»[1] الذين يعبدونهم ويقدسونهم ولا يتحولون عنهما مذ عرفوا وعاشوا بين الناس.

هذه الإنسانية التي تكابد من ظلم وشر الإيديولوجيات المحرفة لمجتمعات الناس المفسدة لهم عموماً من حيث السلوكيات والعقول والتي الهدف منها عبادة المادة والنفس، الممثلة لمبادئ الجاهلية.

هذه الإنسانية المعذبة التي قاست ومازالت تعاني من الويلات والمشاكل التي لا حلول لها إلا في ظلال دين الله الحق وبواسطة انتهاج طريق الله الصحيح، المستقيم الذي لا يزيغ عنه إلا هالك ولا يحيد عنه إلا كافر بالله عبد للشيطان.

ومما يزيد الطين بلة والخطب جسامة أن المسلمين عجزوا عن مهامهم بل تقاعسوا عن واجباتهم المتعلقة بهم ونحو دينهم فانسحبوا من ميدان العمل القيادي المعترك الحياتي مما أفسح المجال لأعدائهم الذين نجحوا في تحقيق ما يريدون، وحققوا ما لم يكن على بال، ومازالوا يواصلون العمل لتحقيق ما يطمحون إليه. فهل يفيق المسلم من سباته العميق ؟ وهل يعي هذه الحقيقة المرة التي ... بها أعداؤه ؟ وهل يعطي ما يلزم ضده ؟.

وهل سيكتشف المؤامرات التي تحاك بإمعان للقضاء على دينه ؟ وما هو موقفه من دينه ؟ وما هو رد فعله على

[1] هذه التسمية جعلت اليهود يؤمنون بأنهم السادة وغيرهم العبيد، أو غيرهم الحمير وهم البشر.

عند الدولة الخبيثة (ابن غوريون) لحينئذ من اليهود سيسعون في إتمام الرسالة التي لم يكن عند الله وقت
[illegible]

﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ (سورة الصافات، آية : 180).

فيا أهل الإسلام فكروا في هذا التحدي الكبير الذي يؤدي إلى التردي الرهيب، برهنوا على إسلامكم لتنقذوا أنفسكم ويبقى وجود لكم قبل أن تندموا فلا ينفعكم ندم وتبكوا فلا يجديكم بكاء.

سؤال يحيرني ويؤلمني ويبعث مضجعي ويهز كياني، سؤال أتأسف لإلقائه لأني لن أجد الاهتمام، سؤال أعرف الجواب عليه ولا أرى صدى له، سؤال معروف المقدمة والنتيجة وهو : هل درى المسلم بأنه يعد من أهل الحق ؟ وهل يؤمن عن صدق بدين الحق ؟ وما هو قوله في حسبه القرآن الحقيقة الإيمان وقيمة الإيمان واستعلاء الإيمان ومدلول الإيمان ؟ ﴿...ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة آل عمران، آية : 139) وهل جاهد هذا المسلم في سبيل الله وأجهد نفسه لدينه وجعله إلى الحق كما يدعو أهل الباطل ويجتهد أهل الشر حتى يستحق نصر الله له ليكون من أهل الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم﴾ (سورة محمد، آية : 7). وهل وعى هذا المسلم بأنه ملزم بالاعتداد بمبدأ الحق ومكلف بالاعتزاز بعقيدة الحق بدون خجل أو احتجاب بل بفخر وصراحة

إن على هذا المسلم أن يعتز بصراحة بحقيقة انتسابه لعقيدة الحق دائماً، فهو حقيق بذلك عملياً بما أن صاحب الباطل يعتز بصراحة بحقيقة انتسابه العملي لعقيدة الباطل

إن الاعتزاز الحقيقي بالإسلام إنما يكون بواسطة التطبيق الكلي له على الصعيد الحياتي فهو التصرف الإيمائي المطلوب منه، المفروض عليه، المقبول منه إن كان يعتقد في قول ربه :

﴿...اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً...﴾ (سورة المائدة آية : 3).

إنها أسئلة كثيرة ومتنوعة إلا أن الهدف منها واحد فهي إذن سؤال واحد، ولعل الإفادة تحصل من إلقائه، والجواب في الله عظيم فهو الهادي إلى الدين الحق، وحسبنا سبحانه فهو نعم الوكيل وخير نصير لنا لما نتوجه إليه بإخلاص ونتمسك بحبله بصدق ونعتصم به بصمود.

وعود لأقول ما وجه الغرابة في الإلحاح في الدعوة إلى التمسك بدين الحق ؟ وأجيب بأنه لا غرابة ولا مغالاة فيما ندعو إليه ونلح إليه إذ كان أتباع الديانات المحرفة والوضعية يعتزون بها ويعملون بها ويتمسكون بها، فالبوذي يعتز بعقيدته فيعمل بها ويدعو إليها ويموت من أجلها، والهندوسي يعتز بعقيدته فيعمل بها ويدعو إليها ويموت من أجلها، والشيوعي يعتز بعقيدته فيعمل بها ويدعو إليها ويموت من أجلها، واليهودي يعتز بعقيدته فيعمل بها ويدعو إليها ويموت من أجلها، والمسيحي يعتز بعقيدته فيعمل بها ويدعو إليها ويموت من أجلها وكل صاحب مذهب جاهلي يسير في هذا النهج لصالح معتقده.

فماذا ينتظر المسلم، وما الذي يمنعه من العودة لدينه والعمل به، من الاعتزاز به، من الدعوة له، من الموت في سبيله ؟

فهل سيقف موقف المتفرج على أعدائه العاملين ضده ؟ أو هل سيقف موقف المشدوه المغلوب على أمره ؟ أو هل سيكتفي بالحوقلة والاسترجاع أو هل يبقى فقط بالاستكانة والاعتراف بالواقع المر ؟ أم هل يترك أعداءه يعملون بكل حرية ضد وجوده رغم أن القرآن يحتج عليه وينصحه ؟

(1) عن صحيفة (المجتمع) الكويتية، العدد 48، ص 10

﴿وقل : اعملوا فسيرى الله عملكم﴾ سورة [illegible] سورة [illegible] (10

وزعم أن القرآن يحث عليه في الدعوة لدين الحق ﴿ ادع إلى سبيل ربك ﴾ سورة النحل آية : 125)

وزعم أن القرآن يؤكد له بأن نعيش [illegible] ونموت [illegible]

﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ سورة آل عمران آية ، 102)

الرباط : محمد عجاني

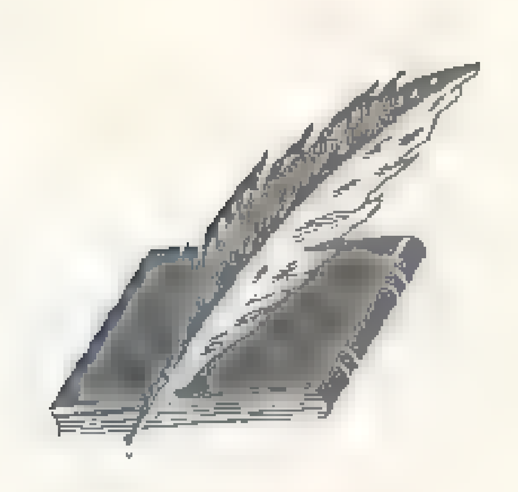

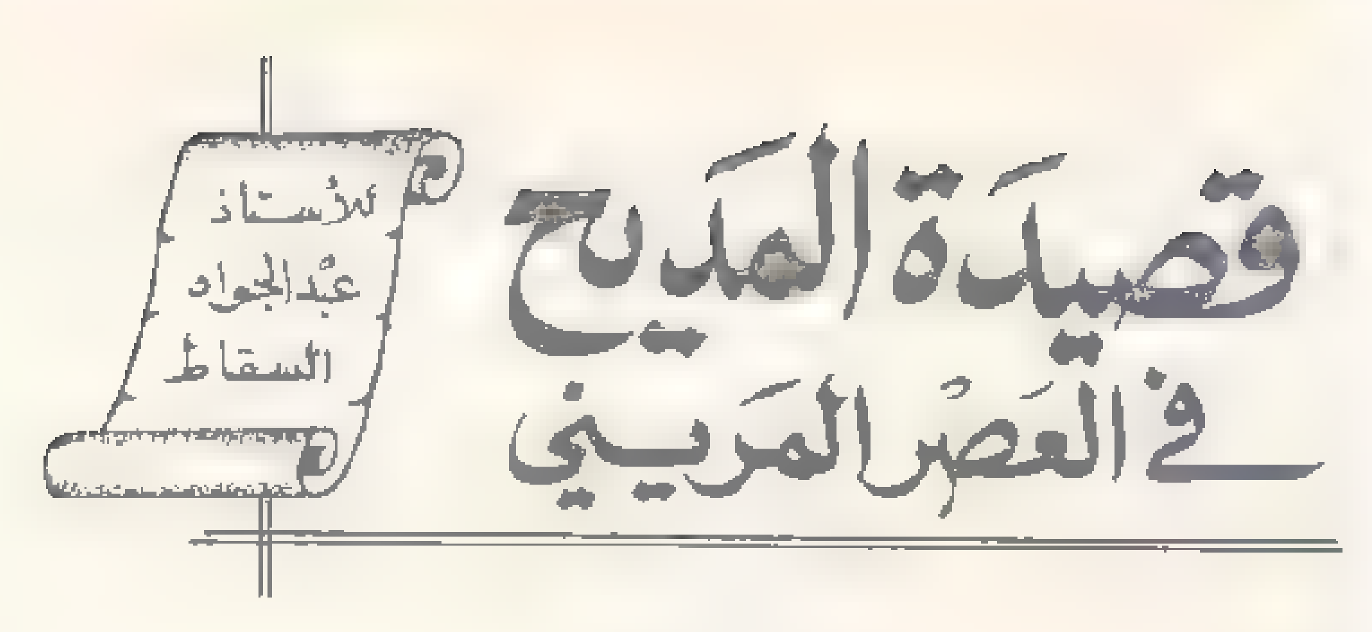

(القسم الأول)

عرف العصر المريني، كما هو معلوم، حركة ثقافية واسعة[1]، طبعت هذا العصر بسمات خاصة، وجعلت منه مرحلة متميزة من مراحل الثقافة المغربية، لاشك أنها تركت آثارا واضحة على ما تلاها من حقب ومراحل.

ولقد كان الشعر، باعتباره وجها من وجوه هذه الثقافة، ميدانا كثر رواده ومبدعوه، لم يقتصروا فيه على [illegible] بقدر ما وظفوه [illegible] [illegible] في التعبير عن [illegible] وتوابعها[2]، مما يدل على أنه كان بضاعة نافقة في سوق الإبداع بهذه المرحلة، خاصة وأن هناك عوامل كثيرة ساهمت في هذا النفاق، وأبرزها مساهمة رجال البيت الحاكم في هذا المجال من جهة، وكذلك تشجيعهم لرجاله وذويه من جهة أخرى. ولعل هذه المساهمة، هي التي حملت أحد مؤرخيهم، وهو أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، على أن يخصص جزءا من كتابه «نثير الجمان» لمجموعة من الأشعار التي صدرت عن بعض السلاطين أو الأمراء المرينيين[3].

فلقد كانت هذه المساهمة وتلك التشجيع عاملا بارزا يضاف إلى غيره من عوامل إثراء الساحة الشعرية في العصر المريني، شجع شعراء المرحلة على التعامل مع الشعر في أغراضه المختلفة، ومن بينها موضوع المديح الذي يعد من أظهر موضوعات الشعرية المطروقة، سواء على الصعيد العربي بوجه عام، أو على الصعيد المغربي بوجه أخص.

ولعلنا إذا استقرينا قصائد هذا الموضوع في الشعر المريني، وجدناها - من حيث الممدوح - تشكل اتجاهين اثنين لكل منهما دواعيه وخصائصه، وهما: المديح النبوي من جهة، ثم المديح السياسي من جهة ثانية.

☆ ☆ ☆

1) المديح النبوي :

وهو لون من المدح ارتبط في العصر المريني [illegible]

1) انظر كتاب الحركة الفكرية بالمغرب في عهد المرينيين والوطاسيين

[illegible]

2) [illegible]
الحمد لله شكرا بأن لي البحر [illegible] ودار في [illegible] من أنثى وذكر

3) نثير الجمان ص 67 - 73

أ ـ الاحتفال بعيد المولد النبوي الذي أصبح في هذا العصر ـ وخاصة مع بني العزفي أمراء سبتة ـ مناسبة تنشد فيها قصائد المدح النبوية، أو ما يعرف بالمولديات، ويتنافس الشعراء خلالها في إظهار تعلقهم بالرسول الكريم، والدعوة إلى تخليد المناسبة بذكرى مولده الشريف كما جاء على لسان مالك بن المرحل :

نحن لـــــه أن نحيي مـــولده
ونجعـــل ذاك اليـــوم خير المـــواسم
وأن نصــل الأرحـــام فيـــه تقربــــا
ونغـــدو لـــه من مفطرين وصـــائم[4]

وبهذه المناسبة لم يكتف ابن المرحل بالدعوة إليها فقط، بل كرس لها حظا وافرا من قريحته تمخض عن «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى» و«المعشرات النبوية»، وهي كلها قصائد أبدعها الشاعر في مدح الرسول ﷺ والإشادة بسيرته وأفعاله.

ب ـ المدح النبوي عموما، دون التقيد بمناسبة المولد الشريف، وهو مسلك لا شك أن الشعراء المغربيين قد أرادوه استمرارا لما أبدعه أسلافهم في هذا المجال بدءا من القاضي عياض في العصر المرابطي وميمون بن خبازة في العصر الموحدي من شعراء المغرب، وكذلك شعراء المشرق الذين اهتموا بهذا الموضوع اهتماما معروفا.

وفي هذا العهد اتخذت الأمداح النبوية في العصر المريني مضامين متعددة يمكن تلخيصها فيما يلي :

1 ـ مدح الرسول ﷺ وتعداد مناقبه وسيرته، وفي هذا يقول مالك بن المرحل من قصيدة :

إمــــام جميـــع المسلمين محمــــد
وأكرم مبعـــــوث من الكرمــــــاء
أحــب الـــورى مــن يخــافـــون حبـــه
فيـــا حبــذا شعشـــع أدمعي بـــدمــــاء[5]

2 ـ استعراض المعجزات النبوية كما تقرأ في إحدى نبويات إبراهيم التازي :

فــالبـــدر شـــق لـــه المـــولى، وخففـــه
بـــالمـــزن، والبكر قـــال الحمــل أعيــاني
ولضب جـــاوبـــه، والظبي خـــاطبـــه
والجـــذع حن حنين العـــاشـــق العـــاني
والشمس ردت وأشجـــار الفـــلاة أتت
تسعى وترفـــل في أثـــواب إذعـــــان
كـــذا الحصى سبحت في كفـــه علنـــا
لم يختلف فيـــه من صحـــابـــه اثنـــان[6]

فقد أشار الشاعر في هذه الأبيات إلى بعض معجزات الرسول ﷺ وهي على التوالي :

- انشقاق البدر : فقد سأله ﷺ أهل مكة آية ليصدقوه فانشق القمر حتى رأوا جبل حراء بين طرفيه[7].

- تظليل الغمامة : فقد روي أن حليمة مرضعة الرسول ﷺ رأت غمامة تظلله وهو عندها[8].

- نطق الحيوان : وقد كان ذلك في مناسبات متعددة، حيث كانت الحيوانات تنطق بين يديه ﷺ كالجمل والضب وغيرهما مما هو مثبت في كتب السيرة[9].

- حنين الجذع : فقد كان الرسول ﷺ يخطب إلى جذع كان يستند إليه، فلما اتخذ منبرا تحول عن الجذع إليه، فحن إليه الجذع حتى ضمه إليه فسكن[10].

- عودة الشمس : ففي حديث أسماء بنت عميس أن النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي كرم الله وجهه، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ أصليت يا علي ؟ قال : لا، فقال : اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس، قالت أسماء : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت، ووقفت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء في خيبر[11].

---

4) ذكريات مشاهير رجال المغرب : مالك بن المرحل عدد 8 ص 22.
5) مشاهير رجال المغرب عدد 8 ص 19
6) الوافي بالأدب العربي ج 2 ص 591
7) الشفا ج 1 ص 543
8) الشفا ج 1
9) الشفا ج 1 ص 594.
10) الشفا ج 1 ص 581
11) الشفا ج 1 ص 549

• سير الشجرة: وذلك حين سأل أحد الأعراب الرسول ﷺ أن يريه آية لتصديقه، فدعا شجرة للسلام عليه، فدعاها فأقبلت فقالت: السلام عليك يا رسول الله، ثم أمرها أن ترجع إلى منبتها فرجعت[12].

• تسبيح الحصى: فقد وقع ذلك عندما أتى مكرز العامري رسول الله ﷺ فقال: هل عندك من برهان نعرف به أنك رسول الله، فدعا بتسع حصيات فسبحن في يده فسمع نغماتها من جوفها[13].

3 - وصف النعل النبوية الشريفة كما نقرأ في شعر ابن المرحل

ومما شجاني والدواعي كثيرة
إلى الشوق أن الشوق مما أكاتمه
مثال لنعلي من أحب صنعته
فها أنا في يومي وليلي ألاثمه
أجر على رأسي ووجهي أديمه
وألثمه طورا وطورا ألازمه
صبابة مشتاق ولوعة هائم
نعم أنا مشتاق الفؤاد وهائمه
كأن مثال النعل محراب مسجد
فوجهي فيه شاخص الطرف دائمه
أمثله في رجل أكرم من مشى
فتبصره عيني وما أنا حالمه
أصك به خدي وأحني وضمه
على وجنتي خطوا هناك يلازمه
ومن لي بوقع النعل في حر وجنتي
لماش علت فوق النجوم براجمه
تفيض دموعي كلما لاح نوره
بكابد ذا البرق الذي أنت شائمه[14]

4 - التشوق إلى الديار المقدسة عامة وقبر الرسول ﷺ خاصة، كما نجد في إحدى نونيات أحمد بن محمد بن أبي الشرف الحسني حيث يقول:

حبيبي ما قصدي العقيق ولا الحمى
ولا الغور من شأني ولا مقصدي نجد
ولا لي في ليلى وسلمى لبانة
ولا لي هوى نحو سلمى ولا هند
ولكن قصدي من بيثرب لحده
فبورك ما أم الهدى ذلك اللحد[15]

وكما نجد في شعر ابن المرحل إذ يتشوق إلى هذا القبر ويبعث إليه سلامه:

أمالي إلى قبر الرسول مبلغ
سلام محب في الرسول معنّي
أماني كانت لي زيارة قبره
وأرجو [illegible] وأماني[16]

5 - التوسل به ﷺ واستسماح شفاعته يوم الحشر والجزاء، ونمثل لهذا بأبيات من قصيدة لإبراهيم التازي يقول فيها:

يا رحمة الله إني خائف وجل
يا نعمة الله إني مفلس عان
وليس لي عمل ألقى الإله به
سوى محبتك العظمى وإيماني
فكن أماني من شر الحساب ومن
[illegible]
وكن غناي الذي ما بعده غنى
وكن فكاكي من أغلال عصياني[17]

6 - مدح آل البيت النبوي والتمني بحبهم والرغبة في شفاعتهم كما جاء على لسان أبي القاسم العزفي إذ يقول:

ذرية المصطفى إني أحبكم
وحبكم واجب في الدين مفترض
حسبي شفاعتكم لا [illegible]
الا امرؤ [illegible] في قلبه مرض

(12) الشفا ج 1 ص 573
(13) الشفا ج 1 ص 586
(14) ذكريات مشاهير رجال المغرب، عدد 8 ص 20
(15) أعلام المغرب العربي ج 4 ص 38
(16) ذكريات مشاهير رجال المغرب، عدد 8 ص 18
(17) الوافي بالأدب العربي ج 4 ص 391

وحسبكم شرفـا في الدهر أنكم
خير البرية هـذا ليس يعترض

ولست أطلب من حبي لكم ثمنـا
إلا الشفـاعـة فهي السؤل والغرض[18]

وانطلاقا من هذه النصين مجتمعة، نلاحظ أن بناء قصيدة المديح النبوي في العصر المريني كان يقوم - من الناحية الهندسية - على نمط متشابه يكاد يكون النمط المتبع لدى معظم شعراء هذا الفن. ولعلنا نكتفي بالتمثيل على هذا البناء الهندسي بمولدية لشاعر أحمد بن سعيد بن القراق التجيبي، نظمها في عهد السلطان المريني أبي عنان[19]، فقد جاء في مطلعها :

بشرى الهـدى بطلوع اليمن حين بـدا
في ليلة خير مبعوث بهـا وبـدا

محمـد المصطفى [illegible]
أزرى [illegible] بنور الشمس متقـدا

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] على الآفاق نور هـدى

والملاحظ أن الشاعر لم يستهل قصيدته بالمقدمة الغزلية التي افتتح بها شعراء المديح النبوي في المشرق منذ استهل كعب بن زهير لاميته في مدح الرسول ﷺ بقوله :

بـانت سعـاد فقلبي اليوم متبـول
متيم إثرهـا لم يفـد مكبـول[20]

وإنما دخل الموضوع مباشرة أسوة بأسلافه من الشعراء المغاربة الذين لم يكونوا يتقيدون بهذه المقدمة الغزلية التقليدية من أمثال القاضي عياض الذي يشير إلى مطلع [illegible] بقوله

(18) [illegible]

(19) نص القصيدة [illegible]

(20) [illegible]

(21) القاضي عياض الأديب ص 242

هـذا الـذي وخـدت شوقـا لـه الإبـل
هـذا الحبيب الـذي مـا منـه لي بـدل[21]

وأمثال ميمون بن خبارة الذي افتتح مدحه الرسول ﷺ بقوله

حقيق علينا أن نجيب [illegible]
[illegible] في مـدح الحبيب [illegible][22]

وإذا كان التجيبي بهذا الاستهلال قد حافظ على نهج أسلافه من المغاربة، فإنه كذلك ساير معظم شعراء العصر المريني الذين التزموا النهج ذاته، من أمثال إبراهيم التازي الذي افتتح إحدى مولدياته بقوله :

روحي وراحـة روحي ثم ريحـاني
وجنتي من شرور الإنس والجـان

ومـأمني وأمـاني من مخير لظى
ذكر المهيمن في سر وإعـلان

ومـدح أحمـد أحمى العـالمين حمى
وذو المقـام الـذي مـا قـامـه ثـاني[23]

وإن كنا نجد بين الحين والحين بعض القصائد - وهي قليلة - جاءت افتتاحاتها طللية غزلية، ولكن على مستوى الرمز أكثر منها على حقيقة كواحدة [illegible] بن رضوان الخزرجي جاء في أولها :

[illegible] بـالـديـار فهـذه أعلامهـا
يهـدى إليـك مـع النسيم سلامهـا

وإذا وقفت بهـا فحي ربوعهـا
وذر المـدامع يستهل غمـامهـا

سجـود هـاتيـك النجـود وتنتمي
تلك المعالم بـالدموع سجامهـا[24]

على أن هذا النهج الشاذ قد تغير في العصر السعدي [illegible] إذ سنجد فيه أنفسنا أمام شبه التزام بالمقدمة الغزلية، وإن كنا نحسبها هي الأخرى على أنها أقرب إلى التعبير الرمزي منها إلى الغزل الحقيقي

(22) أزهار الرياض ج 2 ص 384 - 392

(23) النبوغ [illegible] بالأدب العربي ج 2 ص 593

(24) [illegible]

وبنسبته إلى دولة التجيبي، وبعد هذا المطلع، نجد الشاعر ينتقل إلى عنصر ثان هو التنويه بشهر ربيع الأول، الشهر الذي شهد ميلاد الرسول ﷺ إذ يقول:

وافى شهر ربيـــــع وكسى حلـــــلا
أنــوارهـــا أبـــدا تزهــو بــه جـــددا

وشـهر [illegible]
[illegible]

شهر عظيم كريم [illegible]
[illegible] كوكب في [illegible]
[illegible]
[illegible]

وبعد هذا يستعرض الشاعر فضائل الرسول ﷺ ومحامده، ويشيد بخصاله ومواقفه مع الإشارة إلى بعض معجزاته فيقول:

لـــولاه مـــا طلعت شمس ولا قمر
يومـــا ولا عرف [illegible] ولا عبـــدا

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

الله [illegible] ثم اصطفـــاه على
[illegible] وأرسلـــه بشرى رسول هـــدى

[illegible] ليلـــة المعراج حتى سرى
لحضرة القدس بـــالإسراء إذ صعـــدا

وشـاهد الملك في السبع الطباق بها
وعـــاد يخبر بـــالنور الـــذي شهـــدا

أعظم [illegible] من نبي [illegible] وعـــلا
على المراتب إجـــلالا بهـــا [illegible]

جلت معـــاليـــه أن تحصى مفـــاخره
إذ كـــان أفضل من صلى ومن سجـــدا

جـــاءت بـــه عن صحيـــح ألف معجـزة
قـد صحـح النـــاس منهـــا المتن والسنـــد

وكم لـــــــــه من براهين مبينـــــــــة
في كلهـــا أحمـــد المحمـــود قـــد حمـــدا

وبعد ذلك يتوقف الشاعر عند مناسبة المولد الشريف داعيا للاحتفال به، ومؤكدا على قيمته في حياة المسلمين إذ يقول:

يـــا من يحب رسول الـــله، مولـــده
أسنى المواسم، فـــافرح فيـــه مجتهـــدا

وكيف لا تـــؤثر الأفراح فيـــه وقـــد
هـــدى وألهمـــنا التـــوفيـــق والرشـــدا

[illegible]
إذ بـــان طـــالعـــه في أسعـــد وبـــدا

[illegible] الأسى [illegible]
ووقت [illegible] الميمـــون إذ وفـــدا

ومن هنا ينتقل الشاعر إلى مدح خليفة الوقت، في ربط وتلاحم بين الموضوعين، وهي السمة التي بدت جديدة في العصر المريني إذ لم نلحظها في الأمداح النبوية التي وضعت عن شعراء المرابطين أو الموحدين،[25] وربما نمشاها في مولديات المرينيين، وأغلب الظن أنها وليدة الظرف الذي كانت تلقى فيه هذه المولديات، فقد كان الشعراء ينشدون هذه المولديات بين يدي الخلفاء والأمراء الذين كانوا يقيمون احتفالات متنوعة بهذه المناسبة، فكان الشعراء يمزجون بين مدح الرسول ﷺ ومدح الخلفاء المحتفلين بمولده الشريف في ترابط وانسجام بين عنصرين [illegible].

وهذا الترابط والانسجام اللذان نلحظهما في قصيدة التجيبي إذ يقول:

[illegible] الأسى [illegible]
ووقت [illegible] الميمـــون إذ وفـــدا

25) انظر بحث «المديح النبوي في العصر المرابطي والموحدي».

[illegible] وولى [illegible]

وبالقيام [illegible] وجهد

و [illegible] يرجو الثواب به

[illegible]

زين الملوك أمير المسلمين أبو

سعيد بن مليك [illegible] في الشهد

[illegible] أنعمه فيه وألبسه

[illegible] الذي لا يمضي برد

بشراه قد ظهرت [illegible]

من قبره عظم [illegible] لقد [illegible]

[illegible] أقام ولي [illegible]

وعاد يحو به [illegible]

[illegible] في كل عام للسرور به

عيدا وأمسى به إحسانه رغد

ومن هذه [illegible] التي ظهرت في العصر المريني قد استمرت [illegible] بعد من عصور، لأننا نصادفها في مولديات العصر السعدي كما يدل على ذلك هذا النموذج لعبد العزيز الفشتالي إذ يقول من قصيدة :

[illegible] مولدنا وبه الأيام قد عظمت

وهي الولائد عم الأم بالولد

[illegible] مهرجان تود الحور لو حضرت

[illegible] دار فيه بلا لهو وغير دد

[illegible] الله في تعظيمه [illegible]

[illegible] في سبل البر كمل [illegible]

خير إمام[26] له في كل جارحة

حبل من الود مربوط إلى الحسد[27]

ومن هذا المقطع لنمتدح بمدح خليفة الوقت، وتعداد مكارمه ومزاياه، يستعد [illegible] أبيات كثيرة من [illegible]

يواصل مدحه فيها قائلا

وصدر من حبه يلقاه منتحيا

بكل فضل وخير مثلما عهدا

عوائده [illegible] في حق النبي عدت

تبقى له [illegible] والأعياد مطردة

لكنه [illegible]

[illegible] كمال خلال المجد منتقدا

له [illegible] المولى أبو حسن

في سابع المصطفى [illegible] الذي ولد

حاز الفخار به والأجر مغتنما

[illegible] بالرحب في يوم المعاد [illegible]

أعظم به من أمير جل منصبه

[illegible] اعتز دين الله واعتضدا

[illegible] المبارك والميمون [illegible]

والمرتجى [illegible] الهامي إذا قصدا

[illegible] الجيش [illegible]

والنصر يخدمه إن راح أو [illegible]

تكفل الله بالنصر العزيز له

[illegible] الهدي والرشدا

لاحت عليه دلالات الرضى [illegible]

[illegible] في زمرة السعدا

وبالهدى فاق أبناء الملوك كما

[illegible] كرما وسؤددا [illegible]

وأمر [illegible] تنتهي مولديته هذه بالدعاء لخليفة الوقت، ممزوجا هذا الدعاء بالصلاة على صاحب الذكرى محمد ﷺ إذ يقول :

[illegible] بنصر مولانا ويعضده

حتى ينال من الآمال ما بعدا

ثم الصلاة على المبعوث سيدنا

ما ضاء بدر بأعلى الأفق حين بدا

---

26) يقصد به أحمد المنصور الذهبي

27) شعر عبد العزيز الفشتالي ص 317

وهكذا إذن يتضح البناء الذي كانت تقوم عليه قصيدة المديح النبوي في العصر المريني، وتبدو خطواته ومعالمه، وهو بناء لم يكن محصورا في هذا الإطار المضموني بحسبه وإنما كان أيضا يتكون على عناصر أخرى كثيرة من لغة وإيقاع وبلاغة وغيرها، سنعرض لها بعد قليل.

ويكفي أن نذكر في هذا المجال أن معظم شعراء المديح النبوي في هذه الفترة كانوا يركبون بحورا ذات النفس الطويل، باعتبارها أوزانا تسمح باحتواء أكبر عدد من المضامين والأفكار، وتتسع لاحتضان ما يجيش به حس الشاعر من عواطف وأحاسيس، محافظين على وحدة البيت والقافية، الشيء الذي عرف نوعا من التطور والتجديد مع العصر السعدي وما بعده على غرار مولدية للشاعر الدلائي أبي عبد الله محمد بن محمد المرابط[28] الذي نظمها على شكل رباعيات ذات وزن خفيف هو مجزوء الكامل جاء في بدايتها:

[illegible] أ[illegible]
ربيع [illegible] أحمدا
[illegible] مشعشع من هدى
ودعا إلى طرق الرشاد

☆

يمر على كل الشهور
مر الليالي والدهور
[illegible] الكون الجمهور
طربا بأنطار البلاد

☆

[illegible] من [illegible]
[illegible] وعظم [illegible]
و[illegible] ثم [illegible]
[illegible] و[illegible]

أهل السماوات العلى
[illegible] لطلعة ذي العلى
فرحا و[illegible] عند علا
من [illegible] يوم [illegible]
[illegible] كل الأمم
[illegible] الكون [illegible]
ولت[illegible] بـ[illegible] عن [illegible]
لا تختشي [illegible]

☆ ☆ ☆

ولعل مما يستوقف في موضوع الأمداح النبوية في العصر المريني، علاوة على ما تقدم أنها كانت تعرف ألوانا من الصنعة والتأنق بعضها يأتي واضحا سهل الإدراك منذ الوهلة الأولى، في حين يأتي بعضها الآخر مختفيا وراء مهارة الشاعر، تلك المهارة التي توفر للقصيدة ضروبا من الصنعة والزخرف تساهم في جودتها وسلاستها.

ولا أحد ينكر ما كان عليه الشاعر مالك بن المرحل من شغف بهذه الصنعة في أمداحه النبوية جعله ينساق معها سواء في «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى» أو في «المعشرات الزهدية» وهو ديوان يمكن إدراجه في الصنف الأول حيث تبرز صنعته هاته أمامنا واضحة جلية، على غرار ما نقرأ له مثلا في إحدى معشراته تلك التي رتبها على حروف المعجم، والتزم افتتاح أبياتها بحرف الروي، جاعلا إياها على شكل رباعيات ختمها بلازمة الصلاة والتسليم على سيدنا محمد ﷺ، يقول في بداية هذه القصيدة:

ألف أجل الأنبياء نبي
[illegible]
[illegible]
فضلا من الله العظيم عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

28) طبع صاحب هذا المقال ديوانه الشعري وحققه وشرحه وقدم له، ولكنه لا يزال مخطوطا لدى الباحث لم تتح له بعد فرصة النشر.
29) ديوان محمد بن محمد المرابط ص 90.

بـــاه بـــدا في أفـــق مكـــه كـــوكبـــا
ثم اعتلى فجلى سنـــــاه الغيهبـــــا

حتى أنـــار الـــدهر منـــه وأخصبـــا
إذ كـــان فيض الخير منـــه عجيبـــا

صلـــو عليـــه وسلمـــو تسليمـــا(30)

ومن خاتمتها يقول

يـــاه يحييـــه ويبقيـــه الحبـــا
رب العبـــاد مجـــربـــا ومـــوفيـــا

ومشرفـــا ومنعمـــا ومحبـــا
يـــا مصلين ورتلوا التسبيحـــا

صلوا عليه وسلموا تسليما(31)

وقد التزم ابن المرحل - إلى جانب هذا - لونا آخر من الصنعة في وسيلته الكبرى، حيث رتب قصائده على حروف المعجم كذلك، وجعل كل قصيدة على روي من هذه الحروف المعجمية، جاعلا هذا الروي هو الحرف الأول في أبيات القصيدة كلها على شاكلة قوله في إحداها

إلى المصطفى أهـــديت غرثـــائي
فيـــا طيب إهـــدائي وحسن هـــدائي

أزاهر روض تجتنى لنظـــارة
وأسلاك در تصطفى لصفـــاء

أكـــاليل من مـــدح النبي محمـــد
بهـــا حـــزت الادب كـــل بهـــاء

أصف إلى ميـــلاده غـــرواتـــه
ومـــا عـــز لي من آيـــة وإبـــاء

أردت رضى ربي بهـــا فهـــو أرتجي
وربي كريم لا يضيـــع رجـــائي(32)

أما الصنف الثاني، والذي تختفي فيه الصنعة وراء ستر المهارة والتمكن، فنمثل له بقصيدة لإبراهيم التازي

30) ذكريات مشاهير رجال المغرب، عدد 8، ص 12
31) ذكريات مشاهير رجال المغرب، عدد 8، ص 16

يقول في بدايتها :

مدحي وراحـــة روحي ثم ريحـــاني
وجنتي من شرور الإنس والجـــان

وهـــاجسي وأمـــاني من سعير لظى
ذكر المهيمن في سر وإعـــلان

ومـــدح أحمـــد أحمى العـــالمين حمى
ومن لمقـــام الـــذي من قـــدمه ثـــان

يس طـــه المعلى والشفـــاعـــة والـ
حوض الـــذي جل في إعطـــاء كيـــان

سر الـــوجـــود وأسمى المرسلين سمي
والفـــاتـــح الخـــاتم الآتي بقرآن(33)

فإذا تأملنا هذه الأبيات، لوجدناها تتوفر على ألوان من الصنعة يمكن الإشارة إلى بعضها. من ذلك مثلا تعمد الشاعر ترديد حرف أو بضعة حروف داخل الشطر الواحد ليوفر لبيته نوعا من الإيقاع الموسيقي الذي يزيد النص جمالا وتأثيرا، كأن يتردد حرف الراء والحاء في الشطر الأول من البيت الأول، وحرف النون في الشطر الثاني من البيت نفسه، وحرف الحاء في الشطر الأول من البيت الثالث، وحرف العين في الشطر الأول من البيت الخامس، وحرف المد بالألف في الشطر الثاني من البيت ذاته، ومن ذلك أيضا استعماله لبعض وجوه البديع من جناس كالذي يظهر بين كلمات «روح» و«راحة» و«ريحان»، أو بين كلمتي «أحمد» و«أحمى»، وطباق كالذي نلمسه بين كلمتي «سر» و«إعلان» أو بين كلمتي «الفاتح» و«الخاتم».

ولعله من المناسب ونحن نحاول أن نرصد المستويات البنائية الأخرى لقصيدة المديح النبوي في العصر المريني، أن نقف عند نموذج آخر من نماذج هذه

32) ذكريات مشاهير رجال المغرب، عدد 8، ص 17.
33) الوافي بالأدب العربي، ج 2، ص 591

نصه: هو مطوية الشاعر الرحالة العبدري مطلعها:

سوق إلى عرض الفلاة [illegible]

[illegible] السرى تعضد وتحط [illegible][44]

[illegible] تمثل هذه المستويات التي تكاد تكون قاسما مشتركا بين معظم قصائد هذا النوع في العمرة [illegible] البحر الكامل الذي نسجت الشعر على منواله من تلكم الأوزان الطويلة التي تستطيع أن تستوعب مضامين الشاعر في رحلاته [illegible] علاوة على رويها [illegible] المعروف بكثرة في الشعر العربي، والقافية التي [illegible] مطلقة وكأن الشاعر بها يطلق العنان لقريحته كي تنحدر في [illegible]

ومن النسيج الصوتي في هذه القصيدة تتركب من أكثر من عنصر، وتتوسل بالعديد من الأدوات التي تلتقي كلها في دائرة واحدة هي دائرة التكرار بالاصطلاح [illegible] أو دائرة التشاكل بالاصطلاح الحديث.

وأول ما يلفت انتباهنا في القصيدة من هذا التكرار / التشاكل، ما نلمسه في أبياتها العشرة الأولى من توظيف لأفعال الأمر تستهل بها هذه الأبيات [illegible] مما يضفي عليها مسحة خطابية، وكذلك ما نقف عليه فيها من جناسات متعددة [illegible] إلى التكلف والصنعة أقرب منها إلى العفوية والطبع، نقول مثلا:

أو [illegible] من [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] ولا [illegible]

[illegible] بهجة [illegible]

[illegible] في الفرقد

[illegible]

[illegible] للمستبدل لمرشد

والـ[illegible] العموم وأترك من وتى

خلف [illegible] في [illegible]...

ثم [illegible] بعد ذلك استهلال الشاعر للأبيات التسعة والعشرين الموالية [illegible] في بداية كل بيت متبوعا [illegible] الأفعال التي يقوم بها من توجه من [illegible] الحسنات والتشاكلات [illegible] والصرفية، على غرار [illegible]

حتى تحل بـ[illegible] التي

[illegible]

حتى [illegible]

إلا [illegible] طلوع [illegible] الأسعد

حتى تحل بمكة وحلالها

خير الحلال [illegible] واقصد

حتى تطوف بكعبة [illegible]

من [illegible] ولا متعبد

حتى [illegible]

فيطيب وقتك في المكان الأسعد

[illegible]

[illegible]

ويحكم [illegible] القصيدة في انتهاج هذا المسلك من التكرار والتشابه، لا على مستوى الحرف الواحد أو اللفظة الواحدة كما سبق، ولكن كذلك على مستوى الحشو بكامله [illegible] وخاصة عندما يتصل الأمر بأسلوب النداء على شاكلة [illegible] وهو يتوجه بالخطاب إلى المقام النبوي الشريف.

[illegible] أحليت ربع [illegible]

[illegible] ربع قد [illegible]

[illegible] ربع [illegible] في [illegible]

[illegible] ربع [illegible]

(44) نظر القصيدة مشكولة ومشروحة في ديوان العبدري من خلال رحلته ص 36 - 45.

يـا ربيع إن سـواك صـمدي مصرد
طول المدى فـأنـا الظميء المصدي

وقوله متوسلا إلى الرسول ﷺ مستعطفا [illegible] تشكل نصوصي سواء في صدور الأبيات أو أعجازه

يـا خير من وطئ الثرى قـدم لـه
[illegible] في مشهد

يـا خير أهل الأرض [illegible]
يـا خير [illegible] في [illegible]

يـا خير مولـود تقـدم كـونـه
يـا خير من هـو بعـد بعـث يـولـد

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

وبهذا يتضح لنا أن [illegible] القصيدة على نسج صوتي يمتاز بتعاقب الوحدات الصوتية و[illegible] المجموعات الإيقاعية، الشيء الذي يضفي على القصيدة هالة من الجمال والحسن، ويلفها بردة من الجاذبية والتأثير، وهو العنصر الذي لا شك كان شعراء المديح النبوي في العصر المريني يتفطنون إليه ويسعون إلى توفره وحضوره، ومن ثم راحوا يلتمسون هذه الألوان من الصنعة والتنميق، ويتصيدون ضروبا شتى من التأنق والزخرفة.

[illegible] في سوق [illegible] العصر المريني [illegible]

35) انظر في الموضوع مقال [illegible]
36) مجموع غير مرقم مخطوط بخزانة ابن يوسف بمراكش رقم 359

مسبوقة بحلقة مثلها عند العصر المرابطي، وخاصة عند القاضي عياض في بعض نبوياته(37) كما تليت بحلقات أخرى مماثلة في العصور الموالية، وخاصة عند بعض الشعراء المتصوفة الذين أصبحوا يتخذون من التكرار في الصناعة الشعرية ضربا من الانسجام مع التيار الصوفي والطقوس التي أصبحت تتميز به من تكرار في الأوراد والأذكار، وما يسمو في فلكها، على نحو ما نقرأ من شعر الحسن بن مسعود اليوسي في عصر المولى إسماعيل على سبيل المثال:

يـا رسول الإلـه [illegible]
[illegible]

يـا رسول الإلـه في كـل حين
لـك مني تحيـة وسـلام

يـا رسول الإلـه شـوقي عظيم
[illegible] والغرام [illegible] غرم

يـا رسول الإلـه حبـك أسمى
[illegible] وفي عظامه [illegible]

ومهما يكن فإن قصيدة المديح النبوي في العصر المريني عرفت من الازدهار والخصوبة ما جعلها تتميز عن مثيلاتها في العصور السابقة وتفرض نفسها كغرض متميز له أعلامه وخصائصه، ويمتد من خلاله عبر ما أبدعه شعراء [illegible] في العصور اللاحقة، كما أنها كانت نتيجة لحركة تشجيعية قام بها السلاطين المرينيون في هذا [illegible] فقد أكد الدكتور عباس الجراري «أن السلطان المريني كان يقيم حفلا بهذه المناسبة يستدعي له رجال العلم والأدب، وأن الشعراء كانوا يلقون القصائد أمامه فيهم على المنبر الأول بمثابة دنانير وقرى ووصيفة وحلته التي تكون لابسه في هذا اليوم، ويمنح سائر الشعراء خمسين [illegible]

37) الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، ص 145

ومن دون ... ف ... ه التي ... لأدبي

المرابطين قد وجدت ... في ... الموحدين فقط

بسبب شعر ... سوى ... و ... على

على الممدوح الرسمي أو الشعبي.

أضف إلى ذلك أن قصيدة المديح النبوي في العصر المريني قد ارتبطت بمجموعة من الدوافع والعلائق التي كانت وراء انتشارها وطرقها من طرف نخبة واسعة من شعراء المرحلة. ولعل من أهم هذه الدوافع والعلائق:

- أن المديح النبوي موضوع تقليدي في المغرب بدءا من المرابطين فالموحدين، ووصولا إلى المرينيين الذين يحتمل أنهم طرقوه استمرارا لهذه التقاليد، وحفاظا على موضوع يحظى بالأسبقية نظرا لمكانة الممدوح من نفوس المغاربة، وشدة تعلقهم بصفاته ومزاياه.

- أن الثقافة المغربية في العهد المريني - كما هي في العهود المغربية الأخرى - «ثقافة فقهية دينية، ترتكز - إلى جانب العلوم اللغوية والنحوية - على العلوم الدينية من فقه وأصول، وتفسير وحديث وسيرة، إذ كان المغاربة يتصلون بهذه العلوم شرحا وتحليلا، ويقضون فيها درسا وتأليفا، بل قد يتطرقون نظمها»[34] ومن ثم كثر اهتمام المرينيين مع المديح النبوي باعتباره وجها من وجوه هذه الثقافة الدينية التي كانت غالبة في هذا العصر.

- أن المرحلة المرينية عرفت موجة من الصراعات ... ه ... ي ... التي هيأ المناخ لتراكم الأمداح النبوية باعتبارها ترمز إلى الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي من جهة، كما أنها ترمز من جهة أخرى إلى بث روح الحماس والصمود في النفوس اقتداء بأسوة حامل رسالة الإسلام سيدنا محمد ﷺ وجهوده الذين كان سلاحهم الصبر والإيمان والتحلي بالفضيلة والأخلاق النبيلة.

- أن المرحلة المرينية تعد انتصارا مجددا للمذهب المالكي الذي يعتبر المذهب الطبيعي للمغاربة، والذي جاء المذهب التومرتي - مع أوائل الفترة الموحدية - ليأخذ مكانه، ومن ثم يعتبر انتشار المديح النبوي وسيلة في بث روح الإسلام في بساطته وعفويته، والتركيز على شخصية الرسول ﷺ وسيرته الطاهرة كينبوع صاف لهذه البساطة وتلك العفوية.

وهكذا إذن يبدو غرض المديح النبوي في الفترة المرينية موضوعا له قيمته ووجاهته، وغرضا ... صدق ورغبة عن ... لشد ... كذلك ...

...

... ﷺ.

المرابط : عبد الجواد السقاط

---

(34) الشعر الدلائي، ص ص 61.

المصادر والمراجع

المذكورة في الهوامش

- الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه
للدكتور عباس الجراري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1399 هـ، 1979 م الجزء الأول.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،
لأحمد المقري التلمساني، طبعة اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الإمارات العربية المتحدة، في خمسة أجزاء
- أعلام المغرب العربي
لعبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، في أربعة أجزاء 1399 - 1406 هـ / 1979 - 1986 م.
- تكريم النبوة في شعر القاضي عياض «دراسة تحليلية»،
للدكتور حسن جلاب، مقال بمجلة الموقف، عدد 9، رمضان 1409 هـ، مارس 1989 م.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لأحمد بن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 م، في قسمين
- الحياة [illegible] الشعرية على عهد المرينيين والوطاسيين [illegible]
للدكتور محمد بن شقرون، مطبعة محمد الخامس، فاس، 1394 هـ، 1974 م
- ديوان العبدري من خلال رحلته
لمليكة [illegible]، بحث تقدمت به صاحبته تحت إشراف [illegible] لنيل الإجازة في الأدب عن السنة الجامعية 88 - 89، مرقون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية
- ديوان كعب بن زهير
طبعة دار الكتب المصرية
- ديوان محمد بن محمد المرابط الدلائي
مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم د 3644
- ديوان محمد بن محمد المرابط الدلائي،
تحقيق وشرح وتقديم عبد الجواد السقاط، مخطوط لدى المحقق
- ذكريات مشاهير رجال المغرب (العدد 8)
لعبد الله كنون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت
- الشعر الدلائي،
لعبد الجواد السقاط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1985 م.
- شعر عبد العزيز الفشتالي، جمع وتحقيق ودراسة.
نجاة المريني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1986 م
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى،
لعياض بن موسى اليحصبي، تحقيق محمد أمين قرة علي وآخرين، مكتبة الفارابي، دمشق
- القاضي عياض الأديب
لعبد السلام شقور، مطبعة دار أمل، طنجة، 1983 م
- مجموع
لجامع مجهول، مخطوط غير مرقم الأوراق بخزانة ابن يوسف بمراكش، رقم 359

- المديح النبوي في العصر المريني والموحدي، القاضي عياض وميمون الخطابي، دراسة لشعرهما ومقارنة بينهما
لأمينة لعقابي، بحث تقدمت به صاحبته تحت إشرافنا لنيل الإجازة في الأدب عن السنة الجامعية 88 - 89، مرقون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية.
- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، و«أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن»،
لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1396 هـ 1976 م
- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى،
لمحمد بن تاويت، دار الثقافة، الدار البيضاء، في ثلاثة أجزاء 1402 - 1404 هـ / 1982 - 1984 م.

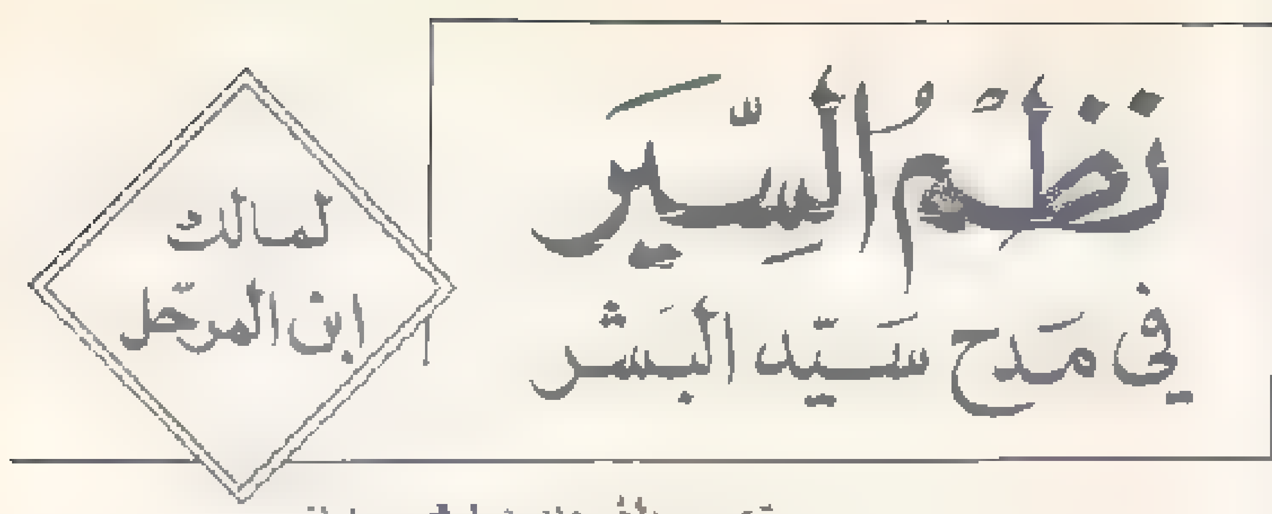

تقديم: الأستاذ بنعلي محمد بوزيان

[illegible] فرج بن الأمير أبو محمد بن المرحل [illegible] شاعر المغرب غير مدافع، وأطبع شعرائه أسلوبا وأرشقهم لفظا، وأوسعهم معنى(1)

أصله من مصمودة، ومولده في مالقة عام 604 هـ (1207م)، ومحل تحصيله وتخرجه، وحلوله وسكناه، ورحلاته وعمله بين إشبيلية وغرناطة ـ وسبتة وفاس التي توفي بها عام 699 هـ (1300م)

ترجمته في غير ما مصدر قديم مثل بغية الوعاة، [illegible] وجذوة الاقتباس، وسلوة [illegible]

وممن تحدث عنه من المعاصرين يطالعنا العلامة المحقق الأستاذ عبد الله كنون أبقى الله بركته، والعلامة الرحالة محمد بن [illegible] ومن يؤمل له ـ بحق ـ أن يحوي مجموع طائفة معتبرة من أشعاره التي عثر عليها ما عثر على غيره من الأساتذة القدماء، دون إنجاز دراسة وافية عنه تحلل شخصيته وتجربته وموقفه حيال مجتمعه وعصره.

ولا يخالف أحد أنني أكتب الآن لأحقق هذا الأمل، وأفاجئ المهتمين بالأدب والأدباء، فهذا شيء لا أشعر به ولا أثيره، إذ لا أملك له من الوسائل غير قصيدة مخطوطة عثرت عليها ضمن مجموعة صغيرة، بديعة وأنيقة رقيقة، أحيانا ما [illegible] بها في هدأة الليل، وقد [illegible] فيما وقع [illegible] يدي من مصادر ترجمته فلم أجد يذكرها أثر الأمر الذي [illegible] إلى الاعتقاد بأنها من غرره المغمورة، ونظم [illegible] إلى نشر ولئن لم أقو [illegible] قرطبه، أو ذكر حتى اسمها [illegible] تكن معروفة، فلا أظنه تجاوز الأوساط الأدبية المحصنة مما يستوجب استشارته [illegible] ترا أدبيا رائعا لأحد الملهمين، وقبل نشره أرى من اللائق والمفيد أن أعرف بالقصائد الأخرى من خلال إثبات مطالع طوالها وجمال قصارها والمقطوعات، على أن أعود ليه

(1) عبد الله كنون، النبوغ [illegible] ج 1 ص 235 (ط 3، 1975) مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت.

[illegible]

[illegible] ... وتعرف صاحبها

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] كموعي [illegible] مشورها

أنيـــــ إليهـــــ [illegible] لأنهـــــ

[illegible] بالقفر [illegible]

[illegible] ابن حيدر النمري(1)، ذات المطلع الآتي :

لا [illegible] لاه [illegible] لحب [illegible]

العقـــــل [illegible] و[illegible]

وهي أيضا في المديح النبوي، وتقع [illegible] بيتا من

[illegible]

[illegible] أخرى من الوافر، وهي له على ما يلوح،

تقع في ستة عشر بيتا ومطلعها :

[illegible] فوق [illegible] العيـــال

وحسبك [illegible] يبدي المثال

4 ـ رائية من البسيط لا تتعدى خمسة عشر بيتا،

ومطلعها كما يلي

كرر علي حديث [illegible] والبر

[illegible] الأحبـــاب عن أهل الهوى [illegible]

5 ـ [illegible] ثانية من الكامل، وهي للشيخ [illegible]

[illegible] ابن [illegible] إبراهيم القرشي يبدأ بقوله

[illegible] بهـــا [illegible] واجسر [illegible]

[illegible] الشوق [illegible] إلى خير الورى

وتتكون من واحد وثلاثين بيتا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] سوى حاد لربيع [illegible]

[illegible] النفس [illegible] الأمانيب

---

(1) [illegible] ص 335 [illegible]، وقد أورد [illegible] تحقيق الدكتور إحسان عباس [illegible] 1968.

وبعد هذا البيت الأخير :

أحمد [illegible] بالإخلاص [illegible]

وأحق [illegible] بالمدح البديع [illegible]

ورد هنا التعليق «انتهى النظم، ولا أدري هل

كمل أم لا، والحمد لله».

7 ـ رائية من الطويل، عدد أبياتها سبعة وعشرون

[illegible] للإمام القطب [illegible] أبي مدين ومطلعها

[illegible] من [illegible] مجـــده [illegible]

[illegible]

وقد [illegible]

8 ـ رائية من [illegible] مبتورة [illegible]

يبق منها غير سبعة وعشرين بيتا، وهي لعبد ربه محمد بن

محمد بن عبد العزيز بن عبد [illegible] بن أبي [illegible] كان

الله به وليا ونصيرا، ومطلعها

[illegible] أيــــ [illegible]

[illegible] قبـــل [illegible]

[illegible] كفر [illegible]

ولا [illegible]

9 ـ رائية أخرى من الطويل، مبتورة المؤخرة

كذلك، وهي للفقير إلى الله محمد [illegible] عفا الله عنه،

الموجود منها واحد وأربعون بيتا [illegible] على [illegible] النحو :

أرق [illegible] نحو العقيق [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] عن [illegible]

وبنا الربيع يبدت مرج بالحمى

وأذع بلابل لوجتي وفرسي

11 ـ ثلاث قصائد لأحمد الجكني في مدح الرسول عليه السلام.

ـ الأولى لامية مبتورة البداية، وقد بقي منها نحو من خمسين بيتا من الرمل ومطلعها هكذا :

بشر المومن بالعفو لـه

أنـذر الكافر بالخزي الطويل

ـ الثانية همزية من الوافر تتكون من واحد وعشرين بيتا ومطلعها :

مبيع القصود بلا [illegible]

[illegible]

ثالثة همزية تبلغ واحدا وخمسين بيتا من الخفيف، مطلعها

إن حب النبي حل عظامي

وسما الشوق فيه قبل الفطام

12 ـ رائية من الطويل للشاعر اليمني الأريحي اللودعي أحمد الهبة يمدح بها سيد الوجود. وقد بلغ بها مائة وخمسين بيتا افتتحها بالآتي

كتمت انسجام الدمع فاسل وانتثر

وعاد عقيقا بعدما كان كالدرر

وأبعدني مني من جوى البين والأسى

سهدت الكرى والنوم بالسهد والسهر

وقد ذيلت القصيدة بأبيات من نفس البحر والروي ارتجلها بعض الأدباء الذين حضروا مجلس الإنشاد، وهم بالتتابع الشيخ سيدي وأب بن عبد الإله ومحمد محمد البيضاوي وعبد الله بن الأديب ثم الشاعر يمدح الجماعة ببيتين

13 ـ تخميس قصيدة الإمام العلامة سيدي إبراهيم الرياحي للسيد محمد بن حمدوش المكناسي رحمهما الله ومطلعه

حدثت أحباب قلبي دمع ليأس

تذكرهم رثتي تطوير لتحسسي

عن عهم لم أزل داعيلا لتناسي

صح اركب الحزم لا تخلد إلى الياس

واصحب أخا الحزم فالجد إلى فاس

14 ـ ومن الرمل، قصيدة لامية للأديب النبيه سيدي عبد الله جنون رحمه الله تعالى، بقي منها نحو من اثنين وثلاثين بيتا مع لازمتها

صل يا رب على طه الذي

ساد كل الخلق مجدا وعلا

أما مطلعها فهو كما يلي :

مال للمعنى كلما ورد أرى لا

وبطرفي بالكرى ما كتحلا

أ[illegible] برق من العوير سرى

أم حنا الحادي وغنى رجلا

كمـ[illegible] من ف[illegible]

حنني من فرط شوقي تمسلا

☆ ☆ ☆

ونعود بعد هذه الجولة الإحصائية لقصائد مغربية وأندلسية بارعة فريدة، جئنا في مديح الجناب النبوي، إلى قصيدة مالك بن المرحل لنثبتها من غير ما تدخل فيها بتحليل أو نقد أو تعليق إلا أن نذكر أنها أيضا من المدائح النبوية وأنها تدعى «نظم السير في مدح سيد البشر» وقد قدم لها ناسخها وأظنه أبا القاسم المكيكي. بالآتي بعد البسملة والتصلية .

«من نظم شيخ الجماعة، الأديب البارع : أبي الحكم مالك بن المرحل المالقي عفا الله عنا وعنه بجاه نبيه ﷺ، وتدعى بنظم السير في مدح سيد البشر»

★ ★ ★

رأيتُ الفتى لا يملُّ الأمل   وإن عمل الخير ملَّ العمل
و...ـأس دهرا يرى مكره   ويمسح عن فكه بالأول
وهل طرر الصبح إلا طلى   وهل غرر الشهب إلا الأسل
أتحسب دنياك هادي عروس   تهادى إليك وتهدي الجذل
وأن النجوم عليها حلى   وأن الدياجي عليها حلل
وإن أطلقت شفقا حمرة   على وجنتيها احمرار الخجل
وما شفق الأفق لو أشفقت   سوى مهج سفكها لم يزل
وذات حمائم وتلك البروق   دروع تشق وقضب تسل
ذا الحسن للدهر يوما أتى   إليك وإن جد يوما فزل
تعب الرماة ولا تتقي   مطاعنه والنبال قتل
رماهم عن القوس رمي النجوم   ببيض مطابيع بها من نبل
وما حمل الرمح هذا السماك   إلا القوم عليهم حمل

☆ ☆ ☆

خليلي أين زمان الصبا ؟   وأين الغزال وأين الغزل ؟
وهل كان إلا كطيف الكرى   ألمّ، ومما خلا حتى رحل !
تذكرت أيامنا بالمروج   وقد غفل الدهر فيها غفل
وقد صرح النجم عند الغروب   لصدر لقى وعين همل
وما برحت فيه الظلال   وما مشيب فتحت الظلل
تروح بين قيان الغصو   ن معا وبين قيان الكلل
ونهصر قضب الأماني عتاقا   ونقطف زهر القبول قبل
وقد كنت أخشى الوغى خشية   على سلوتي لو أن تبتذل
وما كنت أحذر مر القنا   كما كنت أحذر مر المقل
وأين قدود لها ناعمات   إذا التويت من قدود النخل
قطعت الزمان بوصل الحسان   فليت زمانا قطعت اتصل
وقلت معذبتي في التصابي   محب تصابى عدو العذل

☆ ☆ ☆

فلما بدا الشيب تيهي   بأعراضهن على من نزل
فتاركتهن لأني أريب   خلال المودة فيهن خلل
كذاك المعشوق إذا لم تفِ   فدعها ولا تقتنع بالأقل
وصرت أعاف الصبا والمجون   ورب طباع تعاف العلل
وما زمن اللهو إلا الشباب   ولا حسن عمري إلا لشمل

[illegible] — قطو [illegible] وطور شمس
فيوم يعز، ويوم [illegible] — فكم [illegible] أعز، وكم قد أذل
وما الناس إلا كمثل النجوم — وما طلع نجم إلا أفل
[illegible] — إلى النقص يرجع مهما اكتمل
[illegible] — فحسبك من القول إن قلت حسبي !
[illegible] — وليس يعود شباب نضر
[illegible] — ولكن يجدد من ذي قبل
[illegible] — وما للصبا [illegible]

[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — وفي [illegible] لجمان الطل
[illegible] — بقدر العقول إذا لم أجهر
[illegible] — [illegible] كلام [illegible]
[illegible] — !! الصب [illegible] الحير
[illegible] — [illegible] أكثرهم [illegible] عقل
[illegible] — [illegible]

ولولا النبوة [illegible] سورة — [illegible]
و[illegible] أحمد [illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]

إلى حيث لا فلك يستدير ... إلى حيث لا ملك يستقل

ولا سبق الدلو فيه الرشا ... ولا تبع الثور فيه الحمل

ولا المشتري في دره اشترى ... ولا زحل في مداه زحل

وقبله بالسلام الجماد ... وأقبل يشكو إليه الجمل

وحن إليه غداة ارتقى ... على المنبر الجذع حتى انتقل

وصدقه الذيب لما دعاه ... وقال، تشهد ؟ قال، أجل

وأهدت إليه عجوز اليهود ... لشدة شوقها فلما قبل

نهته الذراع وقالت له ؛ ... سممت. فما ضره أن أكل

وعدله مصرة لما دعا ... ودر له الضرع لما نزل

وراع قتادة من عوره ... بأزرق رحم منه الكحل

فسالت على خده عينه ... وبكفه ردها في محل

فكانت كما ذكر الواصفون ... من أحسن عينيه لما استقل

وأعطى عليا لواء الفتوح ... وأبرأ عينيه مما تفل

وفي الغار كانت له آية ... نسيج عناكبه إذ دخل

وقد سيلت عنه تلك الفجاج ... وقد لهمت عنه تلك السبل

ومن مراقبة في إثره ... فساخ، وما في الثرى من وحل

وما أنقذته سوى دعوة ... دعاها له بعد عهد وإل

وحسبك أن له معجزات ... تزيد على الألف فيما نقل

وسنين ؟ قبل ميلاده أخبرت ... بذلك قريش وعبد الأشل

فقوم بمكة قالوا عمي ... وقوم بيثرب قالوا لعل

فمن قائل نجمه قد بدا ... ومن قائل عمره قد أظل

وقد كان في العرس من قبله ... على عهد كسرى حديث جلل

وأخبر سيف به جده ... وأكرم مثواه حتى انفصل

وكانوا إلى وجهه شيقين ... يقولون يا ليته قد أطل

فلما أتى كذبته قريش ... وآذته في نفسه فاحتمل

وجاءهم بالكتاب المبين ... فقالوا افتراه، وقالوا انتحل

فقتل فيهم يوم بدر وقد ... جزاهم بضرب الطلى والعمل

وجندل فيهم أبا جهلهم ... وعقبة والنضر أهل الجدل

ولما فتح مكة عنهم وقد ... أتاهم فتاتوا لفرط الوجل

وقالوا هبته ولو شاء لم ... يعف عنهم [illegible] ؟؟

ولكنه من من الكريم ... وأعطاهم الأمن بعد الوهل

وسل عن هوازن إذ خادعوه ... بوادي حنين وساق العمل

فجالت رجال بها جولة ... وزالت بهم أرجل عن زلل

قليلا وهبت من النصر ريح ... لسيم في حدقيهم بس
وسدى... فحط به الصابرون ... ومر الشده فعالت ثلل
قد اقتحموا عن ظهور المطي ... ي وازدحموا في صدور الأسل
وطاروا إليه بشهب الرماح ... كمثل الريح تطير الشعمن
وعاق الزحام فألقوا بها ... وسلوا السيوف، وعقوا الحبل
فكم ممتط تارك ما امتطى ... ومعتقل تارك ما اعتقل !
وجازوا إليه قليلا فلم ... يكن لهم بهم من قبل
كما صوتت أصعب أصوت ... بضبح من الأرض سرب لحجل
وأقبل جبريل في لمة ... يصك وجوههم من قبل
جنود لهم نصر ... ... فأمسى عدوهم قد خذل
فمن هارب بات يخشى ابيات ... ومن هالك ظل تحت الأظل
وخلوا ذراريهم للسبـ ... ـاك، وأموالهم للنفل
وطاف بطلقهم جيشه ... وقلبهم في الذرى قد وقل
فبدو وقد مر سيف من ... ذيولهم حيث بات الوعل
وأصبح دين الهدى ظافرا ... يثير التراب بذيل رفل
ومن بعدها أقبلوا مسلمين ... وقد أملوه فنالوا الأمل
ورد إليهم ذراريهم ... ولولا المقام رد الإبل
فعال، عطوف، رؤوف، رحيم ... كريم، إذا قال قولا فعل
سموح إذ آذ نيوا، واصل ... إذا قطعوا، محسن لا يمل
جواد، جرئ، تهون عليه ال ... ألوف إذا ما انتقى أو بذل
وليس يجادل من مبطل ... وليس يجالده من بطل
وكم من غزاة وبعث له ... أذل بها الله من قد أضل
فأما اليهود فلم تأل في ... أذاه ولا قصرت في حيل
فأنزل منهم بني قينقاع ... بقاع وكانوا بأسنى محل
وأجلاهم فجلوا مسرعين ... لأجل شغبهم المقتبل
وأما النضير فلا نظرت ... وجوههم، أهل كيد وغل
فقد سموا إلى قتله عازمين ... فعجلهم بعد طول المهل
وأنزلهم من صياصيهم ... وأزعجهم في هوان وذل
وبالقرظيين حل ابتلا ... وحق له بهم أن يحل
لأنهم ألبوا المشركين ... عليه، فشدوا إليه لرحل
وجاؤوا إلى الحرب من أجل ذلـ ... ـك، فوق الصعاب، وفوق الذلل
فعمهم الله بعد اجتماع ... وبدد جمعهم المحتفل
وجزى قريظة بالسيف لم ... يصب من رجالهم من رحل

وأخبار خيبر معصومة ... وإني خبير لهم ... [illegible]
تولاهم بالحصار الشديد ... فحدث بهم عقدة لم تحل
لقاتلهم نفر عن أسد ... لكم [illegible] ولا [illegible]
ومن بعد هذا خلا وجهه ... لمكة إذ كان فيها شغل
فطاع له الشرك طوع الشراك ... وصارت يهود به كالحول
وأنجز ربك ميعاده ... وأصبح دين الهدى قد كمل
ولم يبق في الأرض شرك بعهد ... سوى السيف، أو سنة تمتثل
وبلغ عن ربه [illegible] ... وفصل لهم [illegible] الجمل
ولم يبق للناس من حجة ... على من براهم تعالى وجل
وحيث [illegible] ربه ... بتخييره في رخيص وحل
[illegible] اختيار إلا رفيقه علا ... ولا [illegible] لا جوار فضل
فيا حسرة حسرت عن ذراع ... وصارعه الصبر حتى انجدل
ويا كربة كربت أن تذوب ... لها الراسيات بحر الغلل
ويا لوعة ولعت بالقلوب ... ولا قلب إلا بها يشتعل
ويا سيد الناس أنت الشفيع ... وأنت [illegible] إذا [illegible]
وأنت الرجاء غداة الخطوب ... وأنت الأمان غداة الوجل
فصلى عليك الإله السميع ... صلاة مضاعفة تتصل
وصلى عليك الإله الصمد ... صلاة مدى الدهر لا تنفصل
صلاة تطيب بها الذكريات ... إذ [illegible] الأصل

☆ ☆ ☆

[illegible] كانت [illegible] بين [illegible] بمناسبة ثلاثة [illegible] من [illegible] من المجموع [illegible] بالمطالع [illegible] على [illegible] إليه [illegible] من مجموع خطي [illegible] يشكل ديوان [illegible] محمد ﷺ [illegible]

فكيك: سعدي محمد بوربان

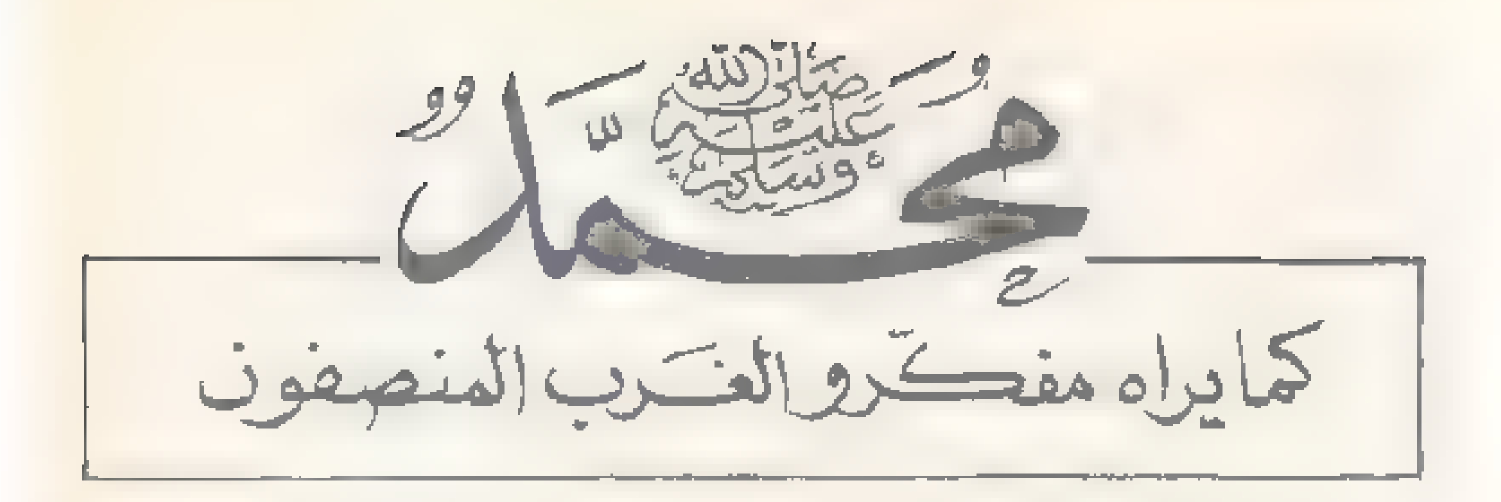

منذ البعث المحمدي والعلماء والمفكرون المنصفون في الغرب يركزون على شخصية الرسول ﷺ يحاولون تلمس نواحي العظمة فيه، والتعرف على مظاهر القوة التي حباه الله سبحانه وتعالى بها.

□ كارليل :

من هؤلاء المفكرين المنصفين الكاتب الإنجليزي كارليل، الذي أحب البطولة وقام بتتبع أصحابها في كل المجالات، ثم ألف كتابا بعنوان «الأبطال»، أفرد فيه فصلا كاملا عن رسول الإسلام، حذر فيه الناس من تصديق ما يشاع عن الإسلام من أكاذيب، وما يذاع عن نبيه من أباطيل وتعديات. وقال: لقد ظلت الرسالة التي جاء بها محمد سراجا منيرا لملايين كثيرة من الناس أربعة عشر قرنا. فهل يعقل أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها تلك الملايين وماتت أكذوبة أو خديعة ؟؟

ثم سألهم: (هل رأوا رجلا كاذبا استطاع أن يخلق دينا وأن يتعهده بالنشر على الصورة التي انتشر بها الإسلام ؟)، ثم يقول: (ما الرسالة التي أداها محمد إلا الصدق والحق، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول، وما هو إلا شهاب أضاء العالم كله، ذلك أمر الله... وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء!)

ثم يتحدث عن رسول الله ﷺ فيقول: لقد أحببت محمدا، لخلو نفسه من الرياء والنفاق، ولبراءته من التصنع والطمع وحب الدنيا، لقد كان مستعرا بنفسه العظيمة وخالق الكون والكائنات، وقد رأى سر الوجود يسطع أمام عينيه بأهواله ومحاسنه.

لقد كان صوت محمد آتيا من قلب الطبيعة الصحراوية النقية الطاهرة، ولهذا دلف من الآذان إلى القلوب، واستقرت كلماته فيها.. ولم يكن محمد متكبرا ولا ذليلا، ولم يرض بالأوضاع الكاذبة، ولم يتحرج خوف الأوهام الباطلة، ومن مكانه المتواضع وثوبه المرقع خاطب الملوك والقياصرة موجها ومنذرا ومحذرا أيضا. إنه لم يخش في الحق لومة لائم، ولم يعبأ بما عرض عليه من مال وجاه وسلطان، وعاش زاهدا متقشفا مجتهدا في الله، عاملا على نشر دينه، غير عابئ بما يلاقي من أهوال، وما يعترض سبيله من عقبات، حتى مكن الله لدين الحق في الأرض.

□ هـ. ج. ولز

□ لورد هيدلي :

ومن الذين درسوا الإسلام وأشادوا به وقالوا قولة الحق في نبيه الكريم : اللورد هيدلي، الذي كتب : (فكرت وبحثت عشرين عاماً لكي أصل إلى الحقيقة، ولابد أن [illegible] زيارتي للشرق المسلم ملأتني احتراماً للدين المحمدي السلس، الذي يجعل المرء يعبد ربه طوال مدة الحياة لا في أيام الأحد فقط، وإني أشكر الله أن هداني للإسلام الذي أصبح حقيقة راسخة في فؤادي، وجعلني ألمس سعادة وطمأنينة لم ألتق بها من قبل. لقد كنت في سرداب مظلم، ثم أخرجني الإسلام إلى فسيح من الأرض، تضيئه شمس النهار فأخذت أستنشق هواء البحر النقي الخالص).

ويتحدث لورد هيدلي عن شخصية محمد بن عبد الله باعتباره المثل الأعلى فيقول : (إن للنبي العربي أخلاقاً قوية متينة، وشخصية ورزت ومحصت واختبرت في كل خطوة من خطى حياته، ولا نقص فيها على الإطلاق، وبما [illegible] في الحياة [illegible] شخصية محمد [illegible] فهي مرآة تعكس عينيها التعقل الراقي، والسخاء والكرم [illegible] الإقدام والصبر والحلم، والوداعة والعفو والتواضع [illegible] الجوهرية التي تكون الإنسانية في أسمى صورها [illegible] لنرى ذلك في شخصيته بألوان وضاءة).

□ ما يكل هارت :

ومنهم ما يكل هارت عالم الفضاء الشهير الذي أغرم بالعظمة في الرجال، وتتبع الخالدين منهم، وقد ألف كتاب بعنوان «الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله»، وما يكل [illegible] وكاتب وباحث أمريكي مسيحي، وقد اختار مائة شخصية من الشخصيات [illegible] أثراً بارزاً في حياة الإنسانية، واختار الرسول الأعظم محمداً ﷺ على رأس [illegible] اعتراف من الغرب ولا ريب بفضل رسول الله ﷺ، وفضل الإسلام على البشرية والحضارة، ولنسمع ما يقول ما يكل في كتابه :

(إن محمداً عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً في المجال الديني والدنيوي، فهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات، وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينياً ورغم مرور ثلاثة عشر قرناً على وفاته فإن أثره لا يزال متجدداً

وقد استطاع مع المؤمنين بدعوتهم أن يقيموا إمبراطورية واسعة ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الأطلسي، وهي أعظم إمبراطورية أقيمت في التاريخ حتى اليوم، وقد نشروا الإسلام في كل بلد فتحوها، والرسول محمد هو المسؤول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية. كما أن القرآن قد نزل عليه وحده، وفي القرآن وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم).

□ دكتور جرينيه :

ويتحدث دكتور جرينيه عن سبب إسلامه بسعادة كبيرة ثم يقول : (لقد قرأت الآيات التي ترتبط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية، وقمت بعمل دراسة عنها، ثم [illegible] بالمعلومات الطبية والصحية والطبيعية التي درستها [illegible] الجامعة فوجدت الآيات مرتبطة منطبقة عليها تمام الانطباق

ولقد أسلمت لأني تأكدت من أن محمداً ﷺ أتى بالحق الصراح من قبل أن نصل إليه في عصرنا الحديث بأكثر من ألف عام، وأكاد أجزم لو أن كل صاحب فن أو علم قارن بين ما جاء في القرآن الكريم خاصاً بفنه أو علمه وبين معلوماته الحديثة ـ كما فعلت أنا ـ لدخل في الإسلام كما دخلت إلا من كان معرضاً أو في قلبه مرض).

□ رينيه جينو :

أو عبد الواحد يحيى كما سمى نفسه بعد إسلامه، إنه يقول: (لقد أردت أن أعتصم بنص إلهي مقدس، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم أجد ـ بعد الدراسة الطويلة العميقة المفصلة ـ سوى القرآن الكريم، فهو الكتاب الوحيد الذي أقنعني، وأمن على ما جئته في عيني، ورسول الإسلام هو الرسول الذي أحببته، وسعدت بالسير تحت لوائه، وعرفتني أقواله وأفعاله بسعادة المعيشة والسكينة الروحية، ولولاه ﷺ لغرقت الإنسانية في بحار المادية والإلحاد، والانحلال الخلقي والدمار الروحي).

ثم يقول عن الثقافة الإسلامية وأثرها في الغرب: (لقد كانت الثقافة والعلوم الإسلامية منبع نور وهداية، ولولا علماء الإسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون يتخبطون في دياجير الجهل والظلام)

□ ألفونس دينيه :

وهذا الفنان المصور العالمي: ألفونس أتيين دينيه، الذي اعتنق الإسلام بعد فترة طويلة من التأمل والتفكير، وتسمى باسم نصر الدين. وكان نصر الدين [illegible] وسعا في سبيل الدفاع عنه، وتصحيح المفاهيم التي شوهها [illegible] عن حقيقة الإسلام.

وقد [illegible] في سيرته النبوية إهداء إلى أرواح الشهداء الذين استشهدوا في الحرب الكبرى. يقول ألفونس: (العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير.. وقد يكون الإنسان مسلما صحيح الإسلام وفي الوقت نفسه حر التفكير).

ويقول: (الدين الإسلامي لم يتخذ فيه الإله شكلا بشريا وما إلى ذلك من الأشكال، إن ياهو (إله اليهود) الذي يعنون به الطهارة ويجمعونه في مظاهر [illegible] وكذلك نرى الإله في نسخ الأناجيل المصورة، أما الإله في الإسلام فقد تحدث عنه القرآن، وتحدث عنه الرسول، ولم يجرؤ مصور أو نحات أن تجري به ريشته أو يمسه إزميله، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا صورة له ولا حدود ولا شبيه له أو مثيل، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)

□ تولستوي :

أما تولستوي الكاتب الروسي الكبير فقد ساءه أن يوجه أعداء الإسلام سهامهم إليه وإلى نبيه الكريم، وكتب يقول: (لا ريب أن هذا النبي من كبار المصلحين، الذين خدموا الإنسانية خدمات جليلة، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة بأكملها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السلام، وتكف عن سفك الدماء، كما يكفيه فخرا أنه فتح الطريق إلى الرقي والتقدم، وهذا عمل جليل لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلما فوق مكتسبات البشر، وبهذا فهو جدير بالتقدير والاحترام والإجلال).

□ روجيه جارودي :

وهذا روجيه جارودي، الذي من الله عليه بالإسلام بعد رحلة طويلة قضاها بين الأديان والعقائد والإيديولوجيات المختلفة وعندما عرف الإسلام وعرف حقيقته، كفر بما عداه، وصاح معلنا أنه لم يعد يستطيع الصمت، ثم قرر أن الإسلام هو الدين الحق، وأن فيه الحل الوحيد لإنقاذ البشرية، التي تحتضر في مواجهة المصير المظلم، الذي وصلتها إليه أديانها الباطلة وأيديولوجياتها الخادعة الفاشلة، ويتحدث جارودي باستفاضة عن الإسلام ومستقبل الإنسانية ويقول: (إن الحضارة الجديدة تنبع من الإسلام عقيدة ومنهج حياة)

وينتقل إلى الحديث عن سماحة الإسلام فيقول: (لقد اعترف القرآن بأهل الكتاب [illegible] أصحاب التوراة والإنجيل، وترك لهم حرية الاختيار بين ما هم عليه وبين الدخول في الإسلام، والرسول محمد ﷺ يقول: «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» فالناس يتمايزون في الإسلام بالتقوى، ويتفاضلون بالعمل الصالح، لا بالغنى والجاه والحسب والنسب.. والكل أمام الله سواء، فلا طبقية ولا أمم مختارة

أو عناصر متميزة، فالإسلام دين الإخاء والتكامل الاجتماعي والمساواة في أجمل صورها.

ولم يكن الإسلام في حاجة إلى القوة أو السلاح لكي ينتشر، لأن طبيعته وأحكامه وسماحته والقدوة الحسنة التي كانها رسوله، قد فتحت الطريق إلى قلوب الناس. ويشير جارودي إلى الحديث النبوي الشريف : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» - وهو جهاد النفس ضد أهوائها ونزواتها، كالظلم والطمع والأنانية والأثرة، والضعف وحب المال والتكالب عليه، ثم يقول : إن هذا الموقف النبوي «عظيم ودرس هام لأولئك الثوريين الذين يريدون تغيير كل شيء إلا أنفسهم».

ثم يستعرض جارودي عددا من الأحاديث النبوية الشريفة ويبين ما فيها من جمال وإنسانية مترفعة، ويركز جارودي على الحديث الشريف : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». والحديث الشريف : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره». والحديث الشريف : «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه». والحديث الشريف : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» ثم يقول جارودي : (هذه الأحاديث دستور عام ينبغي على المسلمين أن يلتزموا به في حياتهم، باعتبارهم أمة ذات أهداف كريمة على أسس قويمة، فهو دستور يصون حقوقهم فيما بينهم، ويرمي إلى قيم صادقة حقيقية ومحبة صادقة قوية توثق علاقة المؤمن بالمؤمن، وتجعلهم بحق كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا).

□ ريون باسورث سميث :

يقول هذا العالم وهو أستاذ بجامعة أكسفورد في محاضرة ألقاها بعنوان «محمد والمحمدية» 1879 م (لا نجد فيما كتبه المؤرخون الأولون عن محمد ورسالته أساطير ولا أوهاما ولا مستحيلات - كل شيء واضح وصريح الظهور.. وكأنه الشمس في الضحى يتبين تحت شعاعها كل شيء .. والعجيب أنه لا توجد شخصية علمية كتبت عنها طول العصور ما كتب عن محمد رسول الإسلام)

□ مرجليوث :

ويذكر مرجليوث في كتابه «محمد» المطبوع 1905م في سلسلة عظماء الأمم : (إن الذين كتبوا في سيرة محمد لا ينتهي ذكر أسمائهم، وإنهم يرون من شرف للكاتب أن ينال المجد بتبوئه مكانا بين الذين كتبوا عن سيرة هذا الرسول) وتذكر مجلة المقتبس - التي كان يصدرها محمد كرد علي منذ أكثر من ثمانين عاما - أنها أحصت ما ألف في السيرة النبوية بلغات أوروبا فبلغ ألفا وثلاثمائة كتاب : فكم تم تأليف خلال الثمانين عاما الأخيرة بمختلف [illegible]

[illegible]

يا أشرف المرسلين وخاتم النبيين، يا من عليك صلى الله والملائكة أجمعون.. كيف السبيل إلى إحصاء وجوه العظمة في شخصيتك ؟

إن لكل عظيم في هذا الدنيا وجها من أوجه العظمة يتميز به.. وأنت قد تميزت بكل وجوه العظمة .. فكنت الكمال المطلق في الحدود الإنسانية .. وكنت المصطفى والمتفوق على الجميع .. ومهما حاول ويحاول العلماء والمفكرون فلن يستطيعوا إحصاء جوانب العظمة في شخصيتك

قصائد

وعلمنا بناء المجد

أمير الشعراء
أحمد شوقي

نبي البر بينه سبيلا ... وسن خلاله وهدى الشعابا
تفرق بعد عيسى الناس فيه ... فلما جاء كان لهم متابا
وشافي النفس من نزعات شر ... كشاف من طبائعها الذئابا
وكان بيانه للهدي سبلا ... وكانت خيله للحق غابا
وعلمنا بناء المجد حتى ... أخذنا إمرة الأرض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال ... إذا الإقدام كان لهم ركابا

* * *

تجلى مولد الهادي وعمت ... بشائره البوادي والقصابا
وأسدت للبرية بنت وهب ... يداً بيضاء طوقت الرقابا
لقد وضعته وهاجاً منيراً ... كما تلد السماوات الشهابا
فقام على سماء البيت نوراً ... يضيء جبال مكة والنقابا
وضاعت يثرب الفيحاء مسكاً ... وفاح القاع أرجاء وطابا
أبا الزهراء قد جاوزت قدري ... بمدحك بيد أن لي انتسابا
فما عرف البلاغة ذو بيان ... إذا لم يتخذك له كتابا

* * *

مدحتُ المالكين فزدتُ قدرًا ... فحين مدحتُك اقتدتُ السحابا
سألتُ الله في أبناء ديني ... فإن تكن الوسيلةَ لي أجابا
وما للمسلمين سواك حصنٌ ... إذا ما الضرّ مسّهمُو ونابا
كأنّ النحسَ حين جرى عليهم ... أطار بكلّ مملكةٍ غرابا
ولو حفظوا سبيلك كان نورًا ... وكان من النحوسِ لهم حجابا

* * *

بنيتَ لهم من الأخلاق ركنًا ... فخانوا الركن فانهدم اضطرابا
وكان جنابهم فيها مهيبًا ... وللأخلاق أجدر أن تُهابا
فلولاها لساوى الليثُ ذئبًا ... وساوى الصارمُ الماضي قِرابا
فإن قُرنت مكارمها بعلمٍ ... تذلّلت العلا بهما صعابا
وفي هذا الزمان مسيحُ علمٍ ... يردّ على بني الأمم الشبابا

من الشعر الصوفي الوجداني

علامَ النّفاق ؟

للشاعر محمد بن محمد العليمي

أرى في النفاق العذاب المهين،	فلازم أخي نهج السالكين،
وصفوة أهل [illegible]	وخف ربك الحق في كل حين !
لقد عم شر دون عمر،	فقد حجبت عنه كل الظنون
معرضة أسس لبس قوم،	فآذانهم هاهنا والعيون !
وربي على كل شيء شهيد	رقيب، محيط، قوي، متين !
وإن اللطيف الخبير لقد	تبرأ من كل غدر يهون !
علام النفاق ؟! وفي عمقنا	وضوح لجوهرنا يستبين ؟!
لمرتنا رسم ذاتنا،	أمام إله به نستعين !
ومهما تكن عندنا من خفايا،	فسوف تلوح لمن يبصرون !
وأهل النفاق، وإن ربحوا	قليلاً، فهم دائماً خاسرون !
لأن النفاق ظلام مصير،	وفي بحره غرق الحاقدون !
فإن النفاق سبيل الشكوك	وفي الشك شرك فهل يتقون ؟!
علام النفاق ؟! وأحلامه	قصار، يهيم بها الغافلون ؟!

سوى [illegible] ورب الورى!

[illegible] يطمئن فؤادي دوماً

[illegible] غفور، رحيم، ودود

ووقت [illegible] وقت قصير،

ويا لك من حسد [illegible]!

وفي الشرف الكنز [illegible]

ويا لك من مغريات الغرور،

[illegible]

[illegible] — تحملت إذ [illegible] السائلون !

[illegible] — وفيه الرعاية للمخلصين !

[illegible] — وفي صيانة عن [illegible] !

[illegible] — [illegible] برحمته العالمين .

[illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible] الله في الصالحين !

فلا يقرب [illegible] — [illegible]

ولا يك [illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible]

وهم الصراحة أهل العلا — [illegible] في [illegible]

[illegible] إذ عنوا — [illegible]

[illegible] — [illegible]

[illegible] ما دونه عش ! — فلا [illegible]

[illegible] — فنعم الرجاء لدنيا ودين !

[illegible] — [illegible] من سبيل على الآخرين !

[illegible] — [illegible] وما يصف الواصفون

[illegible] — [illegible] من [illegible] المرسلين

[illegible]

وفي سر والجهر من أحتضوه [illegible] — [illegible]

ففي الحبير [illegible] ومعنى تعالى — [illegible]

[illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible]

[illegible] الفـق [illegible] — [illegible]

● ●

[illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible]

[illegible] محمد بن محمد [illegible]

ملامح من الترجمة العلمية للفقيه

محمد بن أبي بكر التطواني

1318 — 1410

1901 — 1989

للأستاذ محمد المنوني

أثارت وفاة الفقيه التطواني موجة من الأسف عند كل عالم يتمتع باحترام عارفيه ومقدري فضله، فكان المصاب به جسيما، والرزء بفقده كبيرا، وذلك ما عبرت عنه زمرة من الأساتذة والكتاب المرموقين، في ارتسامات تتابع نشرها خلال فترة الأربعين بعد وفاة الراحل الكريم.

ويحاول هذا [illegible] من الترجمة العلمية للفقيه محمد بن أبي بكر التطواني فنشير أولا إلى خبرته النادرة بالمصادر الأصيلة، ورصده لمكان الإفادة الخبيئة في تضاعيفها، ميزة بارزة اكتسبها من ثقافته التاريخية والحديثية، بالإضافة إلى مشاركته في جملة من المواد العربية، فضلا عن عكوفه على مطالعة [illegible] لكل كتاب [illegible] أكثر ما وقف عليه من المؤلفات، ومن عادته أن لا [illegible] من بدايته حتى نهايته دون أن [illegible] على موضع الإفادة [illegible] وقد كانت كثرة [illegible] أكثر [illegible]

ويحاول مع هذا الاطلاع المصدري للمترجم [illegible] مغاربة ووافدين ومستشرقين، يستفيدون الإفادة والاستشارة، يصدرون عنه وقد حدد لهم الكتب أسماء ومضمونا، فضلا عن إعارة سخية عند الاقتضاء، وبهذا كانت مساعداته ثمينة لجمهرة الباحثين المغاربة وسواهم، ومن حقه عليهم أن يدينوا له بالفضل الكبير والإفادة الجمة.

☆ ☆ ☆

[illegible] أوقات الفراغ للمترجم، فكان ذلك من أسباب [illegible] المكتوبة، على أن هذا [illegible] أصدره متكملا لمتعبات البحث، وتتبع المصادر والمراجع، ويحضر [illegible] يصوغ ذلك في أسلوب يأخذ من محاسن [illegible] الحديث، إلى ما تخلله من مستطرفات ممتعة، واجتماعيات شاهدة وبين الأونة والأخرى تتناثر من قلم [illegible] السجعات بعد السجعات، إلى نكت هادفة ومرحة، وبذلك جاءت كتابات الفقيه في نمط متميز بروعته وطرافته.

1 ـ ويأتي في مقدمة أبحاثه كتابه القيم «ابن الخطيب من خلال كتبه»، وهو الذي نال بالاشتراك أول جائزة لمعهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان سنة 1948، وبذلك نشره المعهد في قطع صغير، وصدر في جزءين، الأول سنة 1954 والثاني 1959 : 143 × 150 ص، مطبعة كريماديس بتطوان.

2 ـ ومن أبحاثه الأخرى : دراسة «حول القرطاس ومؤلفه ابن أبي زرع» منشورة بمجلة «الثقافة المغربية» على امتداد ثلاثة أقسام . عدد 6 من السنة الثانية ص 163 ـ 166، مع عدد 8 من نفس السنة ص 234 ـ 239، ثم عدد 9 ـ 10 «مزدوج» من السنة الرابعة ص 480 ـ 483، سنة 1941، 1943.

3 ـ ثم دراسة عن «سفارة أبي إسحاق الشيرازي» من المقتدي العباسي إلى الملك شاه السلجوقي» من منشورات مجلة «رسالة المغرب» في ثلاثة أقسام : عدد 10 من السنة الأولى ص 6 ـ 10، مع عدد 1 من السنة الثانية ص 6 ـ 8، ثم عدد 2 من السنة ذاتها ص 27 ـ 28، سنة 1943.

4 ـ دراسة بعنوان «المدونة الشريفة وعنايتها بالقرويين» مجلة «رسالة المغرب» عدد 11 من السنة الأولى : ص 33 ـ 49، سنة 1943

5 ـ دراسة بعنوان «ذكرى الزيارة الملكية لمدينة طنجة»، مجلة رسالة المغرب» عدد 8 ـ 9 «مزدوج» السنة السابعة ص 452 ـ 462، سنة 1948

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدراسة ومثيلاتها، ليست سوى نماذج محدودة من إنتاج الفقيد، وفي هذا الصدد نحيل على مقالاته خلال العشرينيات في جريدة «الشهاب»، كما نشير إلى ما قيمته يراعته في مناسبات عيد العرش خلال الأربعينيات، حيث كانت موضع تقدير رسمي، ونال بها ـ بالتتابع ـ ثلاث جوائز ملكية أعوام 46، 47، 1948، ومن حسن حظي أن كنت زميله في هذه الجوائز، ومعه ـ في الروائع ـ نخبة من جلة أدباء المغرب المرموقين.

وفي اتجاه وفائه للعلماء كتب ـ في نفس الفترة ـ مقالات رثى بها ثلاثة من جلة العلماء : المؤرخ ابن زيدان، والقاضيين : محمد بن أحمد العلوي، ومحمد بن عبد السلام السائح، والأخيرتان من منشورات جريدة «العلم».

وللفقيد خدمات علمية من طراز آخر، فكانت له اليد البيضاء في الحصول على نوادر المخطوطات والأصيل من المطبوعات، يقتنيها من المغرب، ويسافر ـ في سبيلها ـ إلى المشرق، ثم يعمل بيع الكثير منها إلى الخزانة العامة بالرباط، وبذلك قرن اسمه في دفاتر مشتريات هذه المؤسسة، يطفو على أسماء المتعاملين معها.

وبما تجاورنا خزانة الرباط، فإن الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، لن تنسى المساعدات الثمينة التي كان الفقيد يقدمها لها، مما هي جديرة به كمؤسسة فريدة في نوعها عبر العالم العربي من المحيط إلى الخليج.

☆ ☆ ☆

ولمكانة الفقيد العلمية كان من الذين كتبت ترجمتهم في حياتهم، فبترجمه الأستاذ عبد الله الجراري في «التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين» ص 104 ـ 105 ثم كانت حياته موضوع بحث الإجازة من عمل ابنة المرحوم العلامة السيدة أسماء، وقبل هذين المصدرين ترجمه الشيخ منير الدمشقي، في كتابه «نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية»، وقد نوه به ـ ص 104 ـ ضمن القسم الذي عرض به زمرة من عيون الكتبيين المعاصرين على امتداد البلاد الإسلامية، فيأتي ذكر الفقيد هكذا : «ومنهم الفقيه السيد محمد بن أبي بكر التطواني السلاوي، ولد أواخر سنة 1318 بسلا، ورحل لطلب العلم إلى فاس سنة 1339، وأخذ عن الشيخ عبد الحي الكتاني، وعبد الله الفضيلي وأحمد بن المأمون البلغيثي، وعبد السلام بن عمر العلوي والسيد الإمام محمد بن جعفر الكتاني والراضي الحنش وابن القرشي، وعبد العزيز بناني

وشعيب الدكالي، وغيرهم، وأكثر من ملازمة الشيخ عبد الحي الكتاني، وانتفع به في معرفة الكتب والأجزاء، ومن ثم اشتغل بالبحث والتنقيب عن الكتب الغريبة والمخطوطات النفيسة، وصار مشتغلا بالتجارة فيها مع عدم انقطاعه عن الطلب. اهـ انتهى كلام الشيخ [illegible]

وأضيف له فقرة للمترجم مجمل فيها شيوخه ـ فلا [illegible] في صحيح الإمام البخاري [illegible] «وأرويه ـ ما بين سماع وقراءة [illegible] عن شيخنا الإمام الزاهد القدوة سيدي أحمد ابن الفقيه الجرايري السلاوي، لم يفتني منه ولو مجلسا.

وأرويه ـ قراءة ـ على شيخنا أوحد المسندين المحدث المؤلف الراوية: سيدي عبد الحي بن الشيخ عبد الكبير الكتاني: قرأته إلى كتاب «الصلاة»، وإجازة لباقيه.

وأرويه عن شيخنا الإمام العلامة سيدي أحمد بن المأمون [illegible] قراءة لمواضع منه.

وعن شيخنا سيدي عبد العزيز بناني كذلك.

وعن شيخنا ووالدنا سيدي أبي بكر التطواني كذلك.

وعن شيخنا الخطيب سيدي علي عواد كذلك

* * *

وإلى الدراسة أحرز المترجم على عدة إجازات، وكان أولها من جهة الشيخ عمر حمدان المحرسي التونسي الأصل، والمجاور بالمدينة المنورة، وقد وفد على فاس يوم 13 ربيع الثاني عام 1340، واستمر بها نحو ستة أشهر في ضيافة الشيخ عبد الحي الكتاني، وبذلك اتصل به المترجم، وسمع عليه [illegible] ثم كتب له إجازة مطولة بتاريخ 25 رجب 134[illegible]

وبتاريخ 19 شوال 1344، كتب له الشيخ الكتاني إجازة عامة، وهي التي ذكر مضمونها [illegible] كتابه «فهرس الفهارس»

* * *

وبعد: فقد سبقني للحديث عن الفقيد عزيز ثلة من الأساتذة والكتاب، فنوهوا بأخلاقه في مجالسه وفي تعامله مع أصدقائه ومع العموم، فضلا عن سلوكه الإسلامي وكفاحه الوطني

رحم الله ـ سبحانه ـ الفقيه التطواني، وأسكنه في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وألحقنا به مسلمين مؤمنين

وجعل من ذريته ـ سادة وسادات ـ خير خلف لخير سلف

الرباط: محمد المنوني

حرب أفغانستان

وتأثيرها على الشعوب الإسلامية وعلى شعوب أوربا الشرقية

للأستاذ عبد القادر القادري

يخطئ من يعتقد أن حرب أفغانستان هي حرب محلية مثل حروب أنغولا وموزامبيق وإريتريا والسلفادور [illegible] التي لا صلة لها. أن حرب أفغانستان قد غيّرت الأوضاع في أنظمة شعوب الاتحاد السوفياتي وشعوب أوروبا الشرقية فكسرت حاجز الخوف الذي كان يسيطر على هذه الشعوب منذ عقود طويلة حيث رأت هذه الشعوب بأم أعينها كيف تمكن الشعب الأفغاني من مقاومة الغزو الروسي لبلاده زهاء تسع سنوات متتالية من 1979 - 1989 إلى أن اضطر الجيش السوفياتي إلى الخروج من أفغانستان والحال أنها بلاد فقيرة ومتخلفة ولا يتعدى سكانها 18 مليون نسمة وشتان ما بينها وبين الاتحاد السوفياتي ثاني أقوى دولة في العالم من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية. وبالرغم من كثرة الدراسات والبحوث والكتب التي صدرت في الشرق والغرب وتناولت حرب أفغانستان جملة وتفصيلا فإنها قد خلت من الجانب التأثيري الذي نحن بصدد بيانه وشرحه خدمة للتاريخ الإسلامي ومعجزة

انسحب الجيش السوفياتي من أفغانستان في فبراير من السنة الجارية بدأنا نسمع في الإذاعات المحلية والخارجية ونرى في التلفزة المغربية وللقناة الفرنسية الخامسة لأوروبا ونقرأ في الصحف الوطنية والدولية أخبارا عن تحركات [illegible] بها شعوب [illegible] في جمهوريات [illegible] وداغستان وقازاخستان وتركمنستان [illegible] وبشكريا وقفقاسيا و[illegible] والقرم مطالبة بتغيير أحوال معيشتها وتحسين أوضاعها السياسية والاجتماعية والثقافية وبدأ المجاهدون الأفغان يدخلون إلى هذه الجمهوريات الإسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي ويتصلون بشعوبها التي ترتبط بالقوم الأفغان برابطة العرق والمصاهرة، ويوزعون عليهم كتب سيد قطب والمودودي والندوي كما أن الطرق الصوفية الكبرى مثل النقشبندية والقادرية والكبروية تتصل بأتباعها في الجمهوريات المذكورة تحت جنح الظلام عبر حدود أفغانستان المتصلة بحدود الجمهوريات الآنفة الذكر مما دفع رجال الكرملين إلى إعطاء الأوامر لحراس الحدود بتشديد

الحراسة على الحدود الأفغانية التي تجاور حدود الجمهوريات الإسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي ولم يقتصر تأثير حرب أفغانستان على شعوب هذه الجمهوريات بل تعداه إلى روسيا نفسها، فالشيوعية التي طرحت نفسها جنة للعمال تعاني اليوم من الاضطرابات العمالية تطلعا إلى تحسين الأوضاع المعيشية. فالزعيم السوفياتي غورباتشوف وصف إضراب العمال في المناجم (على أنه طرح المسألة بطريقة صحيحة ترغم الحكومة على استخراج العبر الضرورية لا إدانة كل من يزعج العمال) وقامت مظاهرات في موسكو [illegible] والشيوعية التي اعتبرت الدين أفيون الشعوب بدأت الآن بعد المظاهرات تعود إلى احترام الأديان السماوية الثلاثة وتسمح بحرية فتح المساجد والكنائس والبيع كما قامت مظاهرات في 18 سبتمبر 1989 الماضي بأوكرانيا طالب فيها المتظاهرون بإعادة النظام الكنسي في البلاد ونقلت وكالة تاس السوفياتية في أواخر غشت 1989 عن خطباء بجمهورية جورجيا السوفياتية - موطن ستالين - مطالبتهم انشقاق هذه الجمهورية وبإجلاء القوات السوفياتية عنها وإحلال وحدات جورجية محلها. هذا ما حدث بالفعل في روسيا [illegible] أما ما حدث في أوروبا الشرقية فحدث عنه ولا حرج فجمهوريات البلطيق (ليتوانيا وإستونيا ولاتفيا) طالبت بالاستقلال التام غير أن الزعيم السوفياتي غورباتشوف قال إنه مع الاستقلال الاقتصادي ولا للاستقلال التام ووافق مجلس السوفييت الأعلى بموسكو على إعطاء هذه الجمهوريات استقلالا اقتصاديا ابتداء من العام المقبل 1990 وفي بولندة حققت منظمة التضامن La solidarité ما كانت تصبو إليه من انتخابات حرة وتكوين حكومة وطنية غير شيوعية حيث نصبت هذه المنظمة يوم الثلاثاء 12 سبتمبر 1989 هذه الحكومة وعلى رأسها عضو غير شيوعي هو تاديوس مازوويكي ولم يتردد النواب الشيوعيون من التصويت عليها وبهذا تكونت بولندة أول حكومة وطنية غير شيوعية بعد أربعين عاما من الحكم الشيوعي المطلق مما دفع الرئيس الأمريكي بوش إلى التصريح بأن سيمنح بولندة مساعدة قيمتها مائة مليون دولار. وفي المجر (هنغاريا) فشل الشيوعيون في الحصول على المقاعد التي كانوا يحتكرونها في الانتخابات السابقة بعد أن سمح بالتعددية الحزبية وفي تشيكوسلوفاكيا ارتفعت الأصوات تطالب بمراجعة برنامج دوبتشيك الإصلاحي الذي سحقه وسحق أتباعه في ثلاثة أيام تدخل قوات حلف وارسو العسكري في [illegible] عام 1968 هذا التدخل الذي حمل في التاريخ المعاصر اسم ربيع براغ الدموي وكتب عنه الكثير وأخرجت أفلام عنه رأيت بعضها في الرباط. وصادقت جمهورية السلاف (السلافية) مؤخرا على مسودة دستور يعطيها حق الانفصال عن يوغسلافيا ويعطيها علما جمهوريا خاصا ونشيدا وطنيا مقتبسا أخذ عن الشاعر فرانس بريسرن الذي أيقظ المشاعر القومية في القرن التاسع عشر إبان سيطرة أسرة هابسبورغ النمساوية واعترف المسؤولون اليوغسلاف أن الاضطرابات العرقية (24 قومية في يوغسلافية) تهدد بتفكيك الاتحاد اليوغسلافي. وفي بلغاريا تحولت الحكومة البلغارية من المسلمين الأتراك وأرادت تغريبهم فلما رفضوا إرادتها بدأت تخرجهم من ديارهم لأن انتصار المجاهدين الأفغان أقلق راحتها ولا شك أن شعوب الاتحاد السوفياتي وشعوب أوروبا الشرقية كانت إلى عهد قريب لا تبدي حراكا غير أنها أثناء حرب أفغانستان وخصوصا بعد انسحاب الجيش السوفياتي من أفغانستان بدأت تتحرك وتطالب بتحسين أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى ذهب الحال بأندري ساخاروف الفيزيائي السوفياتي والحائز على جائزة نوبل للسلام حاليا في شهر غشت 1989 إلى التنبؤ بتفكيك الامبراطورية السوفياتية وإعطاء القوميات المختلفة حقها في جمهوريات مستقلة ترتبط فيما بينها باتحاد كونفدرالي يعنى بالدفاع والخارجية والنقل والاتصالات. وقد زاد الزعيم السوفياتي الأكبر ميخائيل غورباتشوف وأوزار حرب أفغانستان [illegible] لإحداث [illegible] الإصلاحية

[illegible] البيريسترويكا [illegible] مهددة لأحوال والافكار [illegible] السوفياتي في [illegible] لسنة الحالية [illegible] الأوضاع في الاتحاد السوفياتي [illegible] اذربيجان [illegible] ارمينيا - جورجيا - اكرانيا - سيبيريا [illegible] كييف [illegible] شرقية [illegible] تشكوسلوفاكيا - يوغسلافيا [illegible] ليتوانيا) ويرى المراقبون أن موسكو [illegible] الاستقلال التي انتابت بعض «الدول الشقيقة» في الكتلة الشرقية طريق الاعتدال. فهي حريصة على اسدال ستار النسيان على حقبة التدخلات [illegible] [illegible] الروابط بين أعضاء حلف [illegible] والأخيرة [illegible] [illegible] من الكرملين فقد أبدى الحزب [illegible] السوفياتي استحسانا متحمسا إزاء الخطوات [illegible] التي قامت بها القيادة الشيوعية المجرية على طريق [illegible] وعندما وصلت [illegible] إلى الحكومة البولندية حرصت موسكو على التشديد على أن بولندا تبقى من أعضاء الحلف العسكري الاشتراكي إلا أن ميخائيل غورباتشوف كان اتصل بنفسه بالسكرتير الاول لحزب العمال الموحد البولندي الشيوعي [illegible] على [illegible] وكالة الأنباء المجرية أن من دلائل التغيير في الكتلة الشرقية أنه لم يتم بحث مسألة [illegible] الألمان الشرقيين خلال الأسبوع 19 - 24 سبتمبر 1989) في موسكو، وقال غورباتشوف في الخطاب [illegible] ألقاه يوم 19 من سبتمبر 1989 في مجلس السوفيات الأعلى بموسكو أنه يجب [illegible] الحزب الشيوعي

وتقول صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية 1989/9/28 أن الحركات المطالبة بالاستقلال في [illegible] وجورجيا وأرمينيا [illegible] في مرشحي الحزب الشيوعي قد أصبحت مشاكل رئيسة لغورباتشوف والسؤال الذي يطرح [illegible] يظل غورباتشوف في السلطة بعد ولكن [illegible] مؤكدا ومازالت حرب أفغانستان تكشف كل يوم عن جانب من جوانبها [illegible] ماكسيم ليفي المتخصص في تاريخ آسيا الوسطى وشعوبها الإسلامية ومؤلف كتاب الطرق الصوفية بالاتحاد السوفياتي تحت عنوان الكوميسير والصوفي Le Commissaire et le Soufi (توفي في يوليه من العام الماضي) يرى أن سبب هذه الحرب يعود إلى خوف الكرملين من المد الإسلامي قبل شيء آخر وبالنسبة للخبيرة هيلين كاريير دانكوس Hélène Carrère d'Encausse فإنها ترى أن الغزو السوفياتي لأفغانستان لم يكن سوى إبعاد حدوده عن تهديد إسلامي جد مناضل Trop militant

ويرى روبرت ج. نيومان الأمريكي الذي قضى سنوات طويلة في العمل الأكاديمي كما عمل خبيرا للولايات المتحدة الأمريكية في أفغانستان والمملكة العربية السعودية والمملكة المغربية وهو حاليا من أبرز خبراء معهد الدراسات الاستراتيجية بواشنطن أن تخوف الاتحاد السوفياتي من وصول المد الإسلامي إلى الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى السوفياتية يشكل أحد الأسباب الجوهرية الكامنة وراء احتلال السوفييت لأفغانستان.

كل هذه الاحداث والهزات تحدث عنها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الذي خص الإذاعة والتلفزة [illegible] بحديث صحفي في إطار برنامج [illegible] وذلك قبيل الزيارة التي قام بها للمملكة الاسبانية [illegible] شتنبر العام 1989، فقد طرح عليه [illegible] [illegible] [illegible] فكان جواب [illegible]

[illegible] الشرق [illegible] أو هنغاريا [illegible] ولا عن الاتحاد السوفياتي فالسيد غورباتشوف الذي أكن له الكثير من التقدير والاحترام مع أني لا أعرفه وأرغب في لقائه لم يكن له وحي الأنبياء ولا إلهام الشعراء قبل تبنيه البيريسترويكا لقد كان له الوقت الكافي للتفكير [illegible]

والبحث عن الأصل وتوقع الأسوء ثم أنه من جيل الشباب الصاعد الذي توفر له كل الوقت لتحليل ما يحدث في بلده. وأعتقد أن المجتمع البشري مدين له بمشروع عالم جديد. ولاشك أنكم تقدرون أنه منذ قرابة قرن 70 سنة تغيرت الأشياء في جهة من العالم تمتد إلى المحيط الهادئ ونحن مدينون لغورباتشوف ولفريقه بذلك. أن السيد غورباتشوف لم يخض المعركة بمفرده فمن ورائه ولاشك عدد من المثقفين الذين يشاطرونه نفس الرأي ونفس التفكير. ومؤخرا وقبل حوالي ستة أشهر قلت لصحفي الأفريقي لبحث عمن يسعى إلى تحقيقه الرئيس غورباتشوف ثم أدركت فجأة أنه ربما يريد أن يجعل من الاتحاد السوفياتي فدرالية للدول ولا أدل على ذلك أنه قال مؤخرا خلال انعقاد مؤتمر الحزب الشيوعي في معرض حديثه عن الجمهوريات التي ترغب في الاستقلال نعم للاستقلال الاقتصادي ولا للاستقلال السياسي. والواقع أن الاستقلال الاقتصادي شيء هائل لأن كل ما هو اقتصادي له بالضرورة انعكاسات اجتماعية. فعندما سمح لها بالشيء الكثير وأتصور من الآن ـ وقد أكون مخطئا ـ العلم الروسي تتوسطه النجمة الكبرى تحيط بها مجموعة كبيرة من النجيمات والسنابل الصغرى تمثل فيدراليات يكون بإمكانها القيام بكل التجارب التي ترغب فيها على الصعيد الاقتصادي ولكنها ستظل على الصعيد العسكري أو المركزي روسية ولا أقول سوفياتية فأنا لست من خبراء شؤون الكرملين وأظن أن ما يقوم به السيد غورباتشوف حاليا هو بمثابة مباراة في الشطرنج ونعلم جميعا مدى تفوق الروسيين في هذه اللعبة.

☆ ☆ ☆

إن تلك الأحداث كانت علامة بارزة على تأثير حرب أفغانستان على شعوب الاتحاد السوفياتي وعلى شعوب أوروبا الشرقية. وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن حرب الريف التي كان يقودها المجاهد العظيم محمد بن عبد الكريم الخطابي التي انتصر في أول أمرها على إسبانيا ثم على فرنسا إلى أن غلب على أمره بعد كفاح دام زهاء خمس سنوات (1921 ـ 1926) قد أيقظت وعي الشعوب المستعمرة بالقناعة التي كانت تظن أن الرجل الأبيض L'homme blanc أي الأوروبي لا يقهر فاستعادت ثقتها بنفسها بسبب هذه الحرب حيث اعترف الجنرال الفيتنامي جياب giap أنه تعلم حرب العصابات من محمد بن عبد الكريم الخطابي وطبقها حرفيا ضد الجيوش الفرنسية والأمريكية في الفيتنام Vietnam كما اعترف الزعيم الروحي الهندي غاندي أنه كان يظن قبل حرب الريف أن الرجل الأبيض لا يقهر غير أن بطولة محمد بن عبد الكريم الخطابي ورجاله الأشاوس قضت اعتقاده باستحالة قهر الرجل الأبيض وكان الإسبان في المغرب وإسبانيا يخوفون أولادهم بذكر اسم محمد بن عبد الكريم الخطابي ولم يقتصر تأثير حرب الريف على شعوب المستعمرات فقط بل تعداها إلى إسبانيا نفسها حيث قام الجنرال الإسباني بريمو دو ريفيرا Primo de Rivera بانقلاب عسكري في برشلونة بإسبانيا في 13 سبتمبر 1923 وأقام حكما عسكريا بالاتفاق مع الملك ألفونس الثالث (1886 ـ 1939) كما أن المغاربة عند أكثر من تسمية يشاعرهم باسم عبد الكريم ولو كان نظام الحالة المدنية موجودا في تلك الفترة ورفض الفرنسيون والإسبان تسجيل أسماء المغاربة باسم عبد الكريم. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الأمة الإسلامية وأرض الإسلام تؤثران في الأحداث العالمية أيما تأثير لا سبيل إلى إنكاره وجحده منذ انعقاد الحلفاء في الحربين العالميتين من أرض الإسلام وأمة الإسلام كما استفاد منها قبل قادة عسكريون وقياصرة وأباطرة وملوك مثل جنكيز خان وتيمورلنك والإسكندر الأكبر وهانيبال القرطاجي وقياصرة روما المسيحية ونابليون بونابارت والجنرال غورينغ وبيتان وليوطي وغيرهم كثير وما زالت أرض الإسلام وأمة الإسلام تؤثران في الأحداث ولا غنى عنهما في الحرب والسلم.

واليوم والأمة الإسلامية تحتفل في مشارق الأرض ومغاربها بذكرى مولد النبي الأعظم سيدنا محمد عليه الصلاة وسلام يتحتم عليها أن تعرف قدرها وقدر رصيدها الاستراتيجية عساها أن تنصهر في بوتقة وحدة إسلامية وحدة الأجناس والألوان واللغات. إذ لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى على نحو ما وحد بينهم الإسلام في العصور الخوالي فكانوا مصابيح هدى ورسل حضارة وعوامل سلام وبعث نهضة ونبع يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

الرباط : عبد القادر القدري

للأستاذ عبد القادر زمامة

(989 ـ 1000)

989 ـ وحدثه ستة أحاديث..!

وجدت في كتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر الأندلسي المتوفى (463 هـ = 1070 م) ج 1 ص 50 «وقال أحمد بن محمد بن يزيد بن مسلمة الأنصاري المعروف بابن أبي الحناجر: كنت في جماعة من أصحاب الحديث على باب محمد بن مصعب القرقساني، وفينا رجل عرفي بصير بالأدب والشعر فخرج إلينا وقال:

خطر على بالي بيت من الشعر فمن أخبرني لمن هو حدثته، وهو:

[illegible]

تحيـــا البـلاد إذا مـــا مسهـــا المطر

فقال العرقي

ـ هو لـ[illegible] الجريري..

قال الشيخ: صدقت [illegible] ؟

قال:

ولعلم يجلو العمى عن قلب صـــاحبـــه

كمــــا يجلي ســواد الظلمــــة القمر

[illegible]

وحدثه [illegible] حديث [illegible]

990 ـ من آراء ابن بري التازي في الشعر..!

وجدت في مخطوطة ديوان أبي الحسن الهلالي الذي جمعه أبو الربيع الحوات المتوفى (1238 هـ = 1822 م).

وقال الشيخ الأديب أبو الحسن سيدي علي بن بري ـ رحمه الله ـ:

«الشعر: مطبوع ومصنوع فالمطبوع: الجيد الطبع، مقبول السمع قريب المثال بعيد المنال أنيق الديباجة، رقيق الزجاجة، يدنو من فهم سامعه، كدنوه من وهم صانعه. والمصنوع: مثقف الكعوب، معتدل الأنبوب يطرد ماء البديع على جنباته، ويجول رونق الحسن في صفحاته. كما يجول السحر في الطرف الكحيل، والأثر في السيف الصقيل» اهـ

991 ـ يا جميل..

وجدت في مجموعة شعرية مخطوطة لأديب [illegible] 586 هـ = 1190 م بها أبيات وقصائد ومقطعات جاء في آخر مقطعة منها:

[illegible]

إذا وافى [illegible] في المقبل

فعجن بالجوب نصا جميل
ليورث عن بثينة يا جميل»

992 ـ لو صحت الإجازة..!

وجدت في كتاب «تتمة المختصر» تأليف ابن الوردي (749 هـ = 1349 م) عند كلامه على وفاة أبي الوليد الباجي ج 1 ص 573

«وهو أحد أئمة المسلمين....

وكان يقول سمعت أبا ذر عبد بن أحمد الهروي يقول

ـ لو صحت الإجازة... لبطلت الرحلة . .!»

993 ـ السبكي، يترجم للمهدي،

وينقل عن المراكشي !

وجدت في كتاب «طبقات الشافعية» للسبكي، ج 6 ص 109، ط ثانية... يترجم للمهدي بن تومرت..! وينقل عن المؤرخ المغربي : عبد الواحد المراكشي.. صاحب كتاب : «المعجب».

994 ـ الرتبة...!

وجدت في كتاب «الابتهاج» لمؤلفه أبي العباس أحمد بن المأمون البلغيثي (1348 هـ = 1929) عند كلامه على الرتبة وأحكامها ج 2 ص 17 «رتب الشيء، ثبت ودام، والرتبة : [illegible] ... وهي [illegible] ... الأكل لآخر لا لسطر»

995 ـ [illegible]

وجدت في نفح الطيب ج 2 ص 677 تحقيق [illegible] عباس ، عند ذكر قطعة شعرية يمدح بها عبد البر بن فرسان، ابن غانية .

«...ومن نظمه مما نظم مخدومه ابن غانية بعمامة بيضاء... ولبس غفارة حمراء، على جبة خضراء...

(وأنهى القطعة بقوله :

فأصبحت بدر طالعا في عمامة
على شفق دان، إلى خضرة الأرض»

996 ـ ينادى عليه في الطرق...!

وجدت في كتاب «أحكام القرآن» لأبي بكر ابن العربي المعافري 543 هـ = 1148 م ص 1951 ج 4.

«وإنما أقسم الله سبحانه بالتين، ليبين فيه وجه المنة العظمى، فإنه جميل المنظر، طيب المخبر، نشر الرائحة، سهل الجني، على قدر المضغة، وقد أحسن القائل فيه :

نظر إلى التين في الغصون ضحى
ممزق الجلد مائل العنق
كأنه رب نعمة سلبت
فعاد بعد الجديد في الخلق
أصغر ما في النهود أكبره
لكن ينادى عليه في الطرق

997 ـ المحراب في المحراب...

وجدت في كتاب «أحكام القرآن» لأبي بكر ابن العربي المعافري ج 4 ص 1597

[illegible] ... المرتفع ومنه يسمى المحراب في المسجد لأنه أرفعه... أنشد فقيه المسجد الأقصى، عطاء المقدسي

جمع الشجاعة والخشوع لربه
ما أحسن المحراب في المحراب»

998 ـ «الجارية السوداء»

وجدت في ديوان الشاعر محمد العيد، محمد علي خليفة، المطبوع بالجزائر بمدينة قسنطينة 1967 م، ص 564

«وجارية سوداء غير مبالها
على البيض واستعلى عليهم وصالها
ستولت، وصدت، عنهم فتوجهوا
جواري أخرى، لا يطاق احتمالها»

يعني (القهوة) إبان الحرب، وفقدانها في الأسواق . !

999 ـ الطربوش...

وجدت في ديوان الشاعر محمد العيد محمد علي خليفة ص 559 هذا اللغز في الطربوش،

«أســـود الشعر أحمر الـــــوجنات أزهر
ذو علـــو يسبي العيـــون ويبهر
أجنبي عن العروبـــــة أمـي
عربي بـــه العروبـــة مثله
مســه فـوقـه وسـامـوه هجر
ومن الظلم أن يجــــنى ويهجره
كيف يغنى بعـــد الســواد ونلقى
وهـو يسـد وجـــده بين يحصره
وهـو عـد ويبعـه عم عنقــ
معـربـا لا من نضـار وجـوهر
فــاقيل اللغـز تعمـه لـك مني
وتــأمـل في حسـه وتفكره

1000 - وتعارضت أبناء الحرف»

وجدت في كتاب «التكملة» لأبي عبد الله ابن الأبار القضاعي (ت. 659 هـ = 1260 م) ط. القاهرة 1955 م ج 1 ص 89

عند ترجمته لأبي جعفر ابن مضاء النحوي القرطبي قاضي فاس ومراكش، على عهد الموحدين ومؤلف كتاب «الرد على النحاة»: ... أنه قال حين بلغه أن أبا الحسن ابن خروف رد عليه بتأليف سماه «تنزيه أئمة النحو عما نسب إليهم من الخطأ والسهو»:

- نحن لا نبالي بالكبش النطاح.
وتعارضنا أبناء الخرفان.....!!

فاس : عبد القادر زمامة

بحوث مغربية في الفكر الإسلامي

تأليف: د. عباس الجراري

عرض وتقديم
الأستاذ منير البصكري

صدر مؤخرا عن مطبعة دار المعارف بالرباط كتاب للدكتور عباس الجراري تحت عنوان «بحوث مغربية في الفكر الإسلامي»، ويقع هذا الكتاب في ١٩٦ صفحة من الحجم المتوسط، ويلاحظ القارئ، وهو يتتبع مختلف الموضوعات الواردة في هذا الكتاب، أن غاية المؤلف تكمن في توضيح بعض الجوانب من الفكر الإسلامي، فيما يرتبط منه بالتراث أو بنفس الواقع، وهي جوانب تكشف منظورا مغربيا، انطلاقا من عوامل التأثير [illegible] من خلال بصمات الموروث الحضاري والثقافي.

لقد أراد الدكتور عباس الجراري أن يكشف من خلال كتابه عن الهوية [illegible] والشخصية المغربية ويؤكد على [illegible] الفكر المغربي بكل مقوماته الثابتة والمتحركة، الإبداعية والمتجددة. وقد تميز الدكتور الجراري، مع قيمتين جد، بأمانة الموقف وعلمية المنهج، وعلائية [illegible]، وهو [illegible] بالدراسة والمحببين التراث الحضاري المغربي، وكذا الفكر الإسلامي، ومن ثم جاءت أحكامه موضوعية، وتنصص [illegible] في [illegible] الإسلامي [illegible] مغربية [illegible]

[illegible] طوقه التوجيه، وأن الفقه العربي الإسلامي به الكثير من الخصوصيات والقدرات على مواكبة العصر ومن ثم إيجاد الصيغة المناسبة للتزاوج بين التراث والمعاصرة.

ولا شك أن الدعوة الإسلامية تستند إلى منطلقات وتسعى إلى أهداف تجعلها تجمع بين الرسالة [illegible]، و[illegible] تنظيم كيان ينسجم مع هذه الرسالة، وهي بذلك ترتكز على فلسفة متكاملة تتميز بمبادئ [illegible]، و[illegible] وتنحصر هذه المبادئ في [illegible] التوحيد [illegible] والمساواة بين الناس جميعا ثم الشورى، أما الأداة فتتمثل في الخلافة التي أحدثت [illegible] الفرع الذي واجه المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ في وحدة وجوب تطبيق المبادئ.

لكن الجدل القائم حول الخلافة جعل الفقهاء يضعون أسئلة حول الخلافة نفسها؟ فبعضهم قال بالجواز [illegible] البعض الآخر ذلك. ومع هذا، فقد طرح الفقهاء وجوب الخلافة بقولهم «نصبة الإمام واجبة»، وقد استندوا في وجوبها إلى القرآن ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾. وقد أكد ابن حزم على ضرورة إسناد الأمر لمن ينوب عن أفراد الأمة في تدبير شؤونها. فالمسؤول في الإسلام لابد أن يكون على

[illegible] الأحكام [illegible] على تطبيقها وتنفيذها، وذلك في نطاق التعاون على البر والتقوى [illegible] (ص 15)

وبالإضافة إلى هذا كله، تحدث الكاتب عن ارتباط [illegible] بالشرعية، فهي خلافة واحدة غير متعددة [illegible] أن [illegible] مما جعل فقه السياسة [illegible] لا [illegible] الإمامة لإمامين في [illegible]

[illegible] مستكمل والمتماسك وفق النموذج الصحيح الذي عرفته الدولة الإسلامية لأول عهودها (ص 17). فالأساس الذي تقوم عليه أداة الحكم في الإسلام يتجلى في عقد يبرم بين الحاكم والمحكومين، وهذا العقد يعرف بالبيعة، وتعني : «العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره...» وعلى هذا النسق يقول الأستاذ المؤلف ـ كانت [illegible] بكر البيعة لعمر ابن الخطاب [illegible] شورى مكونة من ستة أعضاء، ومثل هذا الأسلوب [illegible] مرحلة مضبوطة في عهد معاوية حين أخذ البيعة [illegible] بعده لولي عهده يزيد، وأمر كهذا، يرى الأستاذ أن [illegible] نابعة من ثقة الأمة في الخليفة. فالبيعة إذن تتم عن رضى واختيار بين طرفين، شريطة رعاية مصالح الأمة والسهر على شؤون [illegible] والسعي إلى توفير أسباب الأمن والرخاء، وهذا يدل أيضا ـ كما يقول الأستاذ ـ على أن الأمة هي مصدر السيادة، وأن الخليفة إنما يستمد قوته من هذا المصدر، وفي نطاق هذا التلاحم بين الخليفة والأمة يكمن إدراك سر الخطاب الجمعي الذي جاءت عليه آيات [illegible] كثيرة. وإذا كان هذا الاختيار مرتبطا بالصفة الاجتماعية، فإنه يقوم على شروط لا بد من توفرها في الخليفة وهي أربعة كما حددها [illegible]، وهي : العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل (ص 21)، أما واجبات الإمام والتزاماته، وحددها العلماء ـ كما يقول المؤلف ـ في عشرة أمور وهي : حفظ الدين على الأصول وتنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وحماية البيضة والذب عن الحوزة وإقامة الحدود وتحصين الثغور وجهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة وجباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصا واجتهادا، وتقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير تقصير، واستكفاء الأمناء وتقليد النصحاء، وأن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال...» (ص 22 و23)

وهكذا إذا قام الإمام بحق الرعية وجب لهم عليه حقان [illegible] والنصرة [illegible] يخرج به عن الإمامة [illegible] الجرح في عدالته والنقص في بدنه [illegible] يؤدي الإمام واجباته كاملة، حدد له الشرع حقوقا تتلخص في السمع والطاعة والامتثال، ومن هنا [illegible] الله تعالى البيعة مكانة خاصة ومرموقة في قوله عز وجل : ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾. ويضيف الأستاذ أن [illegible] الطاعة هي التي جعلت النبي عليه السلام يربطها بالاستطاعة وما تطيقه الأمة. وهذه الإرعية تعني وضوح الرؤية إلى جانب وضوح المبادئ والأهداف. [illegible] الموقف ينطلق من الحرص على الوحدة والجماعة، وهذه الوحدة قائمة على أساس ثابت وصحيح. وهو الوضع الذي عرفه المغرب، وميزه عن باقي الأقطار العربية الأخرى، فالمتتبع لتاريخ الإسلامي في المغرب ينتبه إلى بعض الظواهر التي لازمت نظم الحكم فيه، على الرغم من تعدد الدول التي تعاقبت عليه (ص 28) وهنا يشير المؤلف إلى ثلاثة من تلك الظواهر وهي :

1 ـ ارتكاز النظام على الإمامة الشرعية وإمارة المؤمنين

مراعاة شروط الإمامة والعلم منها خاصة.

3 ـ اعتماد البيعة في اختيار الإمام وإسناد الأمر إليه، وتنظيم العلاقة بينه وبين الأمة على أساسها. ويمثل المؤلف لأول بيعة عقدها المغاربة للمولى إدريس إلى البيعة الأخيرة التي تمت في نطاق استكمال الوحدة الترابية، فضلا عن تجديد هذه البيعة في المناسبات، وخاصة في حفل الولاء الذي يقام في اليوم الثاني من عيد العرش. بعد هذا يتحدث الكاتب عن الكيفية التي تتم بها البيعة، «فهي تكون مكتوبة وعليها إمضاءات المبايعين ويعب وتقت بالإشهاد العدلي» (ص 30). فهي إذن ليست مجرد عقد صوري، ولكنها تثبت على نحو من الدقة مدى تحمل المسؤولية «فالتزام المغاربة بالبيعة هو التزام بشريعة، وهو هدف لا يقوم إلا إذا توفرت روابط متينة يشد عراها وعي جماعي ينطلق من قيم كامنة في العمق والإيمان، ويحث على الانضباط والانتظام في كيان له مصداقيته ومرجعيته» (ص 36).

ولم يفت الكاتب أن ينبه في نهاية هذا العرض إلى [illegible] صحيح لفلسفة الحكم في الإسلام، وإلى تحليل علمي لواقع المسلمين اليوم انطلاقا من تفكير اجتهادي حر وتوفيق عقلي بين مبادئ الشرع ومقتضيات العصر، وذلك من أجل حياة إسلامية [illegible] العدل و[illegible] وعزة [illegible]

[illegible]

أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب، وهو نص الدرس الذي ألقاه بأمر من صاحب الجلالة بين الدروس الحسنية الرمضانية سنة 1985 في الرباط، وقد انطلق فيه الكاتب من الحديث النبوي الشريف «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة». تناول الأستاذ هذا الموضوع من خلال [illegible] توضيحي، وشكل أوضح في البداية

[illegible]

التوحد الذي يترجم ميلهم إلى الاتصال والالتقاء، وإلى التجمع والانصهار والاندماج بسبب الاستقرار السياسي [illegible] في الفكر المغربي، ذلك أن المغاربة ميالون إلى [illegible] والفكري. وهذا الاختيار للمذهب المالكي ـ تقول الأستاذ ـ قد تم على مرحلتين تتمثل الأولى في اختيار [illegible] التي يمثله الثانية فتكمن في اعتناق المغاربة للإسلام عن اقتناع حيث وجدوا فيه الحل لمشكل عقدي مرض طالما عانوا منه منذ الديانات الأولى التي عرفوها في المراحل البدائية وما شاع فيها من معتقدات.

أما أسباب اختيار المذهب المالكي فيطرحها الأستاذ [illegible] أسباب وعوامل داخلية [illegible] والعوامل [illegible]

[illegible]

مالك العلمية وشهادة للمدينة المنورة ـ الأمانة العلمية التي كان عليها الإمام مالك، وهي صفة حملت علماء المغاربة فضلا عن صفتهم وما عرفوا به من تحرر وتورع ـ طبيعة المذهب الذي يعتمد على الأثر والرواية، وهو بذلك يوافق مزاج المغاربة الميال إلى اليسر والوضوح إضافة إلى ما يتسم به المذهب من اعتدال وتوسط [illegible] المذهب التي تتجلى في انسجام فقهائه مع الجماهير وتقديرهم الوطني والأمة والتضحية. تجديد المذهب باستمرار، خاصة ما يتعلق بالذرائع والمصالح المرسلة وما تعطيه من مرونة وقابلية للتكيف مع أية بيئة وفي أي عصر.

أما العوامل الخارجية، فقد حصرها الأستاذ في خمسة محاور هي:

1 ـ [illegible] المغاربة إلى الحجاز بغية أداء فريضة الحج أو طلب العلم، ولعلهم بذلك، كانوا يستحضرون الحديث النبوي الشريف «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجدون عالما أعلم من عالم

[illegible]

2 ـ تبادل الوفود والبعثات بين المراكز الثلاثة المهمة في مجال العلم والحضارة بالمغرب الإسلامي، وقد سار هذا التبادل في اتجاهين اثنين: الأول من المغرب إلى الأندلس والقيروان، والثاني من الأندلس والقيروان إلى المغرب.

3 ـ توقيت اختيار المغاربة للمذهب المالكي، إذ إنهم عرفوا ظروفا تاريخية عاش فيها المغرب مضطربا تمثل في وجود الخوارج والاعتزال ومذهب أبي حنيفة ومذهب الأوزاعي ولم يتخلص المغاربة من تعدد هذه التيارات إلا بعد مجيء المولى إدريس، إذ رحبوا به وبايعوه ولم الاختيار، ويعود سبب ذلك إلى أن المولى إدريس من آل البيت، والمغاربة معروفون بحبهم لآل البيت، فضلا عما يوجد من تعاطف بين الأدارسة والإمام مالك، وهو تعاطف يتخذ مظهرين هما :

أ ـ أن مالكا يروي في موطئه عن عبد الله الكامل والد المولى إدريس.

ب ـ أن مالكا له موقف من العباسيين. وهو موقف كان لصالح أخ المولى إدريس المعروف (بالنفس الزكية)

4 ـ تقوية المذهب في ظل المرابطين الذين اعتمدوه واتخذوه حركة تقود نضالهم نحو تحقيق الإصلاح وتصحيح وضع عقدي.

5 ـ استمرارية مساندة الدولة المغربية للمذهب المالكي وحمايته من الانحرافات والتيارات المتطرفة فضلا يوسف بن تاشفين على البورغواطيين، وقضاء المولى إسماعيل على العكاكزة... ولا شك أن الهدف من هذه الحماية ـ يقول الأستاذ ـ هو الحفاظ على نقاء العقيدة وصفائها وعلى وحدة المغرب وكيانه.

وفي الموضوع الثالث، تحدث الأستاذ المؤلف عن الدين في وسطيته وتجديده وسياق الشخصية المغربية، انطلاقا من قول الرسول ﷺ «لا يزال أهل المغرب ظاهرين حتى تقوم الساعة...» وهو نص المحاضرة التي شارك فيها الأستاذ في الدروس الحسنية في شهر رمضان لعام 1986. وقد تناول المؤلف موضوعه هذا من خلال محورين :

أولهما ـ عن الشخصية في سياقها مع الدين..

ثانيهما : الميل عند المغاربة إلى الوسطية والاستعداد للتجديد.

فالشخصية تعني عند الكاتب، الكيان القائم على مجموعة من العناصر المادية والمعنوية تتصل بالجسم والعقل والروح، والإرادة والشعور (ص 62) وهي أيضا كيان ذهني يرتكز على قيم ومقومات قادرة على إبراز الخصوصيات المميزة للناس عن غيرهم، وهي خصوصيات تتسم بالثبوت لارتباطها بعوامل تارة، وبالتطور والتغير لخضوعها لعناصر متحركة، إضافة إلى هذا أن الشخصية ـ كما يقول الأستاذ ـ تنبثق من مكونات تلتقي على صعيد البيئة، وتنصهر في بوتقة العوامل الفاعلة فيها تجارب وتقاليد (ص 63) ويرى الأستاذ أن هذه البيئة بعنصريها الطبيعي والبشري أفرزت أوضاعا اقتصادية وظروفا إنمائية ونظما اجتماعية. (ص 64) ثم ما لبث الكاتب بعد ذلك أن أبرز مقومات العنصر الثقافي، وهو عنصر تتعدد منابعه وتتنوع مصادره وملامحه الأصيلة القديمة والمستمرة سواء ما يتعلق بالتراث الشعبي أم المدرسي، ويضيف الأستاذ إلى هذا كله، اللغة العربية، وتأتي طليعة هذه المكونات الثقافية.

وهنا يكشف عن «هوية مغربية عربية إسلامية متماسكة لا تعرف التمزق أو التصدع منذ الفتح الإسلامي إلى المرحلة الحديثة؟؟ وعن هذه الشخصية في سياستها مع التدين، يلاحظ الأستاذ أن هذا التدين يدل على ميل فطري إلى الوحدانية. «فالإسلام احتوى الشخصية المغربية احتواء كاملا وأعاد تكوينها بالتصحيح والتقويم » ومن ثم تتحدد جملة خصائص حصرها الأستاذ المؤلف في خمس نقط هي :

1 ـ الاعتدال وعدم التطرف.

2 ـ التقرب إلى الله وخشيته والاحتراز في العمل والسلوك.

3 ـ تهذيب الغرائز وانطباع وتقويم الضمير الفردي، وتقويمه بوعي الضمير الجمعي.

4 ـ الرضى والقناعة والقدرة على تجاوز صعوبات الواقع.

5 ـ عدم الانشغال بالبحث في المشاكل حتى أخيرا تعلقه به مع الاستعداد لعالم الآخر ويوم الحساب.

فالعقيدة الإسلامية كانت دائما مرآسا للمغاربة، ودعامة سلوكهم وعلاقاتهم، ومقياسا يميزون به الفاسد من الصالح، ومن هنا عملت بمعتقداتهم على تحقيق التوازن [illegible]

أما عن ظاهرتي الوسطية والتجديد ـ باعتبارهما من أبرز نتائج التفاعل القائم بين الإسلام والشخصية المغربية ـ فتتحقق بحسب الأستاذ في عدة مظاهر ذكر منها ثلاثة وهي :

1 ـ التمسك بالاعتدال المذهبي ورفض التطرف.

2 ـ الوسطية بين العقل والنقل في مسائل العقيدة.

3 ـ التوفيق بين الشريعة والحقيقة.

[illegible] فضل الكاتب القول في هذه النقط الثلاث [illegible]

والاعتدال فأتاح لهم أن يكونوا على مر التاريخ مؤمنين محافظين على الدين مستعدين للتجديد مرة على مرة من الفترات التجديدية [illegible] يعني أنهم يسعون الحق ويتقبلون [illegible] من غير حرج ولا [illegible] ذلك مواقفهم كامنة، وقد جاء الذي [illegible] لهم للأخذ بالمذهب المالكي الذي أجمعوا عليه وتوحدوا في ظله.

☆ ☆ ☆

أما الموضوع الرابع فهو «موقف الغزالي من إشكالية التوفيق بين الحكمة والشريعة» وقد قدم الأستاذ الجراري هذا البحث في الدورة الثانية لأكاديمية المملكة المغربية سنة 1985.

اعتبر الأستاذ أن عصر الغزالي من أغنى عصور الفكر الإسلامي وأخصبها، إلى جانب ما عرفه هذا العصر [illegible] من صراع بين التيارات والمذاهب، «وهكذا ظهرت عدة إشكاليات [illegible] حول النقل والعقل، [illegible] موقف [illegible]» وتأتي إشكالية التوفيق بين العقل والنقل في طليعة ما كان يشغل فكر المسلمين في ذلك العصر، وهي [illegible] ظهرت مع بداية احتكاك الفكر الإسلامي بالفلسفة اليونانية، [illegible] أبو يوسف يعقوب الكندي، وكان أول الذين اتخذوا موقف الملاءمة بين الدين والفلسفة، إلى أن اتسع نطاق هذا البحث التوفيقي على يد جماعة من الفلاسفة أبرزهم أبو نصر محمد الفارابي وأبو علي الحسين بن سينا. أما الغزالي فقد تعامل مع هذه الإشكالية من موقع يتسم بالرفض للفلسفة والإعراض عن العقل ومعطياته، وهذا لا يعني إنكار أبي حامد الغزالي [illegible] يعني سعيه إلى عملية توفيقية [illegible] لتصاعد العقلية من منظور إسلامي، وبمنهج نقدي متميز وقد تأثر الغزالي في ذلك بعوامل ثلاثة:

أولها : يتمثل في المراحل التي مر منها بتكوينه العلمي وفيها تطور تفكيره.

[illegible]

[illegible] يكمن في طبيعة تفكير الغزالي وهو [illegible] مع تلك القضايا بموضوعية انتقادية من غير تصلب في الرأي، ودون لجوء إلى أحكام مسبقة، وفيما [illegible] مع [illegible] التوفيق يقول الأستاذ : يتضح من خلال محورين اثنين هما :

1 ـ رد الغزالي على الفلاسفة الذين حاولوا التوفيق [illegible]

[illegible] بعض النظريات الفلسفية [illegible]

[illegible] المؤلف أن منهج الغزالي كان يقوم على الشك «من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال». [illegible] الغزالي عن [illegible] وانتهى منه إلى الحس، [illegible] إلى العقل [illegible] أن [illegible] الذوق والكشف [illegible] إلى المعرفة

لغيبه، فهو يعتمد في منهجه على مقاييس متكاملة، ويملك كذلك منهجيا يتوسل به للوصول إلى اليقين، على أنه في تناوله لقضية التوفيق بين الدين والفلسفة، كان يجمع بين الشرع والعقل، مشبها هذا الأخير بالبصر والنور.

لقد كان الغزالي ـ يقول الأستاذ ـ يسعى إلى تحقيق ثلاثة أهداف.

الأول: مراجعة الفلاسفة [illegible] في تناولهم [illegible]

[illegible]

أما محاولته التوفيقية [illegible] وما فرضت عليه من نقد الفلاسفة، فقد سلك في ذلك الموضوعية؛ حيث بدأ بالتعرف إلى مختلف المسائل المطروحة والتعريف بها، وما كان للفلاسفة من آراء وبطروحات فيها، ظهر ذلك واضحا في كتابه «مقاصد الفلاسفة» الذي يعتبر تمهيدا لـ«تهافت الفلاسفة»، وقد اقتصر الغزالي في انتقاده للفلاسفة على ثلاثة من علومهم هي: المنطقية والإلهية والطبيعية، بعد [illegible] من تعارض مع الدين، وقد وقف الأستاذ المؤلف عند أهم القضايا التي ناقش فيها الغزالي الفلاسفة، [illegible] أقوالهم ونتائجهم [illegible] التي اعتبرها قائمة على [illegible] الغزالي في مناقشته لهذه المسائل [illegible] البراهين العقلية والرياضية يعتمد كذلك على النصوص [illegible]

[illegible] كان يسعى إلى إزالة ما كان مطروحا في ميدان يتعارض مع الدين، وهو بذلك يقدم محاولة عميقة للتوفيق بين الحكمة والشريعة.

ولا شك أن الغزالي تأثر بالأفلوطينية التي تبدو في جوانب من تأملاته الصوفية، وكأنه يحاول الملاءمة بينها وبين الإسلام.. ومن أبرز تلك الجوانب إشادته بالعقل، فقد قرنه [illegible] من الملائكة.. كما [illegible] بالنور مستندا في ذلك على بعض النصوص من القرآن والحديث. وهكذا يعتبر الغزالي أن الإيمان والمعرفة أنوار تتفاوت في البشر، بعد هذا يعتبر الغزالي أن النور الحق هو الله تعالى، وأن اسم النور لغيره مجاز محض لا حقيقة له.

ويضيف الأستاذ قائلا إن الغزالي لم يكن يجد كبير عناء في التوفيق بين النظريات الأفلوطينية وتأملاته الصوفية الذوقية، وما قادته إليه من التوسل ببعض النصوص للاحتجاج بها. «لقد فتح الغزالي الباب لفكر إسلامي جديد، يجمع بين الفلسفة والتصوف، مما جعل البعض يأخذون عليه اتجاهه التوفيقي وينتقدونه فيه من أمثال معاصره محمد بن الوليد الطرطوشي وتقي الدين أحمد بن تيمية وغيرهما». ويرى الأستاذ المؤلف في نهاية هذا الموضوع أنه «مهما يكن فقد عمل الغزالي على إقامة كيان فكري فلسفي إسلامي.. وهو في كل هذا لم يكن متعسفا ولا متحيزا ولا راغبا في أن يثبت التوفيق، ولكنه قام بهذا العمل من منطلق العالم [illegible] بتجربة فكرية عميقة، والمتمكن من علوم الفلسفة وأدواتها المنهجية [illegible] شخصيته ودينه». ولم يحدد الأستاذ مدى التوفيق [illegible] الغزالي وهو مطروح على محك البحث النقدي [illegible] المعاصر التي [illegible] في التوفيق، وتعدد تأملاته وتراثه. ولا شك أن العصر الذي عاش فيه الغزالي كان أحوج إلى توضيح الأفكار وكشف الزائف منها، والصحيح [illegible] ما قام به الغزالي في عمله التوفيقي بين الحكمة والشريعة.

☆ ☆ ☆

وفي موضوع «استخلاص التصور الملائم لمعاملة غير المسلمين في ديار الإسلام في الوقت الحاضر»، الذي كتبه الدكتور [illegible] باقتراح من المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن عام 1984، حدد الأستاذ في البداية مختلف المفاهيم الواردة في العنوان، [illegible] إلى [illegible] «الصورة» تكمن في «المواطنة» [illegible] جدلية الدولة والإنسان في ظل الإسلام من حيث [illegible] طبيعة ذات خصوصيات، [illegible] الإسلامية

لا بد أن تقوم على نظام يجسد روحه وأحكامه من الشريعة، انطلاقا من كون الإسلام رسالة إنسانية سامية تبدأ من الدعوة إلى التوحيد وتنتهي إلى التبشير بالوحدة التي ينصهر داخل بوتقتها كل الناس تحقيقا للعدل والمساواة والحرية والطمأنينة والسعادة والكرامة. وفي هذا الإطار - يقول الأستاذ - تشمل الهوية الإسلامية كل الأفراد والجماعات التي تعيش في كنفها، والتي ترتبط بين بعضها ليس برابطة الجنس أو العنصر أو العصبية؛ ولكن برابطة الروح والفكر والثقافة والقيم والتقاليد وأساليب الاستثمار والإنتاج وأنماط العيش والسلوك. ويصير الإنسان بوصف الأستاذ المؤلف المطلق في هذه الرابطة الإنسانية باعتباره مجموعة من القدرات والطاقات التي من أهمها غريزته، ثم روحانيته وعقله الذي يستقل بعمل في الوعي والإحساس والإرادة والفكر، فيوجه ويخطط وينفذ ويضبط حركية الإنسان؛ وهذا ما يعطي للمواطنة مفهومها الحق. وهي مواطنة شرعية ومسؤولة يقول الأستاذ، وتستمد شرعيتها ومسؤوليتها من تكريم الله تعالى للإنسان. ويرى الأستاذ أن هذا التكريم له عدة مظاهر يبرزها القرآن الكريم، واكتفى المؤلف منها بذكر مظهرين اثنين:

أولا: القدرة على حمل الأمانة، ويرتبط ذلك بتحمل المسؤولية.

الثاني: القدرة على التعايش والتساكن، وقبول المخالفة في العقيدة على أساس التسامح الذي دعا إليه الإسلام وهو نتيجة عرفانه بالديانات الأخرى، وبالحقيقة التي تمثلها فضلا عن إيمانه بالحوار وانفتاحه على مجالات الإنسانية في حريتها وحركتها وسعيها الدائب نحو التطور والتقدم. ثم اعتماده على البحث الدائم في الكون، لإمكان استثمار معطياته وخيراته لصالح البشرية. وهو في النهاية نتيجة ارتباطه بالمشكلات التي يعانيها الناس في واقعهم المعيش.» وهكذا يرسم الإسلام المواطنة كما ينبغي أن تكون في ديارنا، فهذه المواطنة حسب اعتقاد الأستاذ الجراري تقتضي أسسا أربعة وهي السيادة والحرية والهوية والتنمية. وبعد أن فصل الكاتب القول في هذه الأسس، خلص إلى أن مواطنة تقوم على هذه الأسس الأربعة، كفيلة بضمان الوحدة في ديار الإسلام بدءا من الفرد إلى الدولة مرورا بالأسرة والمدرسة وغيرهما من الأجهزة والمؤسسات وما يتم بينهما من علاقات وروابط قائمة على قواعد وقوانين وأعراف.» أما عن الأقليات في المجتمع، خاصة تلك التي تكون على صعيد العقيدة والدين، «فلا تكفي وحدها للتعبير عن هذا المجتمع، بل إنها لا تكفي لخلق كيان مستقل، فالإرادة المعتبرة لجميع أفراد الدولة هي الإرادة الجماعية، وبها يكونون مواطنين أحرارا.» وفي نهاية هذا الموضوع ينبه الأستاذ إلى المؤامرات التي تدبر للمسلمين، وهي مؤامرات تسعى إلى تجريد الفكر الإسلامي من مفاهيم الهوية والوحدة... وترسيخ الانفصالية والفرقة والطائفية والعشيرية... حتى يسهل فرض الهيمنة على ديار المسلمين... «كما ينبه إلى أن الاستعمار يوم كان يلقي بظله على الدول العربية والإسلامية، حاول أن يركز على الأقليات الدينية والجنسية واللغوية لفرقها وضرب الأغلبية بها. علاوة على هذا، نبه الأستاذ أيضا إلى أن القوى العالمية، تتجه اليوم إلى إحياء النزاعات الطائفية والنعرات العنصرية والخلافات الدينية، بتكريس [illegible] و [illegible] داخل الكيانات الوطنية.» فموضوع الأقليات يقول الأستاذ «يمكن أن يكون مصدر قوة وغناء يضبط نسيجه بروح وطني جماعي وفكر منفتح متفتح، ويمكن في نفس الوقت أن يكون وبالا وخسرانا إن ترك للعابثين بمصير الشعوب ومقدراتها.» ومن هنا يرى الأستاذ أن على المسلمين توجيه هذا الموضوع انطلاقا من تقوية الإيمان وتثبيت السلم، ونشر القيم الخلقية، ومحاربة التمزق، ومواجهة التخلف، حتى تعيش الأجيال القادمة حرة موحدة وكريمة.

☆ ☆ ☆

أما آخر موضوع في هذا الكتاب، تناول فيه الأستاذ المؤلف «خطبة الجمعة وقضايا الفكر الإسلامي»، فجعله في

الملتقى العالمي الأول لخطباء الجمعة في المغرب الذي انعقد بفاس سنة 1987. في البداية تحدث الكاتب عن الخطابة كفن من فنون القول، شاع عند اليونان والرومان، وازدهر عند العرب نظرا للمكانة التي حظي بها في المجتمع العربي، كما أبرز الكاتب أن فن الخطابة كثيرا ما كان وسيلة الدعوة إلى السلم وإلى إصلاح ذات البين، إضافة إلى هذا، تحدث المؤلف عن الخصائص المميزة في العصر الجاهلي كالقصر والإيجاز والاستشهاد بالشعر، وشيوع السجع، أما في ظل الإسلام، فقد شهد فن الخطابة مزيدا من الازدهار، عملت على إذكائه عدة أسباب تأتي في مقدمتها ما كان عليه المجتمع الإسلامي من حرية وشورى وعدل ومساواة، مما أكسب الخطباء مكانة فاقت مرتبة الشعراء، وهكذا تطور هذا الفن، «وكانت فعاليته قوية في نشر الدعوة الجديدة، ولذلك اشتهر كثير من الخطباء يأتي على رأسهم الرسول ﷺ، وخلفاؤه الراشدون، وفي ظل هذا الازدهار ظهرت أنواع متعددة من الخطابة، ومن أبرزها وصايا الخلفاء للولاة وقادة الجيش ومن ينوب عنهم. أما عن خصائص هذا الفن في العهد الإسلامي فهي نفسها التي عرفت في العصر الجاهلي، إلا ما كان من السجع الذي بدأ يختفي «واختفاؤه أو تحقيقه لم يحل دون العناية بالخطب وتنميقها». ومن السمات الجديدة التي اكتسبتها الخطابة الإسلامية، تأثرها بخطبة الرسول في حجة الوداع وغيرها، إلى جانب افتتاح الخطب بالتحميد والصلاة على الرسول الكريم، واعتمادها على آيات قرآنية وأحاديث نبوية فضلا عن [illegible]

إن خطبة الجمعة، يقول مؤلفه، كيان متميز طالما أنها تتوسل بالكلمة. وهذه الخطبة لم تتوقف لارتباطها بالصلاة رغم تعرضها لمختلف مراحل المد والجزر، وهي من أجل ذلك تستطيع اليوم إلى أن تسترجع مكانتها بين روافع المسلمين المتحرك وما ينهض به الخطيب من دور فاعل في المجتمع، وأخص ما يعرفه الفكر الإسلامي من تطور وسط إيديولوجيات وتيارات تسعى إلى نسف هذا الفكر، وبث روح التشكيك والإلحاد في نفوس الشباب، ومن هنا يقول الكاتب: «كان على خطيب الجمعة أن يعرف بحقيقة الفكر الإسلامي في مختلف أبعاده: أصولا وتاريخا وواقعا وآفاق مستقبل، مع الإلحاح على خصوصياته ومميزاته» وذلك حتى يتسنى له رصد كل المشكلات التي تتحدى الفكر الإسلامي، وقد اكتفى الأستاذ يذكر اثنين تقوم كل منهما على أسس مغلوطة ومزيفة، وهما:

الأول: أن الدين تجاوز، وهي مقولة يروجها الفكر الإلحادي.

الثاني: أن الفكر الإسلامي عاجز عن حل المشكلات التي تواجه المسلمين اليوم.

وهكذا، يفحص الأستاذ المؤلف هذه الآراء، ويرد عليها بوعي عميق متبصر وفهم صحيح؛ مستندا في ذلك على كثير من الحقائق التي تبين إلى أي حد أعمى الحقد قلوب الملحدين وغيرهم ممن ساهموا في ممارسة الضغط على المسلمين مما ترتب عنه تعطيل البحث العلمي وتخلي المسلمين عن أسبابه ومناهجه، وشيوع التقليد، وانتشار الشعوذة والتزييف وتأخر التعليم. بعدها أشار الأستاذ إلى المهمة الصعبة التي تقع على عاتق الخطيب، والتي تتمثل في كونه مطالبا بإلقاء الأضواء الكاشفة على الإسلام ومبادئه ومراميه ومقاصده، لمزيد من الإقناع به. «إن مسؤولية الخطيب تكمن في أنه يواجه مرة كل أسبوع جمهورا من المسلمين»، مما يجعل هذا الخطيب مطالبا [illegible] موضوع [illegible] مهمته [illegible] الجمعة [illegible] الأستاذ القيام بمهمة الخطابة [illegible] ينبغي أن تتوفر فيه ليكون قدوة يحتذى، ومن هنا كان لا بد من تأطير الخطباء وتزويدهم بكل ما يمكن أن يفيدهم في مهمتهم.

منير البصكري

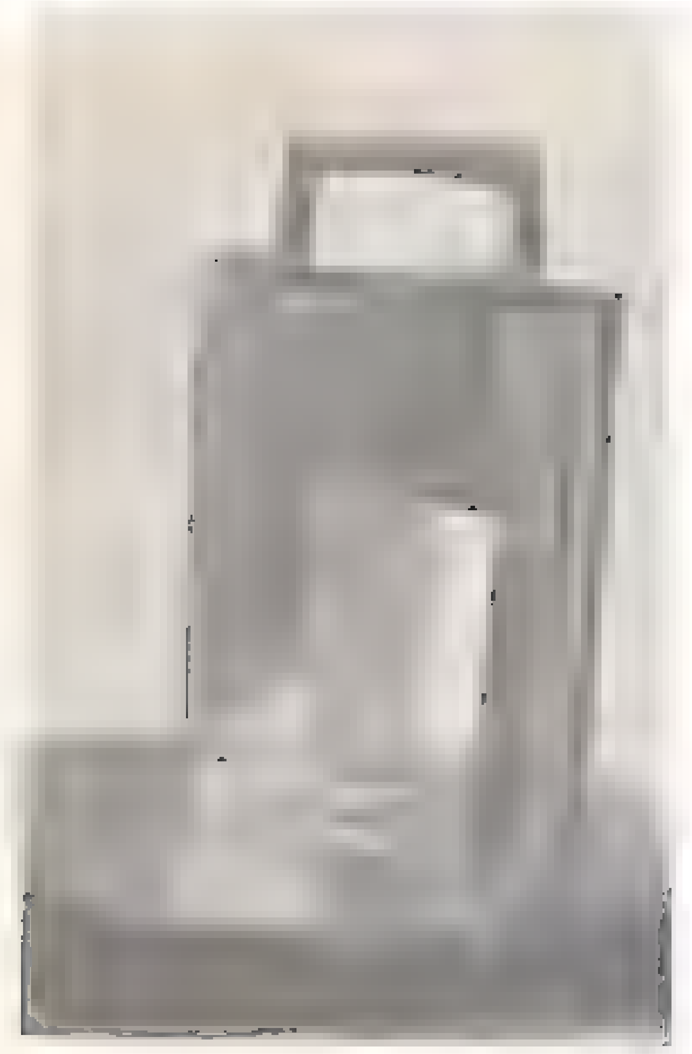

تعلن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أنه في إطار العناية

[illegible]

الجنرال مولاي عبد الحفيظ العلوي في ذمة الله

في صباح يوم الجمعة 15 جمادى الأولى 1410 هجرية الموافق لـ 15 دجنبر 1989 ميلادية انتقل إلى رحمة الله خديم الأعتاب الشريفة الجنرال مولاي عبد الحفيظ العلوي، وقد جرت مراسم تشييع الراحل حيث أديت صلاة الجنازة على جثمان الفقيد بمسجد السنة بالرباط بعد صلاة الظهر.

وكان في مقدمة مشيعي الجنازة صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير [illegible]

[illegible]

[illegible] المرابي ورئيس مجلس النواب [illegible] ومستشارو جلالة الملك وأعضاء الحكومة والحاجب الملكي والأمراء وأصهار جلالته [illegible] وأعضاء الدواوين الملكية [illegible] صاحب الجلالة على [illegible] وكبار ضباط القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية وعدد من [illegible] والمنظمات [illegible] من القوات المسلحة الملكية [illegible] وبعض أعضاء السلك الدبلوماسي المعتمد بالمغرب وشخصيات من عالم [illegible] والصناعة والفن [illegible] ورؤساء [illegible] العمومية والخاصة.

كما حضر [illegible] أعضاء الوفود المشاركة في المؤتمر المغربي الأول لأمراض القلب [illegible] إلا أن يشاركوا في مراسيم تشييع جنازة الفقيد.

ومن مسجد السنة توجه الموكب الجنائزي [illegible] مقبرة [illegible] العسكرية التي كانت حاضرة [illegible] الفقيد [illegible]

[illegible]

[illegible] أبى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أطال [illegible] محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد [illegible] سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي [illegible] إلا أن يلقي نظرة الوداع الأخيرة على خديم أعتابه الشريفة الراحل مولاي عبد الحفيظ العلوي [illegible] مولاي الحسن.

[illegible] دفن جثمان الفقيد [illegible] من الذكر الحكيم.

واختتمت هذه المراسم بالدعاء للفقيد بالمغفرة والرضوان وبالدعاء بموفور الصحة وطول العمر لأمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أطال الله عمره وأن يقر عينه بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي [illegible]

[illegible]

رحم الله الفقيد برحمته الواسعة ورزق ذويه الصبر [illegible]

s'adonner-d'après Al-Awânî à une lecture prolongée, même s'il s'agit de hadiths ou d'anecdotes véridiques où il trouve des loisirs pour se [illegible] capricieusement [illegible] à une persévérance dans les [illegible] et les pratiques cultuelles. Il éprouve, par contre, un vif plaisir à lire et à dialoguer. Il doit éviter, dans ce cas, de se laisser entraîner dans un aval qui prendrait, plus qu'il ne faut, de son temps précieux. J'ai eu l'occasion de voir certains personnages des plus honorables, s'inspirer de ces principes, en répartissant rationnellement le cours de [illegible] selon un critère [illegible] réservant minutieusement leur dû à l'enseignement [illegible] et au repos [illegible] les actes devant se suivre consécutivement ont alors leurs parts respectives qui en [illegible] soigneusement [illegible] sans empiéter les uns sur les autres. C'est là un signe de la Providence qui inspire le choix le plus [illegible] dans le [illegible] un même ordre [illegible] nous [illegible] aux [illegible] de certains [illegible] chez les gens.

Cette graduation est comparée d'abord à un semis qui atteint le sol, mais qui est vite ramassé par un essaim d'oiseaux; ensuite à des graines qui retombent sur la pierre lisse recouverte d'une légère couche de terre et de gouttelettes de rosée. Ils s'y fixent superficiellement, mais finissent par se dessécher, quand les nervures touchent le dur de la pierre. Une partie de la semence peut choir sur un sol riche et fertile, mais jalonné d'épines qui tuent les jeunes pousses dès leur apparition. Enfin, quelques semis qui ont pu entrer en contact avec un sol fécond, loin des grès et des épines, ont la chance de croître et fleurir. Un parallèle est donc établi entre une semence recueillie sur une terre riche et une bonne parole. A l'instar de cette série de semences, un homme peut entendre des propos auxquels il ne prête nulle attention. Ils s'évaporent et sont vite oubliés. Le semis [illegible] par la pierre est assimilé à une personne qui entend bien et apprécie, mais sans qu'il y ait un impact quelconque sur son cœur indécis qui n'en retient guère la fruition. Au sol épineux correspond le cas de l'individu dont l'audition est accompagnée d'une intention d'agir, vite ligotée par des caprices qui le figent, l'ankylosent et anéantissent, en lui, tout désir effectif d'agir. Le quatrième cas du sol dégagé de tout handicap [illegible] qui conçoit [illegible] à bien comprendre, assure une bonne exécution, tout en s'écartant des suggestions et des fantaisies maléfiques. C'est là la fruition spontanée d'une prédisposition qui, [illegible] développée grâce [illegible] tendant à éliminer tout écart capricieux. les élans vicieux et les exigences excentriques ont une douce saveur que l'âme dégénérée déguste et apprécie. Cet épicurianisme dégradé est la source de tous les maux. En illuminant les recoins de la conscience, en les dépurant de toute pollution malsaine, grâce à une régénération qui tend à insuffler, par le dhikr, dont la lecture du Coran, une vie réconfortante qui oppose à l'attirance [illegible] rendant l'âme revivifiée au Plénum de la Présence Sacrée [illegible] saveur [illegible] transcendant [illegible] un désir terre-à-terre ne saurait guère résister

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

« sourcier ». Les lectures préférées évitent le gaspillage du temps et épargnent les efforts inutiles. L'auteur des Awârif insiste sur la nécessité de s'assurer un bon choix, grâce à une

[illegible]

toute activation inopinée. La prière de l'Istikhara où le croyant invoque Dieu en l'appelant à son aide, l'inspire et fait naître en lui des idées et des sentiments qui orientent son choix. Allah libère pour lui le meilleur accès de la compréhension, dans un temps record et avec

[illegible]

teur, l'image de la connaissance se présente

[illegible]

[illegible]

tique de ce symbole qui dépiste l'intellect et clarifie la compréhension. On cite le cas d'Avicenne qui consacre plus d'un mois à tenter de

[illegible]

de la Métaphysique d'Aristote. Après s'être recueilli, à la Mosquée le quarantième jour, à la suite de la grande prière du Fajr, le mystère finit par se clarifier et l'énigme par s'éclaircir. Avicenne en fut sidéré, mais il eut la preuve tangible de l'infaillibilité d'une inspiration divine.

[illegible]

[illegible]

sif « Nous l'avons bien fait comprendre à Salomon

[illegible]

« Dieu fait entendre à qui Lui plaît », souligne

[illegible]

[illegible]

tantôt par l'intermédiaire de Ses Messagers ou

[illegible]

les écrits de la charia. En s'inspirant des uns et des autres, l'initié est d'autant plus édifié que son acte procède d'un bon enchaînement et d'une bonne attention. Il peut alors tester la valeur de son état et être le digne réceptacle des dons sublimes de Dieu. Ses connaissances s'en

[illegible]

Les grands maîtres en esquissent des élaborations magistrales dans l'invocation de la Miséricorde et de la grâce divines. L'Imam Ghazali, qualifié de « Preuve de l'Islam », eut l'amabilité de prodiguer de bien heureux conseils à un de ces disciples : « Ô disciple qui entreprends la recherche de la connaissance, la lecture des

[illegible]

de tous et notamment les œuvres de la sagesse ! Que ton regard englobe toutes ces données par l'aide de Dieu et pour Son amour, sinon Il t'abandonnera à toi-même ou te délaissera à la merci de ce qui t'a obnubilé. Si ta vision ne se limite guère à lui, ton œuvre sera pour autre que lui dont tu auras alors confirmé l'existence et la véracité. Si tu espères rencontrer Allah,

[illegible]

Lui, au cas où ton regard se porterait sur les

[illegible]

taine renommée dans le domaine de la science, abstiens-toi de tout mépris et de toute décision à la légère, positivement ou négativement. Aie bonne opinion de tout le monde et ne déconsi

[illegible]

bonnes actions, tâche d'en faire état et de les

[illegible]

[illegible]

des arguments pour se justifier, ne serait-ce que

[illegible]

[illegible]

Si, à ton avis, une problématique vient de

[illegible]

prends-en ce qui te semble plausible et délaisse ce que tu n'arrives pas à comprendre, en confiant à Dieu la réelle conscience. » On rappelle, en l'occurrence, à l'intention de tout lecteur qui cherche à mémoriser, de confier à Dieu, le cas échéant, la réminiscence des fruits de ces lectures. Il en sera pleinement édifié. D'autre part, un esprit averti ne doit guère

(1) Al-Awârif, cité... [illegible]
[illegible]

mouvement d'esquive de Dieu vers Dieu (sub- [illegible] une initiation gnostique agissante. Le lot qui échoit au Prophète, dans ce processus de trans- [illegible] des Awarif en fait une minutieuse analyse, en se référant à l'exégète Sahl Ibn Abdallah, dans l'interprétation du Verset coranique qui dépeint la perception conceptionnelle du Pro- [illegible] [illegible] éminentes qui en découlent, impriment à l'âme [illegible] moins, la nécessité de se raffiner, de s'armer de [illegible] de la grande gnose. Son esprit ne saurait, en l'occurrence, être envahi par des visions et des [illegible] exotérique et ésotérique. Il ne doit guère som- brer dans une intellectualisation excentrique, [illegible] [illegible] tive est seule susceptible d'imprimer à l'esprit une nette distinction entre le faux et le vrai, le bien et le mal. Tout un flux d'impondérables, de qualifications indicibles, émane ainsi d'un Esprit purifié dont la fine Éthique « policée » est une marque indélébile d'une parfaite et in- [illegible] ment Allah avait décelé du bien en eux (dit le Coran), Il les aurait dotés d'une bonne audi- tion ». Quelques exégètes traduisent ces élé- ments bénéfiques qui jalonnent le cœur par des prédispositions innées ou acquises qui rendent l'initié capable de se dégager des [illegible] approches en étroite corrélation en disant : « Il y a là une heureuse réminiscence pour ceux qui [illegible] un esprit présent ». Dans son Commentaire du Livre, Ar-Razi définit ce genre de cœur comme une âme consciente susceptible de concevoir e [illegible] double aspect du cœur accaparé d'une part par [illegible] [illegible]

prédispositions à sonder le fond et les intimes secrets de la connaissance. Le cœur doit donc [illegible] trouble ou simple impression de gêne de nature à en perturber le flux courant. Il s'attarde longuement dans l'esquisse de fresques émou- vantes sur les péripéties d'enchevêtrement de la [illegible] onnement de la marche du cœur. Un trio doit, pour Ibn Samt un, imprimer les élans du cœur [illegible] tement et. A ce trio correspond un triple élé- ment constitutif de la masse ou de la structure conscientes : déguster la saveur enivrante de [illegible] rer de ses caprices ; grâce à cet affranchis- [illegible] le premier tiers de l'éthique policée ; en deu- xième stade, ce même mourid ainsi armé éprouve le douloureux sentiment de ce qui lui [illegible] les deux tiers du chemin. Une certaine pléni- tude sera alors assurée par la saturation du cœur. Pour le fameux Mohammed Tirmidhi, un cœur qui se détache de ses fantaisies et élans capricieux réalise autant de vitalité dans la voie de Dieu. En d'autres termes, quand un ser- viteur développe ses prédispositions à une ver- [illegible] vivacité qui le met en mesure de faire et tendre ce qu'il a bien assimilé. Il atteint le grade spiri- tuel qui lui permet de réserver au Verbe Divin [illegible] à tradition apostolique une audience adéquate. Il reçoit alors de Son Seigneur l'in- [illegible] portements, le plus sublime des états d'obé- [illegible] [illegible] C'est à ce genre de serviteurs qu'Allah fait allu- sion en disant : « Ceux qui reçoivent la parole de Dieu en se conformant à Ses meilleurs com- mandements, sont les mieux orientés et les mieux doués de sagacité et de clairvoyance ». Cette perspicace subtilité constitue un noble privilège et le plus fin exploit qui donne accès à [illegible]

Le Coran et la morale du Prophète

Abdelaziz Benabdellah
membre de l'Académie du Royaume du Maroc
et des Académies Arabes

Dans cette étude nous essayons d'analyser les attitudes et comportements du mou'min tendant à lui assurer une parfaite adaptabilité à l'ordre divin grâce à une modulation appropriée de l'acte [illegible]

Les prophètes, sublimes élus de Dieu, sont les êtres les plus hauts placés dans l'échelle des valeurs éthiques. La psychologie du comportement apostolique, vis-à-vis de la Présence Divine, cette immanence prophétique est [illegible] observance éminemment adéquate des exigences sacrosaintes du Droit Divin. Dieu n'a-t-il pas [illegible] [illegible] Magnanime de Son Messager Sidna Mohamed ? Cette magnificence dont Allah [illegible] [illegible] savoir la haute manière d'être et d'agir [illegible] nique, en mettant l'accent sur une confortation divine qui immunise l'Élu contre toute indélicatesse humaine. C'est le summum de l'éthique transcendante du Prophète. Le propre de cette grandeur suprême est d'éluder avec adresse tout mobile de confusion et de malentendu. Un autre aspect de cette morale [illegible] [illegible] [illegible] talise dans la concentration de son cœur, la puissance de sa volonté et son attachement à [illegible] à ce raffinement subtil qui est une marque de prééminence des principes de la conscience, de la pureté des mœurs et de l'efficience socioculturelle des impératifs du bien. En l'occurrence [illegible] Messager [illegible] de transcendance où la vue – précise un autre verset coranique – ne saurait souffrir « ni déviation ni débordement ». C'est là un des secrets de cette suprématie sans-pair, vers laquelle le prophète transcende avec [illegible] grâce à l'équilibre accompli de sa transconscience, dégagée de toute velléité de fluctuation. Les élans chez le grand messager se contrebalancent : une propension transcendante vers Dieu [illegible] esquiver ou tourner le dos à tout ce qui éloigne de l'Être Suprême. Le regard ne doit guère se [illegible] ment. Le cœur se doit d'éviter tout repentir ou regret de ce dont on s'est sciemment et sincèrement détourné, pour l'amour de Dieu. Le Prophète s'ingénie à se remémorer, par évocation révérencieuse, les faveurs, les grâces et les touches divines de la Nuit de l'Ascension. Ce sont là des dons providentiels que l'intellect ne saurait ni imaginer ni valoriser. Dans sa sublime transconscience, le Messager de Dieu ne se permet nulle transgression des convenances de la Présence. Cette sublimité de l'âme est un

فهرس

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في خطاب سامي بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة
لانطلاق المسيرة الخضراء .... أ
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يعلن عن تنظيم استفتاء حول إرجاء الانتخابات
تقديمة بمدة سنتين .... د
دعم الصحافة الإسلامية، وثلق بدورها البناء في المجتمع
للدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية .... ب

○ دراسات إسلامية :

الزحف الحضاري الإسلامي
للدكتور محمد كمال شبانة 13
من الإعجاز القرآني صيانة السنة
للأستاذ المكي اقلاينة 17
كيف انتشر الإسلام عبر تاريخه الطويل
للدكتور ابراهيم حركات 26
نعمة الصلاة، وأفق ملازمتها للإسلام في افريقية
للأستاذ عبد الله كابوس 39
اهتمام الإسلام بالأسرة
للأستاذ عبد القادر العافية 43

هكذا عيد المولد النبوي في المغرب الإسلامي، والأسباب التي [illegible]
للدكتور عبد الهادي التازي 48

المولد النبوي، واحتفال شعراء المغرب، وعلماء المغرب [illegible]
للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله 56

من الأدب الرفيع :
[illegible] من النبوة...
للمرحوم مصطفى صادق الرافعي 59

مؤتمر الرباط كان منطلق لسلوك الخط التضامني [illegible]
للأستاذ محمد بنعبد الله 64

محمد رسول الله . أكرم ولد آدم على ربه
للأستاذ عبد الله كنون 71

في مولد الرسول
للأستاذ محمد بنحات 79

قصيدة المديح في العصر المريني
للأستاذ عبد الجواد السقاط 84

نظم [illegible] في مدح سيد البشر، لمالك ابن المرحل
تقديم الأستاذ بنعلي محمد بوزيان 97

«محمد» كما يراه مفكرو الغرب 105

○ ديوان المجلة :

وعلمنا شاء [illegible]
لأمير الشعراء أحمد شوقي 109

من الشعر الصوفي :
[illegible]
للشاعر محمد بن محمد [illegible] 111

ملامح من الترجمة العلمية للفقيه محمد بن أبي بكر التطواني

للأستاذ محمد المنوني 115

حرب أفغانستان وتأثيرها على الشعوب الإسلامية

للأستاذ عبد القادر القادري 118

الوجادات

للأستاذ عبد القادر زمامة 123

○ معرض الكتب :

بحوث مغربية في الفكر الإسلامي

تأليف د. عباس الجراري

عرض وتقديم : الأستاذ منير البصكري 126

القرآن... والأخلاق (بالفرنسية)

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله 140